السبت 23 أيلول 2023
العدد 5018 السنة الثامنة عشرة
Samedi 23 Septembre 2023 nº 5018 18ème année

24 صفحة
50000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

درنة... جرح ليبيا
طوفان تسلّل خفية عن سفينة نوح

سوريا - الصين: نهاية الحذر... بداية الانخراط [10]

«عقاب سياسي» من وزير الخارجية لمندوبة لبنان في الأمم المتحدة

قطر نحو وراثة فرنسا: التمهيد لقائد الجيش [2]

(هيثم الموسوي)

البلاد

العقار 4756
ليس لقبور «صبرا وشاتيلا» من يحميها! [12]

عين الحلوة
حلمنا... «العودة للدار» [13]

الرجل الذي رأى
سعادة والريادة المبكّرة في فهم الصهيونية [14]

تقرير

إجراء سياسي كيدي... وعديم المسؤولية

بو حبيب يعاقب مندوبة لبنان في الأمم المتحدة

في خطوة قد تتحوّل إلى سابقة في طريقة تعامل الإدارة السياسية مع الموظفين في الإدارة، قرّر وزير الخارجية عبدالله بو حبيب التنسيق مع رئيس الحكومة نجيب ميقاتي، ختم زيارتهما للأمم المتحدة، بقرار معاقبة القائمة بأعمال مندوب لبنان في الأمم المتحدة الدبلوماسية جان مراد، وتمّ إبلاغها قرار استدعائها إلى بيروت فوراً.

قرار استدعاء مراد تحوّل قبل تنفيذه إلى سابقة، لناحية إفهام الموظفين في السلك الدبلوماسي على وجه التحديد، بأن عليهم عدم إظهار أي حرص على مصالح لبنان الاستراتيجية، وأن عليهم تنفيذ الأوامر التي تصدر عن الوزير بمعزل عن صحتها. وهو ما سيدفع بالدبلوماسيين إلى عدم المبادرة للقيام بأي خطوات ضرورية في أعمالهم العادية. كما سيعطي انطباعاً للدول المضيفة لهم، بأن معاقبتهم عبر الضغط على حكومتهم أمر ممكن.

وقد تبيّن أن القرار الذي أبلغ إلى مراد أمس من قبل المستشار في وزارة الخارجية هادي الهاشم، قد وقّعه الوزير بتاريخ 14 أيلول، أي قبل سفره

> **طلب القرار مغادرة مقر سكنها فوراً، أي إن عليها إخلاء المنزل من حاجاتها الشخصية هي وأولادها خلال ساعات قليلة بطريقة لا تعكس أي نوع من الاحترام**

إلى نيويورك للمشاركة مع الرئيس ميقاتي في أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة. لكنّ بو حبيب طلب تأخير إبلاغ مراد بالقرار إلى حين مغادرته نيويورك، وهو ما حصل.

فتمّ إبلاغ المستشار هاشم الذي كان في عداد الوفد اللبناني بقرار تكليفه القيام بمهام القائم بأعمال بعثة لبنان في الأمم المتحدة مكان مراد. وطلب إلى هاشم إبلاغ مراد بتنفيذ القرار فوراً. وقد نفّذ هاشم القرار بعد وقت قصير من مغادرة بو حبيب نيويورك متوجّهاً إلى واشنطن في زيارة عائلية.

ونصّ القرار الصادر الموقّع في 2023/09/14 على الآتي:

«جانب المُستشار في السلك الخارجي السفيرة جان مراد - بعثة لبنان الدائمة لدى الأمم المتحدة في نيويورك.

الموضوع: استدعاؤكم إلى الإدارة المركزية

المرجع: القرار رقم 383/ا.ع/2023 تاريخ 2023/09/14

إشارة إلى الموضوع أعلاه، نُفيدكم بأنه تقرّر استدعاؤكم إلى الإدارة المركزية تمهيداً لنقلكم إلى مركز عمل آخر استناداً إلى الفقرة هاء من المادة 26 من نظام وزارة الخارجية والمغتربين 1971/1306 اعتباراً من العقد الأول من شهر تشرين الأول 2023.

وعليه يُطلب منكم إجراء عملية التسلّم والتسليم بينكم وبين المُستشار في السلك الخارجي هادي هاشم اعتباراً من يوم 2023/09/22 بما في ذلك دار السكن تمهيداً لإلتحاقكم بالإدارة المركزية خلال الفترة المُحددة لكم».

طبعاً، لا يتضمن القرار أي شروحات حول الخلفية، إنما جرت صياغته بطريقة يمكن تفسيرها على أنها إجراء عقابي، خصوصاً أن ما هو متعارف عليه لناحية المهل التي تُعطى للدبلوماسيين لإنجاز ترتيبات إدارية وبما خصّ أمور السكن وخلافه، لم يتم احترامها على الإطلاق، بل طلب القرار مغادرة مقر سكنها فوراً، أي إن عليها إخلاء المنزل من حاجاتها الشخصية هي وأولادها خلال ساعات قليلة بطريقة لا تعكس أي نوع من الاحترام. بل تعكس «الكيدية» التي طبعت القرار، بمعزل عن الملف الإداري المتعلق بها والذي يترتّد أنه موجود في الوزارة، ربطاً بملاحظات على عملها سواء في نيويورك أو سفارات عملت فيها سابقاً.

والكل في لبنان يعرف أن القرار كان بو حبيب قد اتّخذه وفريق الوزارة ثم رفعه إلى رئيس الحكومة بعد صدور القرار عن مجلس الأمن بالتجديد لعمل قوات اليونيفل في جنوب لبنان. واتّخذ بو حبيب القرار بعد اتهامه مراد بأنها خالفت تعليماته خلال المفاوضات التي رافقت اجتماعات التجديد للقوات الدولية، وأنها اتخذت موقفاً مخالفاً لما قرّره هو. علماً أن مراد، كانت في عداد الوفد الذي ترأسه بو حبيب في حينه، وكانت تلتزم التعليمات الصادرة عنه. لكنّ بو حبيب قال إن قرارها إلقاء كلمة مرتجلة في جلسة مجلس الأمن تلك، وإعرابها عن عدم رضى لبنان عن القرار كما صدر، بمثابة طعنة له. وعندما عاد إلى بيروت، طلب من الإدارة المركزية إعداد الملف الإداري الذي يسمح له بتغطية قراره الكيدي، وتواصل مع الرئيس ميقاتي لهذه الغاية.

وقد حاول بو حبيب الحصول على تغطية ذات بعد سياسي من النائب جبران باسيل، لكنّ الأخير أبلغه بعدم موافقته على هذا التوجه. برغم أن بو حبيب حاول إغراء باسيل بأنه سيعيّن هادي هاشم المقرّب من رئيس التيار مكانها. وقد نفى باسيل علمه بالقرار أو موافقته عليه، فيما قال مسؤول في السراي الكبير، إن ميقاتي سبق أن أبلغ مراد أنه لن يوافق على القرار طالباً منها الالتزام بالبيات العمل.

وخلال وجود ميقاتي وبو حبيب في نيويورك خلال الأيام الماضية، لم يظهر عليهما ما يوحي بأن القرار كان قد صدر وتأخّر تنفيذه علماً أن «قطبة خفية» ظلت بارزة، إذ كان يفترض أن يصدر عن وزير الخارجية قرار بتكليف سفير لبنان في ألمانيا مصطفى أديب مهام رئيس البعثة في نيويورك مكان السفيرة السابقة آمال مدللي. وقد جرى ضم أديب إلى لائحة أعضاء الوفد الرسمي إلى الأمم المتحدة، لكن حصل أمر ما لم يُعلم بعد، دفعه إلى عدم الالتحاق بالوفد.

وبينما ضجّت أوساط الدبلوماسية اللبنانية بالخبر وتداعياته، لم يصدر أي تعليق عن وزير الخارجية، ونفت أوساط السراي أي علاقة لرئيس الحكومة بالأمر، وقالت إنه قرار يعود إلى وزير الخارجية حصراً. لكنّ الصدى الأولي للخطوة كان سلبياً، باعتبار أن القرار يمثل عقاباً على عدم خضوع الموظف لإرادة الوزير، ولو كان بو حبيب يملك الموجبات الإدارية لخطوة كهذه، فهو يعرف، كما دوائر وزارة الخارجية أن الأمر لا يتم على هذا النحو. ثم إن بو حبيب نفسه، رفض استدعاء أكثر من دبلوماسي تقول الإدارة المركزية إنهم يرتكبون أخطاء في عملهم وبخالفون القواعد الوظيفية. يبقى السؤال، حول كيفية تصرف مراد مع القرار، حيث رفضت دعوة هاشم إلى إجراء عملية تسلم وتسليم أمس، معتبرة أنها غير معنية بتنفيذ القرار لأنها لا تراه مبرراً. وهو قرار سياسي وإن اتخذ طابعاً إدارياً.

(دالاتي ونهرا)

توقيف الملحقين الاقتصاديين

من جهة ثانية، تبلّغ الملحقون الاقتصاديون في سفارات لبنان في الخارج، قرار وزير الخارجية عدم تجديد عقودهم نهاية هذه السنة. وغزي الأمر إلى قرار بتقليص نفقات وزارة الخارجية، لأن كلفة هؤلاء وعددهم 15 ملحقاً اقتصادياً تصل إلى مليونَي دولار «فريش»، وأن الخزينة لم تعد قادرة على تحمّلها، فيما باءت محاولات تحميلها لأطراف ثالثة بالفشل.

وأشارت المصادر إلى أن الرئيس ميقاتي طلب من المعنيين تأمين كلفة بقاء الملحقين عبر تبرّعات من جمعية الصناعيين، وحين سئل وزير الصناعة جورج بوشكيان عن مدى الحاجة إلى هؤلاء، أجاب بأنها لا تتجاوز 6 ملحقين اقتصاديين، بخلاف ما أجاب وزير الزراعة عباس الحاج حسن الذي طلب بقاء 8 ملحقين اقتصاديين. والأمر يعود أيضاً إلى طبيعة المهام التي يقومون بها، وسط غياب أي خطة واضحة لتوزّعهم الجغرافي في البلدان التي يحتاج لبنان إلى تواجدهم فيها، أو حيث يمكن أن تنشأ مشاكل وخلافات اقتصادية وتجارية.

وعلى سبيل المثال يبدو أن هناك ملحقاً اقتصادياً في الكويت حيث لا سفارة هناك، وجرى نقله إلى قطر ليعمل في «الإكسبو»، وهناك ملحق اقتصادي وتجاري واحد محصور عمله في أميركا الجنوبية، بينما هناك ملحقون لم تتضح الحاجة إليهم في اليابان وروسيا بخلاف العراق ومصر. واللافت أن أجور الملحقين تبلغ 12 ألف دولار في كل المناطق وهو أمر غير ملائم لطبيعة العمل. فعلى سبيل المثال، يتساوى أجر الملحق التجاري والاقتصادي في مصر حيث العملة منهارة والأزمة تجعل الدولار ذا قوّة شرائية كبيرة، مع ذلك الذي يعمل في أميركا الجنوبية حيث التضخّم يزداد بشكل قاس.

(الأخبار)

المشهد السياسي

قطر تسعى لوراثة فرنسا: ورقة قائد الجيش إلى العلن

بينما يدخل الفراغ الرئاسي سنويته الأولى، يبدو المشهد قاتماً على المستوى السياسي، ما يؤشّر إلى مرحلة بالغة الخطورة تواجه البلاد، وقد أصبح معها الواقع الأمني المترنّح أصلاً على المحك، وفق المعلومات المتوافرة فإن الاستمرار في التعطيل هو العنوان الذي يتقدّم على ما عداه حيث الأفق مسدود داخلياً وخارجياً، بسبب المناكفات السياسية والانقسام الإقليمي – الدولي، إذ لم يأتِ الاجتماع الذي عقدته الدول الخمس المشاركة في اللجنة الخماسية الخاصة بلبنان، والمؤلّفة من فرنسا، أميركا، قطر، السعودية ومصر، بأي تصوّر جديد، بل على العكس أظهر اجتماع نيويورك جبهة موحّدة ضد الحراك الفرنسي، تضم واشنطن والرياض والدوحة، وتكشّفت هذه الجبهة من خلال انتقاد «الدور الفرنسي وفشله في توحيد اللبنانيين أو حتى إقناعهم بالحوار»، وإعطاء فرنسا مهلة محدّدة لإنجاز حل مع إطلاق تهديدات تحدّثت عن وقف المساعدات عن الجيش اللبناني. ولوحظ في هذا السياق، أن الدوحة، وبعد النعي غير المعلن للدور الفرنسي، بدأت تتحرك بشكل أكبر وأوسع، إذ لم تمر أيام على انتهاء اجتماع نيويورك حتى وصل موفد قطري إلى بيروت للقيام بجولة على القوى السياسية. وقالت مصادر مطّلعة إن «القطريين منذ فترة يتحضّرون لوراثة فرنسا في لبنان، لكنهم كانوا ينتظرون غطاءً محلياً وخارجياً»، مشيرة إلى أن «الدوحة حصلت عملياً على ضوء أخضر خارجي من أميركا والسعودية لتسلّم الدفة بدلاً من فرنسا». إلا أنها تسعى أيضاً الى انتزاع وكالة محلية من القوى السياسية للمباشرة بدورها رسمياً كوسيط لحل الأزمة. وعليه، باشر الموفد القطري لقاءاته مع المسؤولين السياسيين لهدفين: الأول تحصيل القبول بدور الدوحة بدلاً من باريس، ومن ثم التفاوض على اسم قائد الجيش العماد جوزف عون الذي صار واضحاً أنه المرشح الحقيقي للخارج، على الرغم من أن القطريين حملوا سابقاً لائحة تتضمّن أسماءً عدة، من بينها الوزير السابق زياد بارود والمدير العام للأمن العام بالإنابة اللواء الياس البيسري. وعلمت «الأخبار» بوجود مساعٍ لقطر تتيح لها العمل منفردة وبشكل مستقل عن أعضاء الخماسية، للوصول إلى ما يُشبه «صلح الدوحة» الأول عام 2008، والقيام بتسوية متوازنة قاعدتها لا غالب ولا مغلوب. وتعتمد قطر في هذا الإطار، على علاقتها الجيدة مع مختلف القوى السياسية، إضافة إلى «الخدمات» التي ستقدّمها مقابل إقناع القوى السياسية بالسير بالتسوية والقبول بقائد الجيش. وغير ذلك، فهي تعبّر دائماً عن استعدادها للقيام بالدور الاقتصادي المالي الذي تُحجم عنه الرياض، أي إعادة دعم القطاع المصرفي من خلال تقديم وديعة كبيرة للمصرف المركزي. وعلمت «الأخبار» بوجود مساعٍ لقطر تتيح لها العمل منفردة وبشكل مستقل عن أعضاء الخماسية، للوصول إلى ما يُشبه «صلح الدوحة» الأول عام 2008، والقيام بتسوية متوازنة قاعدتها لا غالب ولا مغلوب. وتعتمد قطر في هذا الإطار، على علاقتها الجيدة مع مختلف القوى السياسية، إضافة إلى «الخدمات» التي ستقدّمها مقابل إقناع القوى السياسية بالسير بالتسوية والقبول بقائد الجيش. وغير ذلك، فهي تعبّر دائماً عن استعدادها للقيام بالدور الاقتصادي المالي الذي تُحجم عنه الرياض، تصريح له عبر مواقع التواصل أنه «لا أفهم كيف الحرص على الحوار لانتخاب رئيس، هو رفض للحوار، كلّ أمر له شروطه وظروفه لكي ينجح». وتساءل «إذا قلنا إنّه يجب أن نتّفق بالحوار على برنامج العهد بخطوطه العريضة، حتّى ننتخب رئيساً على أساسه وينجح بعهده، نكون نرفض الحوار أم حريصون على إنجاح العهد؟ إذا قلنا إنّ رؤساء الأحزاب يجب أن يكونوا في الحوار لكي يكون هناك قرار وليس فقط كلاماً، نكون نرفض الحوار. نحن قلنا ونكرّر أنّنا مع حوار جدّي ينجح، ومن لا يريد الحوار هو من يرفض تأمين ظروف النّجاح له».

(الأخبار)

في الواجهة

برّي: طاولة حوار كتله لا تفاهمات ثنائية وثلاثية

مايقوله الرئيس نبيه برّي أمام زواره إن رفض البعض الحوار الذي يدعو إليه ليس مطلقاً: «كلٌّ يريده بحسب مزاجه وشروطه. وأنا أريده بحسب مصلحة الجميع». يضيف: «ساظل اسقيه حوار وليسموه هم (الفرنسيون) تشاور»

نقولا ناصيف

بين مَن يؤيد الحوار الذي يدعو إليه الرئيس نبيه برّي ومَن يرفضه هوة عميقة يصعب ردمها. الأولون يرونه شرطاً حتمياً لانتخاب الرئيس، والأخيرون يرونه محاولة فرض انتخاب مرشّح أولئك لا انتخاب الرئيس. أما الحوار نفسه، المتضمّن في مبادرة رئيس المجلس، فمبنيٌ على أن يلتئم ويتفق الحاضرون على مرشح يصير من ثم إلى انتخابه للفور في دورة اقتراع أولى، منسجمة مع توافقهم على المرشح.

أن يلتئم الحوار ولا يُتفق على مرشح يذهب الحاضرون ما داموا يمثلون كتل البرلمان إلى دورات اقتراع متتالية إلى أن يُنتخب أحد مرشحَين اثنين أو أكثر بالتنافس بالغالبية المطلقة.

أن لا ينعقد الحوار ويقاطعه أفرقاء أساسيون فيتعذّر مرور دعوة مجلس النواب إلى انتخاب الرئيس، ولا حاجة بعد ذاك إلى دورات اقتراع.

ليست ثمة فرصة رابعة للحوار ما دام أضحى لصيق الانتخاب، وفي الوقت نفسه عدوّه ومقتله. إلا أن الفرصة الثالثة هي اليوم أكثر ترجيحاً من خلال المواقف المعلنة على الأقل في الاصطفافات الحالية: الثنائي الشيعي وحلفاؤه متمسكون به، الكتل المسيحية الكبيرة مع حلفاء لها يمانعون، الحزب التقدمي الاشتراكي يفضّل رئيس تسوية والنواب الستة ينتظرون كلمة السر السعودية. هؤلاء الثلاثة يملكون فيتوات تعجز أطرافها: الكتلتان الشعبية والمسيحية وثالثتهما الكتلة الدرزية والسنّية صاحبة الفضل في توفير نصاب الثلثين لانعقاد جلسة الانتخاب. الفريق الثالث هذا مع حوار على إطلاقه وبلا شروط.

ما يسمعه زوار رئيس المجلس أنه ليس في وارد التخلي عن بنود مبادرته، القائلة بحوار الكتل من حول بند انتخاب الرئيس فحسب في خلال سبعة أيام تنتهي بتوجيه دعوة إلى جلسات اقتراع متتالية إذا اقتضى تعذّر التوافق.

عندما يُسأل عن اقتراح رئيس التيار الوطني الحر النائب جبران باسيل إجراء حوارات ثنائية أو ثلاثية عوض جمع الكتل كلها إلى طاولة الحوار، وإذاك يصعب التفاهم وتمسي الطاولة حوار طرشان، يجيب: «الحوار إما يكون موسّعاً ويضم الجميع أو لا يسمى حواراً. ما أدعو إليه هو الحوار الذي يجمع الجميع. لست في وارد حوارات ثنائية وثلاثية ولا تفاهمات ثنائية وثلاثية، في الأصل لم أجرها قبلاً ولن أفعلها الآن».

في المقلب الآخر مما يقوله رئيس المجلس، يُنقل عن الكتلة الأوسع تمثيلاً بين الرافضين المبدئيين للحوار، هي كتلة نواب حزب القوات اللبنانية، النقيض تماماً. يميزها عن الكتلة المسيحية الأكبر عدداً منها التيار الوطني الحر أن هذه تطلب حواراً بشروطها، فيما الندّ المسيحي الآخر لا يريده في المطلق. في المواقف المعلنة يجهر حزب القوات اللبنانية برفض كامل لحوار يسبق انتخاب الرئيس أياً تكن مبرراته. في حسبانه لا استحقاق يتقدم ذاك الدستوري المعلق. أما في الجلسات المغلقة فله أسئلة مشروعة في مناقشته أسباب رفضه الجلوس إلى طاولة يعدّها غير مجدية في ظاهرها وأقرب إلى فخ في باطنها.

في ما يناقشه الحزب، ويُنقل عن رئيسه بالذات سمير جعجع، بعيداً من مظاهر التعبئة الشعبية في خطبه وبياناته وتصريحات قيادته واتهاماته المساقة إلى حزب الله أولاً وضد الثنائي الشيعي ثانياً، ثلاثة تساؤلات يملك سلفاً أجوبة سلبية عنها كافية في منطقه لأن لا يشارك هو وحلفاؤه في أي حوار يُدعى إليه:

أولها، يكون الحوار حاجة ضرورية وملحة ما إن يشعر طرفاه ويعترفان بداية بأن كلاً منهما أضحى في مأزق مغلق كي يقدّم حوارهما مخرجاً لهما معاً. اعترف الفريق المناهض للثنائي الشيعي ومنه حزب القوات اللبنانية بمأزقه عندما تعذّر عليه إيصال مرشحه الأول النائب ميشال معوض ثم مرشحه الثاني الوزير السابق جهاد أزعور، وهو الآن . مسلّماً بالمأزق . يطلب الوصول إلى «رئيس واقعي» يتاح التوافق عليه من الأفرقاء جميعاً. في المقابل لا يعترف الثنائي الشيعي وحزب الله بالذات أنه أضحى بدوره في مأزق كالآخرين، بل يتصرف بمكابرة كأنه مصيب بتمسّكه بمرشحه الوزير السابق سليمان فرنجية، وفي الوقت نفسه عاجز عن انتخابه وإقناع سواه به. لا يسلّم كذلك كالفريق الآخر بأنه في طريق مسدودة معوّلاً على عامل الوقت. في المنطق الذي يقول به حزب القوات اللبنانية، أن الحاجة إلى الحوار وإلى أولويته ، وإن تجاوزاً للأطر الدستورية الموصدة في ظل التوازنات القائمة. تمسي ضرورية عندما يعترف الأفرقاء جميعاً بأنهم بلغوا المأزق ويتطلبون إيجاد مخرج. يصبح الحوار عندئذ حتمياً عند الفريقين المستسلمين للعجز كي يتبادلا التنازلات.

> **ثلاثة تساؤلات مشروعة لجمع عن جدوى الحوار**

ثانيها، لم تبنَ في المحاولات الأخيرة أي جدية في مقاربة الحوار المفيد والمفضي إلى نتائج إيجابية. دعا الرئيس السابق للحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط، غير المنخرط في أي عداء حالي مع حزب الله، إلى رئيس تسوية وإلى الحوار مع الأمين العام السيد حسن نصرالله على انتخاب الرئيس و«مستقبل لبنان»، فلم يُستجب بمبادرة أو اتصال أو ملاقاة. كذلك الحوار المتواصل بين حزب الله وحليفه العائد التيار الوطني الحر منذ ما بعد جلسة 14 حزيران لم يتقدم خطوة إلى الأمام، ولا يزال يراوح مكانه سواء حيال انتخاب الرئيس أو السلة السياسية التي يناقشانها. عندما يخفق طرازا الحوار هذان وهو ثنائي، ما عساه يحصل إلى طاولة عريضة يجلس فيها الفريقان الأكثر تبادلاً للعداء والكراهية وهما حزب الله وحزب القوات اللبنانية؟

ثالثها، الجلوس إلى طاولة مفتوحة على كتل نيابية كبيرة وصغيرة متفاوتة الحجم والدور والحيثية، سيؤدي إلى تجميع الثنائي الشيعي أكبر عدد منها مؤيّدة لمرشحه في مواجهة ثلاث أو أربع كتل معارضة، كي تؤول الحصيلة إلى ما يشبه انتخاباً معنوياً وسياسياً لفرنجية بغالبية ممثلي الكتل الحليفة، وإتاحة الانطباع بأن مناوئيه أقلية. تالياً يراد من الحوار بهؤلاء جميعاً «بروفة» الوصول إلى انتخاب مرشح الثنائي الشيعي المتمسّك به على أنه الوحيد الموثوق به لديه وتعوزه التزكية المستعصية.

برّي: رفض الحوار ليس مطلقاً وكلّ يريده بحسب مزاجه وشروطه (هيثم الموسوي)

تقرير

تحرّكات ضدّ عودة عميل

أماك خليل

لا يخجل العملاء بمرور الزمن، بل يزدادون وقاحة، مستفيدين من القانون الذي يسقط جرائمهم بهذا «المرور»، ومن تراخي الدولة في الاقتصاص منهم. آخر المتلطّين وراء مرور الزمن كامل محمد حجازي، أحد ضباط الأركان في جيش العميل أنطوان لحد إبان الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان. المتحدّر من بلدة عيترون اعتقد بأن مرور الزمن يمحو وصمة العار الملتصقة به في الذاكرة الجماعية لأبناء البلدات الحدودية. فعلى وقع توقيف موجات جديدة من العملاء، وبعد أكثر من 23 عاماً على فراره مع العملاء وجنود العدو المندحرين إلى كيان العدو في 24 أيار عام 2000، ومغادرته إلى أستراليا، وصل إلى أبناء بلدة عيترون أن حجازي يتحضّر للعودة لزيارة «مسقط رأسه»، وأنه كلّف للغاية محامياً لمتابعة ملفه القضائي والتأكد ما إذا كان لا يزال ملاحَقاً.

الأسير المحرّر نبيه عواضة، ابن عيترون، قرّر مع «هيئة الأسرى المحررين» مواجهة عودة حجازي أياً يكن موقفه القانوني، و«أبلغنا الأجهزة المعنية بأن ضحايا حجازي سيقتصّون منه ولن ينتظروا تحرّك الدولة». وأكّد عواضة أن حجازي «من أسوأ العملاء، وهو ليس متورّطاً في الخيانة فقط، بل في القتل العمد أيضاً، إذ داهم إبان الاحتلال منزل مختار بلدة بني حيان علي جابر وأطلق النار عليه، ما أدّى إلى استشهاده، كما قتل شاباً من بلدة مركبا يُدعى محمد قشمر». لذلك، تستعدّ الهيئة مع أهالي بلدات عيترون ومركبا وبني حيان لتنفيذ اعتصامات ضد عودة حجازي وسائر العملاء الذين يفكّرون في العودة. وأشار عواضة إلى أن الدعاوى القضائية التي قدّمها الأسرى المحرّرون ضد عودة عدد من العملاء من عامر الفاخوري وسواه «لا تزال نائمة في الأدراج لأن القانون يحميهم ببند مرور الزمن».

على الغلاف

على مدى سنوات طويلة، لم تعثر «شركة سمعان غلام وشركاهم للمحاسبة والتدقيق» التي اعتمدتها معظم المصارف للتدقيق في حساباتها على أي «غلطة» في عمل المصارف أو في ميزانياتها، رغم مقامرة هذه الأخيرة بأموال المودعين خلافاً للقانون. «بروفيك» كهذا شجّع حاكم مصرف لبنان السابق رياض سلامة. في أيلول 2021، على اختيار الشركة للتدقيق في حساباته الشخصية بين عامي 2015 و2021. لـ«دحض الشائعات» حول اختلاسه أموالاً عامة بهدف «النيل منه ومن كرامته». وبالفعل، لم تخيّب «سمعان غلام» ظنون سلامة. ففي شهر واحد فقط، أنهت المهمة التي كلّفها بها بـ«نجاح»، فبصمت على «نزاهته» ولم تجد في عمله وأعمال شركائه ما يثير الريبة أو حتى يستحقّ التوقف عنده. مع أن روائح الفضائح كانت تزكم الأنوف من لبنان إلى أوروبا، في أيار الماضي، مثل المدير التنفيذي في الشركة أنطوان غلام أمام الوفد القضائي الأوروبي الذي زار لبنان لمتابعة ملف الجرائم المالية لسلامة. وأقرّ أمام المحققين بأن التقرير الذي أعدّه حول حسابات الحاكم «ليس تدقيقاً»، ولا يتمتع بمعايير دولية. معترفاً بأن «التدقيق» الذي أجرته شركته تم وفق خريطة طريق وضعها سلامة بنفسه، هدفها الأساسي «بيان أن الأموال التي دخلت إلى حساب رياض سلامة لم تكن أموالاً من مصرف لبنان». عملياً، بيّنت التحقيقات الأوروبية أن غلام أدى دور «شاهد زور»، ما يطعن في صدقية شركته ومهنيتها بعدما استخدمها التغطية ارتكابات الحاكم ومعظم المصارف اللبنانية

«شاهد الزور» الذي «دقّق» في حسابات رياض سلامة

لا أعرف... لا أعلم... لا أتذكّر

- **لم نعتمد معايير دولية في التدقيق في حسابات الحاكم السابق**
- **اشترط سلامة إثبات أن الأموال التي يملكها لم تكن من مصرف لبنان**

رلى إبراهيم

في جلسة الاستماع إليه أمام الوفد القضائي الأوروبي، في 2 أيار الماضي، أقرّ أنطوان غلام، المدير التنفيذي في «شركة سمعان غلام وشركاهم للمحاسبة والتدقيق»، بأن ما قامت به شركته من «تدقيق لحسابات حاكم مصرف لبنان رياض سلامة» لم يكن تدقيقاً حقيقياً، بل «إجراءات متّفق عليها بموجب اتفاقية تسمّى كتاب التزام (Engagement)»، معترفاً كذلك بأن التقرير الذي أعدّته الشركة لم يعتمد معايير دولية. علماً أن التذرع بـ«كتاب الالتزام» حجة مردودة، لمعرفة الشركة مسبقاً، عند إعداد تقريرها، بأن سلامة موضع تحقيقات في لبنان وعدد من الدول الأوروبية بجرائم تبييض أموال واختلاس وسوء استخدام للسلطة. وبالتالي، إن مجرد الموافقة على نص محدّد ومتفق عليه يُدين الشركة ويجعل كل تقاريرها المحاسباتية على مدى الأعوام السابقة موضع تشكيك. فالشركة، بموافقتها على إجراء التدقيق وفقاً لشروط وضعها سلامة، تكون قد ساعدت الحاكم المتهم في تبديد أموال المودعين وإخفاء مخالفاته واستخدامه للمال العام لمصالح شخصية وعائلية.

الشروط التي وضعها سلامة على الشركة أربعة، هي: 1) الاطلاع على كشوفات يزودها سلامة بأرقامها بنفسه، 2) الاطلاع على عملية واحدة محددة مع بنك عوده، 3) الاطلاع على بعض حساباته الشخصية وليس جميعها، 4) الاطلاع على حسابات أربع شركات خارج لبنان.

الغريب أن مديراً تنفيذياً شغل مناصب عدة في التدقيق المحاسبي، ارتضى العمل كمبتدئ أو أن يكون أداة لدى سلامة عبر توقيع اتفاقية نصّ بندها الأول، كما يقول غلام نفسه، على «بيان أن الأموال التي دخلت إلى حساب رياض سلامة لم تكن أموالاً من مصرف لبنان». ولدى سؤاله عما إذا كان تقريره يشكل إجابة حاسمة على هذا البند، أجاب بـ«لا».

غامر غلام بسمعة شركته ووضع نفسه في دائرة الشكّ، ما أدى إلى استدعائه إلى التحقيق، مقابل «200 ألف دولار» على ما أدلى به في إفادته. ونفى علمه بغرض التقرير ووجهة استخدامه. إلا أن الأهم أنه نفى أن يكون قد فحص المستندات المقدمة إليه قبل المهمة، ما يطرح علامات استفهام كثيرة حول الشركة وصدقيتها ومدى مهنيّتها.

تلميذ سلامة النجيب

في التحقيق الذي اطلعت عليه «الأخبار»، بدا مربكاً أن يكون وكيل سلامة وابن شقيقته، مروان عيسى الخوري، هو من وقّع العقد مع «شركة سمعان غلام» بالنيابة عن الحاكم، مع أن الأخير كان موجوداً أثناء التوقيع. وهو أبلغ القضاة أنه لم يسأل عن سبب ذلك، ولا عن أي مستندات أخرى غير تلك التي زوّده بها الحاكم ليدقّق بها. لا بل بدا متسامحاً في الدفاع عن سلامة، إذ لم يُلحق مقتطفات من المحادثات بالتقرير مبرراً ذلك بالسرية المصرفية، وامتنع عن تزويد القضاة بأي حسابات للحاكم عندما طلبوا منه ذلك، بالحجة نفسها. وهو أقرّ بأنه لم يطلب أي تفاصيل أخرى خارج التواريخ التي حددها سلامة «طالما أنني لا أقوم بعملية تدقيق». فحصر عمله في حسابي الدولار واليورو، ولم يكلّف نفسه عناء السؤال عن أي حسابات أخرى لسلامة في مصرف لبنان، بما فيها مثلاً حسابه بالجنيه الاسترليني أو الليرة اللبنانية، ولا عن حسابه الخاص في لوكسمبورغ. وهو ردّ على كل الأسئلة عمّا إذا كان يعرف بوجود حسابات أخرى لسلامة في مصرف لبنان أو في الخارج أو في دول أجنبية بعبارة: «لا أعرف». تمحور الجزء الثاني من التحقيق حول التحويلات التي خرجت من حسابات الحاكم السابق لمصرف لبنان ومن حساب المقاصة وحساب العمولات. فقد جاء في التقرير الذي أعدّته الشركة أن «قسماً من الأموال المودعة في حساب العمولة مصدرها البنوك التجارية، أما القسم الآخر، فيأتي من اعتمادات غير محددة». ولدى سؤال غلام عما إذا اهتم بمعرفة سبب قيام المصارف بدفع الأموال إلى حساب مصرف لبنان، أجابها بأنها عبارة عن عمولة 8/3% لقاء عمليات شراء السندات، لكنه لم يضمّ إشعارات الشراء إلى تقريره بسبب كبر حجمها، مؤكداً أنه اطلع عليها في كشوفات الحساب. وأضاف إنه في كشف الحساب بين 2002 و2015، كانت التحويلات الصادرة عن المصارف اللبنانية تتضمن اسم المصرف المحوّل في التحويل، وفي حال كان ناقصاً «كنت أطلب من مصرف لبنان إيداعي اسم المصرف وتاريخ الشراء، وبناءً عليهما نظّمت تقريري». مقابل هذه «الدقة»، لم يطلب غلام، مثلاً، الاطلاع على قوائم سندات الخزينة واليوروبوند التي تم شراؤها أو مطابقة المدفوعات مع تعاميم المجلس المركزي، لأنها «لم تكن ضمن المهمة».

«أنا مدقق... لكن لا أعرف»

قد يكون ما سبق قابلاً للتصديق رغم صعوبة «ابتلاعه»، إلا أن ما لا يُصدَق هو عدم سؤال مدقّق محاسبي عن بنود في تقريره بملايين الدولارات، مع أن المفترض أن يكون كل عمله متمحوراً حول البحث في أدقّ التفاصيل والتدقيق في كل الأرقام. إذ يورد التقرير «سويفت» بـ 5 ملايين و889 ألف دولار، إلا أن غلام لم يطلب الاطلاع على المستندات الخاصة بالتحويل، مكتفياً فقط بذكر المبلغ! كما يرد في التقرير مبلغ مالي قدره 16,9 مليون دولار دُفع لمصلحة الخزينة اللبنانية (رسوم)، قال غلام إنه لم يطّلع على المستندات الخاصة به ولم يتثبّت من صحته، بل اكتفى بـ«ما هو وارد في كشف الحساب». ولدى سؤاله إن كان مبلغ الـ 16,9 مليون دولار هو من المال العام أو الخاص، أجاب: «لا أعرف». وعبارة «لا أعرف» أجاب بها أيضاً عن سؤال عما إذا كان يؤكد عبارة «رسوم سندات يوروبوند على الجمهورية اللبنانية». مراراً، حاولت القاضية أود بوريزي معرفة ما الذي يعرفه غلام بالضبط من كل ما خطّه في التقرير، فحاولت الاستفسار عما إذا كان قد طلب إيضاحات حول مبلغ 6 ملايين و200 ألف دولار مدفوع إلى المحامي ميشال تويني لقاء استشارات قانونية من حساب مقاصة في مصرف لبنان، فأجاب «لم أعد أذكر»، وكيف يفسر أن يستعمل حساب مقاصة لدفع رسوم قانونية، وهل هذا جائز محاسبياً؟ قال: «لا أعرف». وأضاف: «لم أدقق في معنى عبارة أتعاب قانونية ولا إلى من ذهبت هذه الأتعاب».

كان واضحاً أن المحقّقين لم يقتنعوا بإجابات غلام ولا بمحاولته تقديم نفسه كمدقق مغمور لا يفقه في ديباجيات المهنة، وهو ما دفع القاضية إلى تشديد لهجتها تجاهه. فسألته مجدداً: لكنك تمكنت من الاطلاع على حساب المقاصة بين عامي 2002 و2015، وكذلك على حسابات شركة «فوري» المفتوحة لدى مصرف HSBC في سويسرا. من أعطاك هذا الحساب؟ فأجاب: «الحاكم». وكيف استطاع الحاكم الحصول على بيانات «فوري» المسجلة في جزر العذراء؟ قال: «لا أعرف».

وردّاً على سؤال عن الفروقات بين ما دخل إلى حساب «فوري» وما خُوّل من مصرف لبنان، وهل لاحظ ذلك عامَي 2002 و2004 وما هو تفسيره؟

> **المستندات التي زوّدنا بها سلامة غير كافية لإجراء تدقيق**
>
> **اشترط الحاكم الاطلاع على بعض حساباته الشخصية وليس جميعها**

أجاب: «لا أذكر». وفي سؤال آخر: في 2007/11/27 ثبت أن هناك فروقات في حسابات كثيرة ومتعددة بين ما دخل إلى حساب «فوري» وما خرج من مصرف لبنان، فهل لاحظت ذلك وكيف تفسّره؟ فأجاب أيضاً: «لا أذكر». وردداً على سؤال حول حسم 200 ألف دولار في 2003/8/7، من حساب عمليات لمصلحة خطار الياس حنّي - فرع التباريس - وفقاً لتصريح من رياض سلامة، وكيف يفسّر هذه الدفعة؟ ردّ أيضاً: «لا أعرف. يجب مراجعة التقرير». وتوالت الأسئلة مع إجابة شبه واحدة: هل كانت تُحصَّل عمولة صرف من معاملات بيع السندات (50 دولاراً عن كل عملية)؟ أجاب: «ليس ذلك من ضمن المهمات الموكلة إليّ ولم أراقب الأمر». هناك أربعة تحويلات من مصرف لبنان إلى «فوري» غير متأتية من حساب العمولات، فهل لديك تفسير؟ أجاب: «أعتقد أنني أوضحت ذلك في تقريري وسأزوّدكم بالمستندات الموجودة لديّ». كيف يمكنك وصف تعامل مصرف لبنان وبنك عوده (أبرز المستفيدين من الهندسات المالية وشريك سلامة ونجله ندي في بعض الشركات)؟ ردّ قائلاً: «تعامل عادي». ما سبق لا يبرّئ أنطوان غلام، بل يثير شبهات بتورطه مع سلامة إما تحت وطأة الضغط والابتزاز وإما لأنه أحد المستفيدين من «مكرمات» الحاكم. وخصوصاً أن شركته استخدمت سنوات طويلة لتغطية الموبقات التي ارتكبها مصرف لبنان والمصارف التجارية.

«تقريري غير صالح»

في ختام التحقيق، عادت الأسئلة لتتمحور حول سلامة. سألت القاضية عن امتلاك الحاكم السابق حسابات أخرى في مصرف لبنان غير التي أراد التدقيق فيها، فتمسّك غلام بالجواب نفسه: «لا أعرف». وعن دفع سلامة رواتب من حساباته الخاصة أشبه برشى، رفض الإجابة متذرّعاً بـ«السرية المصرفية». وتمسك غلام بالمهمة المحددة له في الاتفاقية للتنصل من مسؤولياته. فقد تبيّن، مثلاً، إيداع 3 ملايين يورو و206 ملايين دولار كشيكات في حساب سلامة، إلا أن الشركة المدققة لم تكلف نفسها عناء السؤال عن مصدر هذه الشيكات ولا طلب نسخ عنها. الا يدخل ذلك ضمن مهمة إثبات إن كان المال الموجود في الحسابات عاماً أو خاصاً؟ كذلك الأمر بالنسبة إلى تحويل سريع أو «سويفت» بقيمة 15 مليون دولار، إذ لم يعمد إلى التحقق من الـ«سويفت» المقابل ولا تحديد مرسلي المبلغ. واللافت أن مبلغاً بقيمة 18 مليون دولار و1130 يورو بقي مجهولاً ولم يُجرَ تحليله. ولدى سؤاله عن سبب ذلك، ردّ غلام بأنه سيعود إلى التقرير ويزوّدها بالشروحات اللازمة. وعندما استفسرت إن كان قد حصل نقاش بينه وبين سلامة ووكيله مروان عيسى الخوري بشأن التقرير قبل إعداد النسخة النهائية، ردّ إيجاباً، مشيراً إلى جلسة بينهم استغرقت ساعة ونصف ساعة تخلّلها طرح خوري لبعض الأسئلة، نافياً أن يكون قد أجرى أيّ تعديل بعد ذلك. وعمّا إذا كانت هناك نسخة أخرى من التقرير؟ أجاب: «طلب مني الحاكم 10 نسخ واحتفظ بنسختي الخاصة، وقد أسلّمكم نسخة عنها بعد استشارة وكيلي القانوني». غير أن ذلك ليس وحده ما استرعى اهتمام الوفد الأوروبي، بل إجابة غلام بأنه بنى خلاصة تقريره كلها على أن سلامة لم يستخدم أي أموال عامة بالاستناد إلى كشوفات الحساب التي زوّده بها سلامة نفسه، ومن دون التأكد من أن هذه الحسابات لم تدخلها أموال من البنك المركزي بعد تجاهله كل التحويلات الداخلة إلى الحساب ومصدرها. ولعل أبلغ تقييم لتقرير غلام هو ما صرّح به غلام نفسه حول العمل الذي قام به، إذ سُئل: ما هي المستندات التي كان يمكن أن تطلبها لو أجريت تدقيقاً حقيقياً؟ أجاب: «لكان قد تغيّر الموضوع كلياً لناحية مقاربة العمل من الأساس». وهل كانت المستندات التي زوّد بها رياض سلامة كافية لإجراء تدقيق؟ قال: «بالطبع لا»!

خبرة في التدقيق لأكثر من 30 عاماً

شركة BDO, Semaan, Gholam & co هي واحدٌ من مكاتب التدقيق الخارجي والمحاسبة المجازة للتدقيق في الحسابات المالية وميزانيات الشركات والمصارف، ويشغل فيها أنطون غلام (انتُخب عام 2008 نقيباً لخبراء المحاسبة المجازين في لبنان) منصب المدير التنفيذي، إلى جانب كونه شريكاً فيها منذ عام 1996، وممثّلها في كل ما يتعلق بالأعمال الخارجية. وقد صُنفت الشركة في أيلول 2018 من ضمن مكاتب التحقيق والمحاسبة المؤهّلة للقيام بمهام التدقيق الخارجي لحسابات المؤسسات والمرافق العامة التابعة للدولة اللبنانية، بموافقة وزير المال علي حسن خليل آنذاك. علماً أنها واحدة من أكبر الشركات في السوق المحلي ولها خبرة في التدقيق تفوق ثلاثين عاماً، ما جعلها واحدة من الشركات المعتمدة من المصارف التجارية اللبنانية إلى جانب الشركات العالمية أمثال «ديلويت» و«ارنست اند يونغ» و KPMG. ويفترض بالمصارف، وفق القانون، أن تعتمد شركات التدقيق الخارجي في حساباتها وميزانياتها وأحد الموظّفين للقيام بالتدقيق الداخلي، على أن تتم المداورة بين الشركات. فلا يحقّ للمصرف أن يتعاقد مع الشركة نفسها لأكثر من سنتين.

لكن ماذا يتضمّن التدقيق الخارجي؟ بهذا المعنى، تشمل مهام الشركة التدقيق في أرباح المصارف وخسائرها وأصولها وما إذا كانت صحيحة ومتناسبة مع الأرقام التي يقدّمها المصرف، كما تشمل التأكّد من التزام المصارف بالقوانين والمعايير الدولية، من دون أن يكون من مهامها التدقيق في مصدر الأموال وفي عمليات الشراء والبيع. لكن ذلك لا يعني أن هذه الشركات لا تعمل في بعض الأحيان بالتواطؤ مع المصارف لتلقينها أصول إخفاء الخسائر أو تقديم ميزانية خالية من الشوائب أو التستّر على عمليات تبييض أموال، وهو ما حصل فعلياً في الفترة التي سبقت الانهيار المالي في لبنان. علماً أن من واجب هذه الشركات، حتى لو كان الأمر خارج مهامها، التبليغ عن أي أعمال غير شرعية وقانونية وعن تعريض المصارف الودائع للمخاطر عبر زيادة حجم التوظيفات في مصرف لبنان بالعملات الأجنبية.

(هيثم الموسوي)

أخبار القضاء

محامون يخالفون قانون المهنة

بسبب تغيّب المحامين المكلّفين من نقابة المحامين في بيروت، بموجب معونة قضائية، بالمرافعة والمدافعة عن موقوفين أمام المحكمة العسكرية الدائمة، يضطرّ رئيس المحكمة العميد الركن الإداري خليل جابر إلى تأجيل الجلسات مراراً، فيما يتكرّر غياب المحامين الـ 18

من دون اكتراث بموكليهم، بما يخالف الأصول القانونية والموجب الأخلاقي والمهني وقانون تنظيم مهنة المحاماة.

ورغم أنّ العميد جابر زار نقيب المحامين ناضر كسبار في مكتبه وبحث معه في سبل معالجة المشكلة عبر تكليف محامين آخرين بالحلول مكان المتغيّبين لتسيير الجلسات، إلّا أنّ الأمر لم يُبتّ بعد، ما يؤدّي إلى تأخير المحاكمات وإصدار الأحكام، وزيادة معاناة الموقوفين الذين ينتظرون انتهاء مسلسل توقيفهم.

مكية يدعم عويدات

يتردّد في أروقة العدلية في بيروت أنّ الأمين العام لمجلس الوزراء القاضي محمود مكية يضغط على مجلس القضاء الأعلى، من أجل انتداب قاضٍ من الطائفة السنية لمركز قاضي التحقيق الأول في بيروت، وتجاوز آلية الانتداب المعمول بها بحلول قضاة من الدائرة نفسها مكان القاضي شربل أبو سمرا عند تقاعده.

وتقول مصادر قضائية إن مكية طرح اسمَي القاضيين أيمن عويدات وزلفا الحسن، علماً أنّ عويدات مرشّح لرئاسة هيئة التفتيش القضائي عند تشكيل حكومة جديدة بعد انتخاب رئيس للجمهورية.

(الأخبار)

رأي

أميركا: الدولة الأكثر معاداةً للديموقراطيّة حول العالم

أسعد أبو خليك *

في خضمّ الحديث عن الديموقراطيّة وعن نشر الديموقراطيّة بتوجّب تصنيف الدول التي تدعم أو تعيق الديموقراطيّة حول العالم. من الملاحظ، أوّلاً، أن برنامج نشر الديموقراطيّة في عالمنا (بعد الأفيّة) ترافقَ مع حروب غربيّة وحشيّة تركّزت على بلاد العرب والمسلمين. لكنّ الحروب المدمّرة التي انتشرت في بلادنا، بمسمّيات مختلفة، لم تفشل فقط في تحقيق أي نسقٍ من الديموقراطيّة، بل هي رسّخت نظام الطغيان العربي المستديم. أصبح تحالف أميركا مع النُظم الديكتاتوريّة يقع تحت عناوين محاربة الإرهاب، فيما كان في سنوات الحرب الباردة يقع تحت عناوين محاربة الشيوعيّة والقوميّة العربيّة. في كل الحالات، تستطيع أميركا أن تجد صيغة تدعها تحارب الديموقراطيّة فيها، فيما هي تلهج بحمدها في خطابها الدعائي. هذه هي جدليّة الديموقراطيّة عند أميركا.

الديموقراطيّة في الداخل: نستطيع أن نحسب الدور الأميركي بالنسبة إلى الديموقراطية على المستوى الداخلي والخارجي على حدّ سواء. اعتدنا في العالم العربي أن نفصل بين السياسة الداخليّة والخارجيّة في الحُكم على سياسات أميركا. حتى بعض الزعماء الوطنيّين العرب كانوا يقولون: لماذا لا تتبع السياسة الخارجيّة الأميركيّة الديموقراطيّة التي تتجلّى في السياسات الداخليّة؟ على الصعيد الداخلي، نجد تجلّيات مختلفة لمعاداة الديموقراطيّة في النظام السياسي الأميركي. وهذه بعض من تلك النماذج: أوّلاً، أن أميركا من الدول القليلة في العالم التي ترفض أن تجري الانتخابات فيها في يوم عطلة. والانتخابات في يوم العطلة تأتي بالمزيد من الناخبين والناخبات. ونسبة الاقتراع في أميركا (نحو النصف أو أقل) هي الأدنى بين الديموقراطيّات الغربيّة وهذه النسبة هي مقصودة لأن الفقراء والمحتاجين هم الأقلّ قدرة على الاقتراع في يوم عمل (يوم الثلاثاء هو يوم الانتخاب هنا)، فيما يستطيع الميسور أن يقترع في أي يوم لأن ثمن التغيّب عن العمل عند الفقير هو غير ما هو عليه عند الميسور (يلحظ القانون الأميركي حق الاقتراع للعامل من دون خسارة مرتّبه لكن الخسارة تلحق بالعامل الذي يتغيّب مهما كان). وتخفيض نسبة الاقتراع هو نقيصة في الديموقراطيّة إلى درجة أن هناك دولاً تفرض غرامة على الذي يمتنع عن الاقتراع (وزيادة نسبة الاقتراع تجعل النظام السياسي أشمل تعبيراً عن أهواء ومصالح الناس أجمعين، أو لنقل يجعله أكثر تعبيراً من نظام الاقتراع الأميركي. وأستراليا، مثلاً، تفرض غرامة على عدم الاقتراع وتصل نسبة الاقتراع فيها إلى أكثر من تسعين في المئة فيها. وهناك دراسة لبنك الإنماء التابع للأمركنّيّن وفيها أن الدول التي تفرض غرامة على عدم الاقتراع يكون العدل الاجتماعي فيها أفضل من الدول التي لا تفرض غرامة). وأميركا راضية بحالة عدم الاقتراع لأن الفقراء يمكن أن يغيّروا من نتائج الاقتراع (الحزب الجمهوري هو اليوم أكثر خوفاً من الفقراء، لكنّ الحزبيّن يتوافقان على تخفيض الاقتراع عندما يكون ذلك ملائماً).

> اعتدنا في العالم العربي أن نفصل بين السياسة الداخليّة والخارجيّة في الحُكم على سياسات أميركا. حتى بعض الزعماء الوطنيّين العرب كانوا يقولون: لماذا لا تتبع السياسة الخارجيّة الأميركيّة الديموقراطيّة التي تتجلّى في السياسات الداخليّة؟

ثانياً، يجري الاقتراع في الشتاء وليس في الصيف أو الربيع مثل معظم دول العالم. والكثير من ولايات أميركا تكون مطمورة بالثلج في شهر نوفمبر/ تشرين الثاني عندما تجري الانتخابات العامّة. ويمكن زيادة نسب الاقتراع لو أن الاقتراع يجري في الربيع أو الصيف.

ثالثاً، نظام الاقتراع الأميركي نظام مُغلق، لأنه يجري حسب الأكثريّة في الدائرة الانتخابيّة الصغيرة، ما يمنع ظهور مرشّحي أحزاب ثالثة، وهذه مؤامرة مقصودة من الحزبيّن. أي إن النظام الأميركي الذي يُروّج لنفسه على أنه الأفضل هو الأقل عرضة للمفاجآت من بين النظم السياسيّة. هناك مفاجآت في النظام الاستبداديّة أكثر منا هنا، خصوصاً أن أكثر من 90% من الذين يخوضون انتخابات الكونغرس ينجحون فيها. والحزبان يعارضان حتى الساعة أي صيغة تمثيل نسبي، والتي أثبتت أنها الأكثر نجاحاً في توسيع التمثيل من ناحية النسوية والأقليات والأحزاب وأفراد غير ميسورين.

رابعاً، تاريخياً، كانت عمليّة الانتخابات تتعرقل أمام السود والفقراء عن قصد وعبر سلسلة من الإجراءات مثل فرض شروط علميّة أو إدراكيّة، وكانت هناك أسئلة على المُقترع أن يجيب عنها قبل أن يقترع. والولايات الخاضعة للحكم الجمهوري تحاول أن تعيد العمل بهذه المُعرقلات لأنها تعلم أن اقتراع السود ليس في صالحها. والحزب الديموقراطي تاريخياً كان هو الذي يعرقل اقتراع السود في الجنوب الأميركي. وفي أميركا، هناك مثلاً فرض للتسجيل للاقتراع قبل الاقتراع، ما يجعل عمليّة الاقتراع أقلّ سهولة من الدول الأخرى.

خامساً، هذه دولة تصل فيها نفقات الانتخاب (الترشح وخوض الانتخابات) إلى أعلى نسبة في العالم، بصرف النظر عن معيار المقياس. وتقدّر قيمة الإعلان الانتخابي في الانتخابات المقبلة بأكثر من عشرة مليارات دولار. كذا تخوض انتخاباتها بنسب أقل بكثير من الإنفاق، والنظام السياسي هناك يُعتبر أكثر ديموقراطيّة من هنا. هذا الجانب من الانتخابات في أميركا يحصر الترشيح بالأثرياء، أو بالذين لديهم أقنية مع الأثرياء. التمثيل السياسي يزداد نخبويّة تماماً كما أراده المؤسّسون الذين صمّموا نظام تصفية مزدوجة في اقتراع الرئيس لعدم ثقتهم بالعامّة.

سادساً، أميركا خاضعة لنظام سياسي جامد لأن الدستور المعمول به هو نفسه الذي تركه المؤسّسون. إنّ الصراع حول عزل الرئيس نابع من غموض الصياغة الدستوريّة حول الموضوع لأن الواضعين تحدّثوا عن حالات «الرشوى والخيانة والجرائم والجنح العليا». هذه الصيغة تترك للمستغلّين السياسيّين الفرصة للنفاذ لمعاقبة رئيس من حزب خصم.

بناءً عليه، فإنّ الدولة التي كانت تلهج بحمد ديموقراطيّتها عندما كان السود مُنْعدين عن الحياة السياسيّة والتي كانت تفرض معايير مُلكيّة على المشاركة السياسيّة، تعاني من سقم في بنيتها الديموقراطيّة وتمثيليّة مشرّعيها. النظام الأميركي محدود ومغلق، وهذه سمات تتناقض مع الوعود الديموقراطيّة. لا أقول إن ليس هناك من أنظمة ديموقراطيّة في العالم، لكن هذا النظام يعاني بصورة ماسّة من ضعف بنيوي يظهر في الأزمات السياسية المتلاحقة.

أمّا في السياسة الخارجيّة، فإنّ الثابت في السياسة الأميركيّة بعد الحرب العالميّة الثانية أن أميركا تفضّل النظم الاستبداديّة على النظم الديموقراطيّة. ولو وُجد نظام ديموقراطي ما فتأكّدْ أن أميركا تتدخّل في شؤونه من أجل ضمان فوز مرشحيها وتمرير سياساتها ومحاربة وإقصاء أعدائها. هذا لا يسري فقط على دول العالم النامي بل يسري على الدول الغربية نفسها. وهناك دراسة للبنزي أوروورك بعنوان «المنطق الاستراتيجي لتغيير النظام السرّي: حملات تغيير النظام المدعومة أميركيّاً في الحرب الباردة» (مجلّة «سيكيوريتي ستاديز»، جزء 29، 2020، رقم واحد). وفي هذه الدراسة نكتشف أن المؤلّفة أحصت 64 حالة تغيير حكومة من قبل الحكومة الأميركيّة. والمفارقة أن ذلك جرى في سنوات الحرب الباردة عندما كانت أميركا تطرح الصراع بينها وبين الاتحاد السوفياتي على أنه صراع بين الحرية من جهة وبين التوتاليتارية من جهة أخرى، أو بين الديموقراطيّة والاستبداد.

ولم تكتفِ أميركا بقلب الأنظمة التي لا تعجبها (وليس في أسباب حُكمها أي اهتمام أو اكتراث بالديموقراطيّة أو حرّية الشعوب)، بل هي تدخّلت أكثر من أي دولة في العالم للتأثير على نتائج الانتخابات. هي تمنع الانتخابات عندما لا تستطيع أن تضمن نتائجها (هي منعت الانتخابات في الضفة والقطاع بعد فوز «حماس»، وكانت هي متحمّسة للانتخابات قبل فوز «حماس» ودعمت بالمال والسلاح حركة «فتح»)، وهي تسمح بالانتخابات عندما تستطيع أن تتدخّل بقوّة فيها. وهناك دراسة لدوف ليفن وفيها يمحّص في الأرشيف عن عمليّات تدخّل للمرشّحين المنافسين للرئيس عبد الفتاح السيسي، الذي ينوي الترشح لفترة رئاسية جديدة، يُفترض أن تكون الأخيرة وفق الدستور الحالي، ما لم يُعدّل الدستور قبل انتخابات 2030، على غرار ما حدث بعد الانتخابات الماضية. وفي مساعيه للاستمرار في الانفراد بالسلطة، يواصل السيسي سياسة إحكام السيطرة، محاولاً، هذه المرّة، تلافي «أخطاء» انتخابات 2018، عندما عجّزت الدولة عن إيجاد مرشّح شكلي ينافس الجنرال، فدفعت بترشيح رئيس «حزب الغد»،

> اتّخذ السيسي قرارات شعبويّة من أجل ضمان تجاوز فترة الانتخابات

موسى مصطفى موسى، الذي أعلن بدوره أن صوته سيكون للسيسي في صندوق الاقتراع، ومن هنا، بدأت التحضيرات مبكراً لإيجاد «كومبارس» انتخابي وفق شروط أجهزة الأمن، من مثل رئيس حزب «الوفد»، عبد السند يمامة، وأسماء أخرى عديدة جرى طرحُها من قِبَل الأحزاب المؤيّدة للرئيس.

لكن ما يظلّ يُقلق النظام بشكل خاص، وجود مرشّحين خارجين عن السيطرة، على غرار رئيس حزب «الكرامة» السابق، أحمد طنطاوي، الذي يحاول انتزاع مزيد من الحرية في الحركة السياسية، على رغم المضايقات التي يتعرّض لها مؤيّدوه وأقاربه، والتي وصلت إلى درجة توقيفهم وتوجيه اتّهامات إليهم، فضلاً عن محاولات اختراق هاتفه، ومراقبة تحرّكاته، وتحذير المواطنين من التعاون معه أو استقباله. وبذلك، فإن طنطاوي، الممنوع من الظهور على شاشات الإعلام المصري بشكل كامل، ظهر وكأنه يحارب منفرداً، وخصوصاً أن «التيار الحرّ» الليبرالي قرّر عدم الدفع بمرشح رئاسي، بينما لا تزال أحزاب المعارضة الأخرى تبحث الدفع برؤسائها كمرشحين، وهو ما نتج منه، أوّل من أمس، إعلان رئيسة حزب «الدستور»، جميلة إسماعيل، ترشّحها، وموافقة «الحزب الديموقراطي الاجتماعي» على ترشيح رئيسه، فريد زهران.

ووفق تقرير حقوقي صادر عن «المبادرة المصرية للحقوق الشخصية»، وهي إحدى الجهات المستقلّة المعنيّة بتوثيق أوضاع الحريات وحقوق الإنسان، فإنّ 35 عضواً في حملة طنطاوي، وهم من 13 محافظة مختلفة، جرى اعتقالهم من الشارع أو من منازلهم وأعمالهم، وإخفاء بعضهم قسراً لفترة، قبل ظهورهم في نيابة أمن الدولة للتحقيق معهم. ووفق المبادرة، تلقّى بعض أعضاء الحملة استدعاءات للتحقيق من قِبَل «الأمن الوطني»، بينما صدر قرار بحبس 35 منهم بالحبس على الناشر والقيادي في «التيار الحر»، هشام قاسم، لمدّة 6 أشهر، على خلفية اتهامات تبادلها مع القيادي العمالي الأسبق، كمال أبو عيطة، الذي عمل وزيراً للعمل بعد «ثورة يناير»، وسط انتقادات حقوقية واتهامات للأخير بأن تحرّكه جاء بناءً على تعليمات أمنية، وخاصة أن الأحكام التي صدرت ضدّ قاسم ستمنعه من خوضه السباق الانتخابي. وبالعودة إلى قانون الانتخابي، فهو يشترط لقبول ترشّح شخص ما، أن يزكّيه 20 عضواً على الأقلّ من أعضاء مجلس النواب، أو أن يجمع 25 ألف توكيل من 15 محافظة مختلفة على الأقلّ، بواقع ألف من كلّ منها في الحدّ الأدنى. وهو شرط، وإنْ كان يسيراً تحقيقه على المرشّحين، إلّا أنه يحمل خطورة كبيرة على مؤيّديهم، في ظلّ تدوين بياناتهم لدى أجهزة الدولة، وما يمكن أن يتبع ذلك من ترهيب أمني. وقبل أسابيع، طرح حزب «العدل»، اسم حسام بدراوي، القيادي البارز في «الحزب الوطني» المنحل إبان حكم حسني مبارك، كمرشّح محتمل للانتخابات الرئاسية، لكن الرجل خرج في لقاء تلفزيوني تحدّث فيه إلى أي قاعدة حقيقية في الشارع. أمّا قانون حظر التجمهر والتظاهر، فلا يزال ساري المفعول بشدّة على المعارضين، بينما يُجري غضّ الطرف عن التظاهرات المؤيّدة للسيسي، والتي تنقلها الفضائيات الحكومية وأيضاً على المؤسسة العسكرية التي بات طرح أيّ مرشّح منها لانتخابات الرئاسة، وفق التعديلات القانونية، بحاجة إلى موافقة من المجلس الأعلى للقوات المسلحة، ما يعني أن السيسي وحده يملك صلاحية إتاحة الفرصة لوجوه تلك المؤسّسة للترشّح. وإذ طُرح اسم رئيس أركان الجيش الأسبق، الفريق محمود حجازي، ذي السبعين عاماً، في سوق التداول، فإن الرجل لن يستطيع الترشّح من غير موافقة القادة العسكريين، بعدما كان باب خوض المنافسة مفتوحاً على مصراعيه في السابق، شرط مضيّ فترة محددة من التقاعد أو الاستقالة. كذلك، لا تزال المخاوف من الانتقام حاضرة لدى أيّ عسكري يقرّر الترشّح لمنافسة السيسي، أخذاً في الاعتبار ما حدث لرئيس الأركان الأسبق، الفريق سامي عنان، الذي جرى وضعه في السجن لمدّة عامين، مع حبس غالبية أنصاره بتهم مختلفة، قبل أن يتمّ الإفراج عنه على وقع ضغوط من قادة عسكريين سابقين.

وعلى الرغم من أن المناخ السياسي يبدو ديموقراطياً في الظاهر، إلّا أن الخوف من مرحلة ما بعد الانتخابات لا يفتأ يتزايد، ليس فقط من احتمالات التوقيف أو تلفيق الاتهامات التي تبدو جاهزة من اليوم، ولكن أيضاً من عودة التضييق على الأحزاب السياسية «الإنجازات»، بتوقيع أحزاب مختلفة تشترك في ما بينها في الافتقار إلى أي قاعدة حقيقية في الشارع. فلا يزال سعي المفعول بشدّة على المعارضين، بينما يُجري غضّ الطرف عن التظاهرات المؤيّدة للسيسي، من وقت إلى آخر، في تطبيق انتقائي للقانون.

ولم يقتصر التضييق على مرشّحي الرئاسة على المدنيين فقط، بل انسحب أيضاً على الأحزاب المحلّية، وإصلاح الجوانب غير القابلة للتطبيق في نصوص الدستور الحالي.

ملف

مصر تستعدّ لرئاسياتها: الترشّح متاح والمنافسة ممنوعة

القاهرة - الأخبار

بمجرّد إعلان «الهيئة الوطنية للانتخابات»، الجدول الزمني لانتخابات الرئاسة المصرية لعام 2024، الإثنين المقبل، سيكون باب الترشّح مفتوحاً أمام الجميع بحكم القانون، تمهيداً لانتخاب رئيس للجمهورية لمدّة 6 سنوات. إلّا أن ذلك لن يعني، بالضرورة، توافر فرص حقيقية للمرشّحين المنافسين للرئيس عبد الفتاح السيسي، الذي ينوي الترشّح لفترة رئاسية جديدة، يُفترض أن تكون الأخيرة وفق الدستور الحالي، ما لم يُعدّل الدستور قبل انتخابات 2030، على غرار ما حدث بعد الانتخابات الماضية. وفي مساعيه للاستمرار في الانفراد بالسلطة، يواصل السيسي سياسة إحكام السيطرة، محاولاً، هذه المرّة، تلافي «أخطاء» انتخابات 2018، عندما عجّزت الدولة عن إيجاد مرشّح شكلي ينافس الجنرال، فدفعت بترشيح رئيس «حزب الغد»،

> اتّخذ السيسي قرارات شعبويّة من أجل ضمان تجاوز فترة الانتخابات

موسى مصطفى موسى، الذي أعلن بدوره أن صوته سيكون للسيسي في صندوق الاقتراع، ومن هنا، بدأت التحضيرات مبكراً لإيجاد «كومبارس» انتخابي وفق شروط أجهزة الأمن، من مثل رئيس حزب «الوفد»، عبد السند يمامة، وأسماء أخرى عديدة جرى طرحُها من قِبَل الأحزاب المؤيّدة للرئيس.

لكن ما يظلّ يُقلق النظام بشكل خاص، وجود مرشّحين خارجين عن السيطرة، على غرار رئيس حزب «الكرامة» السابق، أحمد طنطاوي، الذي يحاول انتزاع مزيد من الحرية في الحركة السياسية، على رغم المضايقات التي يتعرّض لها مؤيّدوه وأقاربه، والتي وصلت إلى درجة توقيفهم وتوجيه اتّهامات إليهم، فضلاً عن محاولات اختراق هاتفه، ومراقبة تحرّكاته، وتحذير المواطنين من التعاون معه أو استقباله. وبذلك، فإن طنطاوي، الممنوع من الظهور على شاشات الإعلام المصري بشكل كامل، ظهر وكأنه يحارب منفرداً، وخصوصاً أن «التيار الحرّ» الليبرالي قرّر عدم الدفع بمرشح رئاسي، بينما لا تزال أحزاب المعارضة الأخرى تبحث الدفع برؤسائها كمرشحين، وهو ما نتج منه، أوّل من أمس، إعلان رئيسة حزب «الدستور»، جميلة إسماعيل، ترشّحها، وموافقة «الحزب الديموقراطي الاجتماعي» على ترشيح رئيسه، فريد زهران.

ووفق تقرير حقوقي صادر عن «المبادرة المصرية للحقوق الشخصية»، وهي إحدى الجهات المستقلّة المعنيّة بتوثيق أوضاع الحريات وحقوق الإنسان، فإنّ 35 عضواً في حملة طنطاوي، وهم من 13 محافظة مختلفة، جرى اعتقالهم من الشارع أو من منازلهم وأعمالهم، وإخفاء بعضهم قسراً لفترة، قبل ظهورهم في نيابة أمن الدولة للتحقيق معهم. ووفق المبادرة، تلقّى بعض أعضاء الحملة استدعاءات للتحقيق من قِبَل «الأمن الوطني»، بينما صدر قرار بحبس 35 منهم بالحبس على الناشر والقيادي في «التيار الحر»، هشام قاسم، لمدّة 6 أشهر، على خلفية اتهامات تبادلها مع القيادي العمالي الأسبق، كمال أبو عيطة، الذي عمل وزيراً للعمل بعد «ثورة يناير»، وسط انتقادات حقوقية واتهامات للأخير بأن تحرّكه جاء بناءً على تعليمات أمنية، وخاصة أن الأحكام التي صدرت ضدّ قاسم ستمنعه من خوضه السباق الانتخابي. وبالعودة إلى قانون الانتخابي، فهو يشترط لقبول ترشّح شخص ما، أن يزكّيه 20 عضواً على الأقلّ من أعضاء مجلس النواب، أو أن يجمع 25 ألف توكيل من 15 محافظة مختلفة على الأقلّ، بواقع ألف من كلّ منها في الحدّ الأدنى. وهو شرط، وإنْ كان يسيراً تحقيقه على المرشّحين، إلّا أنه يحمل خطورة كبيرة على مؤيّديهم، في ظلّ تدوين بياناتهم لدى أجهزة الدولة، وما يمكن أن يتبع ذلك من ترهيب أمني. وقبل أسابيع، طرح حزب «العدل»، اسم حسام بدراوي، القيادي البارز في «الحزب الوطني» المنحل إبان حكم حسني مبارك، كمرشّح محتمل للانتخابات الرئاسية، لكن الرجل خرج في لقاء تلفزيوني تحدّث فيه إلى أي قاعدة حقيقية في الشارع. أمّا قانون حظر التجمهر والتظاهر، فلا يزال ساري المفعول بشدّة على المعارضين، بينما يُجري غضّ الطرف عن التظاهرات المؤيّدة للسيسي، من وقت إلى آخر، في تطبيق انتقائي للقانون.

ولم يقتصر التضييق على مرشّحي الرئاسة على المدنيين فقط، بل انسحب أيضاً على المؤسسة العسكرية التي بات طرح أيّ مرشّح منها لانتخابات

يُقلق النظام وجود مرشّحين خارجين عن سيطرته (أ ف ب)

بجلسات ترثرة تتخلّلها ببعض الانتقادات للنظام، مروراً بعمليات إخلاء سبيل بعض النشطاء الذين كانوا محبوسين منذ سنوات طويلة على غرار أحمد دومة، ووصولاً إلى تقبّل انتقادات تُبثّ من داخل مصر، من دون تحفّظات، على غرار انتقادات معارضي النظام الذين تستضيفهم شبكة «BBC» البريطانية. وفي المقابل، يجري تجيير موارد الدولة من أجل دعم حملة السيسي، الذي تتصدّر صوره اللافتات الدعائية في شوارع القاهرة، والتي تدعوه إلى الترشّح من أجل «استكمال الإنجازات»، بتوقيع أحزاب مختلفة تشترك في ما بينها في الافتقار إلى أي قاعدة حقيقية في الشارع. أمّا قانون حظر التجمهر والتظاهر، فلا يزال ساري المفعول بشدّة على المعارضين، بينما يُجري غضّ الطرف عن التظاهرات المؤيّدة للسيسي، من وقت إلى آخر، في تطبيق انتقائي للقانون.

ولم يقتصر التضييق على مرشّحي الرئاسة على المدنيين فقط، بل انسحب أيضاً على المؤسسة العسكرية التي بات طرح أيّ مرشّح منها لانتخابات الرئاسة، وفق التعديلات القانونية، بحاجة إلى موافقة من المجلس الأعلى للقوات المسلحة، ما يعني أن السيسي وحده يملك صلاحية إتاحة الفرصة لوجوه تلك المؤسّسة للترشّح. وإذ طُرح اسم رئيس أركان الجيش الأسبق، الفريق محمود حجازي، ذي السبعين عاماً، في سوق التداول، فإن الرجل لن يستطيع الترشّح من غير موافقة القادة العسكريين، بعدما كان باب خوض المنافسة مفتوحاً على مصراعيه في السابق، شرط مضيّ فترة محددة من التقاعد أو الاستقالة. كذلك، لا تزال المخاوف من الانتقام حاضرة لدى أيّ عسكري يقرّر الترشّح لمنافسة السيسي، أخذاً في الاعتبار ما حدث لرئيس الأركان الأسبق، الفريق سامي عنان، الذي جرى وضعه في السجن لمدّة عامين، مع حبس غالبية أنصاره بتهم مختلفة، قبل أن يتمّ الإفراج عنه على وقع ضغوط من قادة عسكريين سابقين.

وعلى الرغم من أن المناخ السياسي يبدو ديموقراطياً في الظاهر، إلّا أن الخوف من مرحلة ما بعد الانتخابات لا يفتأ يتزايد، ليس فقط من احتمالات التوقيف أو تلفيق الاتهامات التي تبدو جاهزة من اليوم، ولكن أيضاً من عودة التضييق على الأحزاب السياسية «الإنجازات»، بتوقيع أحزاب مختلفة تشترك في ما بينها في الافتقار إلى أي قاعدة حقيقية في الشارع. أمّا قانون حظر التجمهر والتظاهر، فلا يزال ساري المفعول بشدّة على المعارضين، بينما يُجري غضّ الطرف عن التظاهرات المؤيّدة للسيسي، من وقت إلى آخر، في تطبيق انتقائي للقانون.

ولم يقتصر التضييق على مرشّحي الرئاسة على المدنيين فقط، بل انسحب أيضاً على المؤسسة العسكرية التي بات طرح أيّ مرشّح منها لانتخابات الرئاسة، وفق التعديلات القانونية، بحاجة إلى موافقة من المجلس الأعلى للقوات المسلحة، ما يعني أن السيسي وحده يملك صلاحية إتاحة الفرصة لوجوه تلك المؤسّسة للترشّح. وإذ طُرح اسم رئيس أركان الجيش الأسبق، الفريق محمود حجازي، ذي السبعين عاماً، في سوق التداول، فإن الرجل لن يستطيع الترشّح من غير موافقة القادة العسكريين، بعدما كان باب خوض المنافسة مفتوحاً على مصراعيه في السابق، شرط مضيّ فترة محددة من التقاعد أو الاستقالة. كذلك، لا تزال المخاوف من الانتقام حاضرة لدى أيّ عسكري يقرّر الترشّح لمنافسة السيسي، أخذاً في الاعتبار ما حدث لرئيس الأركان الأسبق، الفريق سامي عنان، الذي جرى وضعه في السجن لمدّة عامين، مع حبس غالبية أنصاره بتهم مختلفة، قبل أن يتمّ الإفراج عنه على وقع ضغوط من قادة عسكريين سابقين.

وعلى الرغم من أن المناخ السياسي يبدو ديموقراطياً في الظاهر، إلّا أن الخوف من مرحلة ما بعد الانتخابات لا يفتأ يتزايد، ليس فقط من احتمالات التوقيف أو تلفيق الاتهامات التي تبدو جاهزة من اليوم، ولكن أيضاً من عودة التضييق على الأحزاب السياسية «الإنجازات»، بتوقيع أحزاب مختلفة تشترك في ما بينها في الافتقار إلى أي قاعدة حقيقية في الشارع. أمّا قانون حظر التجمهر والتظاهر، فلا يزال ساري المفعول بشدّة على المعارضين، بينما يُجري غضّ الطرف عن التظاهرات المؤيّدة للسيسي، من وقت إلى آخر، في تطبيق انتقائي للقانون.

ولم يقتصر التضييق على مرشّحي الرئاسة على المدنيين فقط، بل انسحب أيضاً على المؤسسة العسكرية التي بات طرح أيّ مرشّح منها لانتخابات

السيسي يبدأ حملته... من معاقل الفقراء

القاهرة - الأخبار

استبق الرئيس المصري، عبد الفتاح السيسي، إعلان خوضه سباق الانتخابات الرئاسية، بإقرار حزمة إجراءات اقتصادية جديدة، على رأسها زيادة الأجور والمعاشات التقاعدية، إلى جانب زيادة بدل التدريب والتكنولوجيا للصحافيين. وإذ أتى هذا الإعلان خلال جولة لافتتاح عدد من المشروعات في إحدى قرى محافظة بني سويف في صعيد مصر، وذلك في إطار مبادرة

> ما يراه السيسي «انفراجة» على بُعد خطوات، يراه الاقتصاديون على بُعد مسافات كبيرة

«حياة كريمة» التي أطلقها السيسي قبل 4 سنوات، فقد بدا استلهاماً لنهج الرئيس الأسبق، حسني مبارك، وخصوصاً لناحية اصطناع حالة من الودّ المتبادل مع المواطنين، وهو ما جلّته زيارة «مدبّرة» إلى منزل عائلة مصرية، صُوّرت على أنها استجابة من الرئيس لدعوة من الأخيرة، بينما في الواقع جرى التخطيط لها مسبقاً من قِبَل الأجهزة الأمنية والاستخبارات التي تقيم في القرية التي تقطنها العائلة منذ ما يزيد على أسبوعَين. في كلمته خلال الجولة، «بشّر» السيسي بأن البلاد باتت على بُعد خطوات قليلة من الانفراجة، معلناً سلسلة خطوات - لتخفيف العبء الاقتصادي عن المواطنين - بدت أقرب إلى «الرشى الانتخابية» منها إلى الحلول الجذرية، وخصوصاً أنه أعلنها بشكل منفرد وغير مدروس، علماً أن كلفتها تُقدّر بنحو 30 مليار جنيه، ستموَّل من خلال صندوق خاص بالموازنة، في وقت يسجّل فيه التضخّم أعلى مستويات له على الإطلاق. كما أن هذه القرارات المفاجئة خلت من جداول زمنية لتنفيذها، ومن تفاصيل واضحة حولها، وخصوصاً في ما يتعلّق ببدل التدريب للصحافيين وإسقاط فوائد الديون على الفلاحين المقترضين من البنك الزراعي، وغير ذلك من الأسئلة التي لم تنل إجابة حتى بعد مرور وقت على إعلان الإجراءات، باستثناء قرار رفع حدّ الإعفاء الضريبي والذي عُلم أنه سيصل إلى 45 ألف جنيه. على أن هذا القرار بالذات يتطلّب موافقة البرلمان، وهو ما يعني أن المسألة، ولو كانت جادّة، فلن تدخل حيّز التنفيذ حتى الشهر المقبل على الأقلّ، مع عودة انعقاد مجلس النواب. وأيّاً يكن، فإن الزيادات المنتظرة سلّطتهم على الفور مع أوّل تحريك لأسعار المحروقات متوقّع مطلع الشهر المقبل. فعلى الرغم من تحوّط الحكومة الاقتصادي، عبر شراء غالبية احتياجاتها من النفط على سعر يُراوح بين 75 و80 دولاراً للبرميل قبل أسابيع، إلا أن الموازنة الحالية ستشهد تغيّرات عديدة، ليس فقط بسبب قرارات الرئيس، ولكن للانخفاض المتوقّع في قيمة الجنيه، والذي دفع الحكومة إلى زيادة عدد الشركات التي سيتمّ إدراجها ضمن عمليات البيع، للمرّة الثانية، لتكون 40 بدلاً من 29. ومن هنا، يبدو أن السلطات تتخبّط في كيفية التعامل مع الأزمة الاقتصادية، وهو ما دفع رئيس لجنة الخطة والموازنة في مجلس النواب إلى ترجيح وجود مزيد من الإجراءات في ما يتعلّق بزيادة الرواتب والمعاشات والإعفاءات الضريبية بحلول نهاية العام المالي الحالي وضمن موازنة العام المقبل، والتي سيعمل البرلمان على مناقشتها في شهر كانون الثاني.

خطوات السيسي الاقتصادية بدت أقرب إلى «الرشى الانتخابية» (الرئاسة المصرية)

على أن الزيادات الجديدة المنتظَرة لن تُحدث أيّ تحوّلات جوهرية في الوضع الاقتصادي، ليس فقط لكونها لا تمسّ الشريحة الأكبر من المواطنين باستهدافها أقلّ من 20% فقط من المصريين، ولكن أيضاً لعدم قدرة النظام على إلزام جميع الجهات والهيئات بتطبيقها، لتقتصر العلاوات على موظفي المؤسسات الحكومية، التي أُغلق باب التعيينات فيها أمام جيل كامل من الشباب منذ وصول السيسي إلى السلطة قبل 10 سنوات. يُضاف إلى ذلك، أن الحدّ الأدنى للأجور في القطاع الحكومي سيصل بعد زيادته إلى نحو 4 آلاف جنيه، ما يعادل نحو 100 دولار في السوق الموازية، بينما كان مع وصول السيسي إلى السلطة يمثّل نحو 160 دولاراً، الأمر الذي يعكس إخفاق السياسات الاقتصادية التي طبّقها في تحقيق جودة حياة المواطن المصري كما يحاول الترويج دائماً. بالنتيجة، ما يراه السيسي «انفراجة» على بُعد خطوات، يراه الاقتصاديون على بعد مسافات كبيرة، بسبب استمرار عجز الموازنة وأعباء الديون، حتى مع التوقف عن الشروع في مشاريع ضخمة، واستكمال التي بُدئ فيها فقط، وشحّ المنتجات في الأسواق المصرية، والازدياد المستمرّ في أسعارها، ومن بينها أسعار الخضر والفاكهة نتيجة زيادة الصادرات الزراعية إلى الخارج، أملاً في توفير العملة الصعبة، وهو ما أدّى إلى نقص واضح في السوق المحلّية، لم تتدخّل الحكومة لمعالجته حتى الآن. كما طال النقص الحادّ الأدوية المستوردة، ما أجبر المرضى على استخدام البدائل المحلّية حتى لو كانت أقلّ فعالية بكثير من تلك المستوردة التي قفزت أسعارها بصورة غير مسبوقة نتيجة إدخالها بشكل فردي أو مهرّبة.

وعلى الرغم من أن خطوة تحريك سعر الصرف غير متوقّعة قبل إجراء الانتخابات الرئاسية، إلّا أن المخاوف تتصاعد من سلسلة الإجراءات التي ستعقب الانتخابات، وتداعياتها على الوضع الاقتصادي المترنّح منذ سنوات أصلاً.

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

مقالة

سيرك النفاق والنقّ العالمي

الجمعية العمومية: بين الإنسان ومصّاص الدماء

جمال غصن

تأسست الأمم المتّحدة عقب انتصار الاتحاد السوفياتي والطفيليين الغربيين على نازيّة أدولف هيتلر التكفيرية والتوسّعية التي أجبرت من مَوّل صعودها على الانتفاض ضدّها لحفظ أنفاسهم. كلّ سنة، وفي مثل هذا الوقت، تلتئم الجمعيّة العمومية لتلك الأمم على أعلى المستويات في مدينة نيويورك، ويتفنّن رؤساء وملوك وأمراء بلدان العالم بالخطابة، وإن كانت كلمات هؤلاء تتراوح بين الشرق والغرب... حرفياً. لكنّ منظمة الأمم المتحدة باتت في مسار انحداري بشكل عام، إذ إنّ التوازن الذي كان موجوداً يوماً ما في أروقتها، بين يمين العالم ويساره، أيام الحرب الباردة، اختفى منذ تسعينيات القرن الماضي لمصلحة هيمنة أميركية فكريّة وتوظيفيّة. زخم خطابات كبار القوم في نيويورك لم يعُد كما كان؛ فمن بين الدول الخمس الدائمة العضويّة في مجلس الأمن في الأمم المتّحدة، لم يحضر الجمعية العموميّة هذه السنة إلّا رأس دولة واحد وهو رئيس الدولة المضيفة، جوزيف بايدن. قد يكون غياب الرئيسين الصيني والروسي رسالة سياسية واضحة، لكنّ ما الذي يبرّر غياب حلفاء أميركا الأوروبيين، من مثل الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون، ورئيس وزراء المملكة المتحدة (المتّحدة حتى إشعار آخر)، ريشي سوناك؟ ربما يكونون قد ملّوا اللقاءات، إذ لم يمرّ أسبوعان بعد على انعقاد قمّة العشرين في «بهارات» نارياندا مودي. لكن رغم ذلك، يبقى هذا الأسبوع زاخماً في الدبلوماسية الدولية، فهناك أمثال عبد الله بن الحسين ونجيب بن عزمي الميقاتي وأبي مازن لملء الفراغ على مستوى قيادات العالم.

أما الأجواء خارج مقرّ الأمم المتّحدة في نيويورك، هذا الأسبوع، فهي أشبه بسيرك اعتراضي على كل شيء يحصل، وكل شخص يحضر، وكل كلمة تُلقى داخل المقرّ. هناك دائماً من يريد استقلال التيبت عن الصين، وهذا أمر ليس مفاجئاً، لكن تفاجئك كمية الأقاليم حول العالم التي تملك دعاة استقلال. مئات الشباب اليهودي الحسيديم ينزحون من حيّ وليامسبورغ في بروكلين إلى شرقي مانهاتن في موعد إلقاء رئيس وزراء

> **التهريج العالمي لا يتوقّف عند كبار المهرّجين، فانضمّ إليهم إخوان كبارٌ وصغارٌ. من مثله رجب طيب إردوغان وتميم بن حمد**

الاحتلال، بنيامين نتنياهو، للاحتجاج على وجود «إسرائيل». غالباً، لا يكون ثمّة وجود ملحوظ للعرب إلّا لمن هم في حضن واشنطن، إمّا لأن العرب راضون بحكّامهم، أو لأنّ قانون مكافحة الإرهاب الأميركي («الباتريوت اكت») يلصق بأي ناشط عربي على التراب الأميركي شبهة الإرهاب. المشهد لا يتغيّر كثيراً بين عام وآخر، على عكس المشهد داخل أهم صرح للدبلوماسية الدولية في الثمانين سنة الأخيرة. التغيّرات في الداخل متسارعة، وخاصة منذ اندلاع الحرب بين روسيا ووكلاء حلف الناتو في كييف.

الرخام الأخضر خلف المتحدّثين لم يتغيّر منذ الأزل، فهو نفسه الذي كان في خلفية الرفيق تشي غيفارا عام 1964، وإن كانت الصور المنقولة لذلك المشهد في حينها بالأبيض والأسود حين لم يكن البثّ التلفزيوني الملوّن متاحاً بعد، ولم يكن ثمّة احتجاج على ألوان قوس القزح بطبيعة الحال. الرخام نفسه كان خلف ثوريّ جيلنا، هوغو تشافيز، حين أظهر قرفه من رائحة الإيليس بوش جونيور الكبريتية. وأمام هذا الرخام الأخضر، تناوب الخطباء في الجمعية العمومية الثامنة والسبعين للأمم المتحدة التي يمكن القول إنّها التأمت «بمن حضر».

أميركا الأورنج

يقع الكثيرون في خطأ اختزال القارة الأميركيّة بشمالها، كونها مركز الهيمنة العالمية التي عايشها معظم الأحياء على الكوكب اليوم. لا أحد ينكر قدرة هوليوود على كيّ الوعي العالمي من أيام رامبو وروكي إلى باربي الورديّة اليوم. لكن هناك ما سمّي بالدّ الورديّ في جنوب «العالم الجديد»، إثر صعود قوى يساريّة إلى الحكم في عدد من بلاد أميركا اللاتينية، والتي تبعها «جَزْر وردي» متمثّل بانقلابات رعتها واشنطن في عدد من البلاد التي تجرّأت على مخالفة «عقيدة مونرو» التي تنصّ على أن كل ما هو إلى غرب المحيط الأطلسي يعدّ الحديقة الخلفية لواشنطن، وأن لا مكان لأيّ تمرّد على مشيئتها. «عقيدة مونرو» عاشت مئة سنة، لكنها لن تعيش مئتين. «المدّ» عاد تسونامياً يلامس حدود ولايات تكساس وأريزونا وكاليفورنيا، وإن كانت «وردية» زعماء أميركا الجنوبية تتفاوت بين الزهريّ الليبرالي الباهت والأحمر الثوريّ الصافي.

أوّل المتحدّثين في الجمعيّة العموميّة (من بعد كلمة الأمين العام للأمم المتّحدة الذي يبدو أن من شروط تعيينه هو أن يملك كاريزما الحصى في الكلى، وأن يكون الاستماع لكلماته موجع كالتخلّص من الحصى في الكلى: أنطونيو غوتيريش، بان كي مون، كوفي عنان، بطرس بطرس غالي، وهلمّ جرّا)، كان الرفيق لولا دا سيلفا الذي عاد من انقلاب وسجن ليثبّت التوجه الصائب للبرازيل بعد الانقلاب القضائي الذي أتى باللبناني الأصل، ميشال تامر، رئيساً مؤقتاً قبل أن ينتخب الصهيوني الترامبي، جايير بولسونارو، لرئاسة كارثيّة انتهت به فاراً إلى أورلاندو في ولاية فلوريدا الأميركيّة. في كلمته، سلّط لولا الضوء على ما أظهرته حرب أوكرانيا من عبط منظمة الأمم المتحدة. يقع لولا في الوسط على سلّم «المدّ الوردي»؛ فإلى يمينه أمثال رئيس تشيلي، غابرييل بوريك، ورئيس كولومبيا، غوستافو بيترو، وهو على يمين الثورة الكوبية وسليلتها الثورة البوليفارية في فنزويلا. بعد لولا، صعد إلى المنبر رئيس الولايات المتّحدة الأميركية، الذي سنعود إلى كلمته إذا ما خدمتنا الذاكرة، لكن البارز أنه بعد انتهاء بايدن من إلقاء كلمته كان موعد غوستافو بيترو الذي ترافق مع هرج ومرج وضجيج في صالة الجمعية العمومية مَن تبقّى من وفود لم تأبه لكل كلمات الرؤساء، فهناك رؤساء بسمنة وأخرون بزيت. امتعض بيترو من عدم احترام زملائه لحضوره، لكن رغم ذلك لم يخيّب في كلمته، إذ ركّز على المواضيع غير الإشكالية كالبيئة والاحتباس الحراري وزراعة الكوكا. غابرييل بوريك، من جهته، لا يختلف لا شكلاً ولا مضموناً عن أيّ ناشط «هيبستر» يصطفّ شهرياً أمام مكتب

من تظاهرات «الحسيديم» الرافضة للاحتلال الإسرائيلي والمطالبة بتحرير فلسطين (أرشيف - الأخبار)

«روزا لوكسمبورغ شتيفتنغ» في برادو ليتقاضى أتعاب نشاطه للشهر المنصرم، ويردّد كلام غريتا ثونبرغ بخصوص ضد الأحفورية.

على الضفة الأخرى من اليسار اللاتيني، أطلّ الرئيس الكوبي، ميغيل دياز كانيل، وهو مدرسة في الثورة وكل جملة يتفوّه بها تحتاج إلى جمل لشرحها والتوسع في معانيها، لكن مشكلته الوحيدة أنه يتحدّث بسرعة فائقة، قد تعدّ انتهاكاً لحقوق المترجمين الفوريين في الأمم المتحدة. باختصار، كوبا لا تساوم، رغم كل ما عانته من اضطهاد وحصار كدولة صغيرة حاملة لمشعل الثورة على بعد رمية حجر عن الكبريتيين. لم يحضر رئيس فنزويلا الحاج نقولا مادورو، لكن الرئيس الأرجنتيني المنتهية ولايته قريباً يمكن تصنيفه بسهولة أنه على يسار الرفيق لولا. عزّا البرتو فرنانديز العالم الجديد الذي يتكوّن إلى عدم المساواة وإلى «الهندسات المالية» المنحازة، وشنّ هجوماً مباشراً على صندوق النقد الدولي، فيما اقتراحاته للحلول كمنت في «تجارة عالمية شفافة وعنصور متوازن». لا يمكننا أن نتوخّى الدروس من الأرجنتين، لأن لا يسار محلياً يشبه «البيرونيّة» وإن كانت «البيرونيّة» لا ترتقي إلى مستوى الثورة المطلوبة في منطقتنا.

نتنياهو المازوم

غاب محمد بن سلمان آل سعود عن الجمعية العموميّة للأمم المتّحدة لكنّه لم يغب عن الخبر. تأكّد من أن محطة «فوكس نيوز» سوف تنشر له مقابلته الأولى باللغة الإنكليزية، وإن كانت لغته الإنكليزية رديئة بعض الشيء، بل أردأ من رديئة بأشواط. المقابلة تمّت في أحد مشاريع نيوم الوهمية. أرسل ابن سلمان رسالة واضحة، مفادها أنه جاهز للتطبيع، وكأنّ الأمر بيده. لكن لا عيب في ذلك، الجمعيّة العموميّة خُلقت لتغطية العيوب.

وفي اليوم الرابع، ظهر من الخطباء، بنيامين نتنياهو الهارب من أزماته المحليّة. نتنياهو يتمسّك بأيّ حبل نجاة، فهو مستعدّ لطلب الخلاص من أي جنب.

وفيما اعتاد نتنياهو التفوّق في التمثيل على غرمائه، لكنه اليوم لا يرقى إلى مستوى عبدالله الذي يدّعي أنه ملك. نتنياهو مأزوم وقبل إهانة بايدن الذي صلّب بحضوره.

في الماضي، كان يحلم نتنياهو بتطبيع وسلام وفقاً لشروطه، أما نتنياهو المأزوم اليوم، فيتمسّك بالخلاص من ابن سلمان المأزوم هو الآخر. تصوّروا أن خلاصكم مرتهن بأبي ناصر! بالتوفيق!.

الغائبون الحاضرون

لم يحضر الدورة الثامنة والسبعين من الجمعية العمومية للأمم المتحدة كثيرون ممّن سوف يلعبون دوراً في تشكيل العالم المتعدّد الأقطاب. لم يحضر الرئيس الصيني، شي جين بينغ، الذي غاب أيضاً عن «قمّة العشرين». لكنّ شي استضاف الثائر الأممي، نيكولاس مادورو، في فترة انعقاد القمّة الأخيرة، واستضاف هذا الأسبوع وريث حزب البعث العربي الاشتراكي بشار الأسد وزوجته أسماء.

مادورو لم يزُر نيويورك. كما غاب الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، ونظيره الكوري الشمالي، كيم جونغ أون، اللذين اجتمعا في فلاديفوستوك الروسية الأسبوع الماضي. غاب ابن سلمان أيضاً الذي قرّر اللجوء إلى مقابلة بلغة إنكليزيّة رديئة مع محطة «فوكس نيوز» بدلاً من الحضور. لم يحضر ماكرون، لم يحضر سوناك، لم يحضر مودي. قد لا تكون ساحة الديبلوماسية في نيويورك الساحة الأبرز، لكنها ما زالت مهمة.

رئيسي «إن ذا سيتي»

مدينة نيويورك هي حتماً بابل عصرنا. استغلّ إبراهيم رئيسي، رئيس إيران الحالي والمرشّح الأبرز لخلافة الخامنئي كقائد ثالث للثورة الإسلامية في إيران (كاتب المقال ينحاز إلى حسن عبد الكريم نصرالله بدل أنطونيو غوتيريش إيران، رئيسي، لكن لا يحق له التصويت في هذه المسألة)، وجوده في مدينة نيويورك لإجراء لقاءين مع صنّاع السياسة الخارجية الأميركية. المعروف في واشنطن هو أنّ السياسات تُصنع في اللوبيات ومراكز الأبحاث التي تملي السياسات على الإدارة. للسنة الثانية على التوالي، أجرى رئيسي لقاءً مع عدد من مراكز الأبحاث الواشنطنية، إذ أجرى، هذه المرة، لقاءً مغلقاً مع مجلس العلاقات الخارجية الذي طالما أملى سياساته على الخارجية الأميركية. وبما أن اللقاء كان مغلقاً، فلا بدّ من انتظار التسريبات حتى معرفة ماذا نوقش.

رسالات تاريخية!

الرفيق علي القادري يحاجّ أنّ الأمم المتحدة قبل انهيار الاتحاد السوفياتي كانت متّزنة، بحيث لم تكن هناك سهولة الهيمنة والتفرّد بالخطاب. لم أعِش ترف حريّة التعبير هذه، لكنّي شهدت ثلاثة خطابات تثبت نظريّة الرفيق علي.

أولاً، خطاب التشي: تصوّروا الفرق بين تشي غيفارا بثيابه العسكرية وثياب مهرّج كيبف؟ لا داعيَ لنتوسّع. في عام 2006، بعد العدوان الإسرائيلي على لبنان هاجم هوغو تشافيز الشريكَ في العدوان الإسرائيلي الفاشل على لبنان. للتذكير، لم يكونوا كثراً مَن اصطفوا إلى جانب لبنان. وفي عام 2009، اعتمر معمّر القذافي منبر نيويورك لآخر مرة. يُروى أنه أغمي على من يقوم بالترجمة الفورية نتيجة طول الكلمة وثقلها.

بالنتيجة، العبرة تتمثّل في أن التوازن السياسي والإيديولوجي في الأمم المتحدة، الذي كان حاضراً أيام الحرب الباردة، لم يعُد موجوداً اليوم!

تقرير

تبرعات حكومية بنصف مليون شيكل

إسرائيل «تكرّم» قاتل عائلة الدوابشة

أخيراً أبلغ «الشاباك» الإرهابي اليهودي، قاتل عائلة الدوابشة، عميرام بن أوليئيل، أنه سيُنقل إلى قسم ديني لتحسين ظروف سجنه استجابة لطلب وزير «الأمن القومي»، إيتمار بن غفير، ومحامية المجرم، عيدي كيدر، من منظمة «حونينو». أفاهذه الأخيرة، فقد جمعت، في غضون الأيام القليلة الماضية، أكثر من 1.6 مليون شيكل للقاتل، أكثر من لثلثا دعم حكومي التفافي!

بيروت حمود

في الأيام الأخيرة، جُمعت تبرعات بأكثر من 1,6 مليون شيكل، نصف مليون منها على الأقلّ عبارة عن دعم حكومي، في إطار حملة لدعم قاتل عائلة الدوابشة، اليهودي المجرم عميرام بن أوليئيل. واتّهم بن أوليئيل بقتل ريهام وسعد، وابنهما علي، حرقاً، بعد إلقائه زجاجة حارقة على منزلهم في قرية دوما في مدينة نابلس عام 2015؛ ولذلك، حُكم بالسجن المؤبد و20 عاماً. لكن منذ إدانته، قدّمت جمعيات ومنظمات صهيونية دينية عدّة، ادّعاءات سعت إلى التشكيك في قرار القضاة، وخاصة من خلال تصريحات مفادها بأن «اعتراف أوليئيل انتُزع تحت التعذيب، وبالتالي فهو غير صحيح»، واستأنفت بن أوليئيل على إدانته أمام «المحكمة العليا»، التي رفضت في العام الماضي، بالإجماع، الاستئناف المقدّم، على اعتبار أن «بن أوليئيل خرج في مهمة انتقامية لقتل العرب فقط لأنهم عرب، ووضع عائلة بأكملها في فخ الموت في منتصف الليل».

مع ذلك، انطلقت، قبل أسبوع، حملة لتجنيد أموال إضافية لمصلحة الإرهابي بن أوليئيل، تحت عنوان «نضع حداً للمؤامرة»، بعد مطالبات أعضاء من «الكنيست» بتخفيف ظروف سجن القاتل، ومحاولات لتصويره على أنه «صالح» و«قدّيس مُقدّس» أدين من دون ارتكاب جُرم، كما زعمت النائبة المتطرفة من «عوتسماه يهوديت»، ليمور سون - هار ميلخ. وجُمعت التبرّعات المذكورة من طريق منظمة «حونينو»، التي تُعنى «بالمساعدة والإغاثة والتأهيل الاقتصادي والروحي والنفسي والعقلي للسجناء والمعتقلين وعائلاتهم وتلبية الاحتياجات الدينية للسجناء والمعتقلين وعائلاتهم»، وكذلك بـ«المساعدة المالية والقانونية لليهود الذين وقعوا في محنة و/أو الذين اعتقلوا و/أو سُجنوا و/أو أسروا بسبب الوضع الأمني و/أو بسبب عملهم لمصلحة دولة إسرائيل». و«حونينو» المعترف بها بموجب المادة 46 من قانون ضريبة الدخل الإسرائيلي، جمعت، في عام 2021، وهو العام الأخير الذي تتوفر حوله البيانات، تبرعات بقيمة سبعة ملايين شيكل، علماً أنه وفقاً للمادة المذكورة، يمكن طلب الحصول على الإعفاء الضريبي على كل تبرع يتجاوز 200 شيكل. كما أن المتبرعين الأفراد يحق لهم الحصول على إعفاء بنسبة 35% مقابل تبرعهم. أما الشركات، فإنها تحصل على إعفاء بنسبة 23% مقابل تبرعاتها.

عملياً، يُظهر هذا البند دعماً التفافياً من الحكومة - ودافعي الضرائب عموماً - للمنظمات والجمعيات المختلفة؛ إذ إنه «بواسطته، توفر الدولة إعفاءً من الضريبة لمصلحة التبرعات المختلفة الممنوحة للمؤسسات الجماهيرية، وبالتالي تُشجع التبرعات والمنح المالية لمصلحتها ومصالح أهدافها»، حسبما كتبت المستشارة القضائية للجنة المالية في «الكنيست»، في إطار نقاش حول البند المذكور. وبخصوص التبرعات لبن أوليئيل - والتي وصلت إلى أكثر من 1,6 مليون شيكل -، فهي تنتقل إلى «حونينو» تحت الاسم

> **منظمة «حونينو» ليست الجهة الوحيدة التي تجمع التبرعات لبن أوليئيل**

الرمزي «ميتا تسيدك لعميرام» (العدالة لعميرام). وبحساب بسيط، يظهر أن حجم الدعم الحكومي يمكن أن يصل إلى نحو ثلث حجم هذه التبرعات، أي أكثر من نصف مليون شيكل، فضلاً عن أنه يمكن أيضاً إرسال التبرعات إلى «حونينو» عبر الولايات المتحدة، حيث يُعترف بها لأغراض ضريبية، وتمرّ من خلال «الصندوق المركزي الإسرائيلي» (The Central Fund of Israel).

على أن «حونينو» ليست الجهة الوحيدة التي تجمع التبرعات لبن أوليئيل. ففي مطلع العام الحالي، كشف تحقيق مشترك أجراه موقع «شومريم» الإسرائيلي للتحقيقات الاستقصائية، ووكالة «أسوشيتد برس»، عن أن جمعية «شالوم أسيريخ» تبرّعت لبن أوليئيل ولقتلة يهود آخرين من خلال جمعية أميركية. وبعد النشر حول القضية، توقفت الجمعية الأميركية عن التعاون مع «شالوم أسيريخ». لكن اللافت أن هذه ليست المرّة الأولى التي تتصدر فيها «حونينو» وقضية الاعتراف بها، عناوين الأخبار؛ ففي عام 2015، تكشّف أنها تدعم مالياً أفراد عائلات القتلة اليهود الذين ارتكبوا جرائمهم على أساس قومي، وهو ما دفع بـ«الصندوق المركزي الإسرائيلي» إلى وقف جمع التبرعات للجمعية في الولايات المتحدة مؤقتاً. كما قدّم عضو «الكنيست» السابق من حزب «ميرتس»، موسي راز، استئنافاً أمام المحكمة «العليا» حول الموضوع، مطالباً بأن تلغي وزارة المالية اعترافها بـ«حونينو» كجمعية/منظمة قانونية.

وقد تلخّص ردّ وزارة المالية آنذاك، بأنه في إطار جلسة الاستماع التي دُعيت إليها «حونينو»، أعلنت الأخيرة أنها ستتوقف عن تحويل الأموال إلى عائلات اليهود المدانين بالإرهاب، وستركز على المساعدة القانونية لهم. ونتيجة لذلك، سحب راز الالتماس. أمّا بالنسبة إلى الحملة الحالية، فإن وزارة المالية التي يتولاها رئيس كتلة «الصهيونية الدينية»، المتطرف بتسلئيل سموتريتش، رفضت الردّ على أسئلة حول الاعتراف بالجمعية بموجب القانون، وتنصلها من وعودها السابقة بالاكتفاء بالدعم القانوني. كما أن «مؤسسة ضريبة الدخل» لم ترد، هي الأخرى، على أسئلة وجّهها «شومريم». أمّا زميل سموتريتش، بن غفير - وكلاهما يرعيان منظمات صهيونية دينية تعكف على تحويل حياة الفلسطينيين إلى جحيم -، فقد كشفت زوجته، أمس، أنه بالفعل عمل على تحسين ظروف سجن بن أوليئيل.

وصلت التبرعات لبن أوليئيل إلى أكثر من 1,6 مليون شيكل

الحدث

الصين تفارق سياسة «الحذر»: بداية مسار جديد مع سوريا

حسين الأمين

لطالما شكّلت العلاقات السورية - الصينية، تاريخياً، وحاضراً خلال السنوات العشر الأخيرة، محلّ جدل وتنظير بين المراقبين والمحلّلين. في سنوات ما قبل الأزمة، ولأكثر من 40 عاماً سابقة على الحرب، كانت تلك العلاقات تتّسم بالصداقة والتعاون، حيث «تعدّ سوريا من أوليات الدول التي أقامت علاقات مع الصين الجديدة»، على حدّ تعبير الرئيس الصيني، شي جين بينغ، خلال لقاء القمّة أمس، مع الرئيس السوري، بشار الأسد. لكن، خلال سنوات الحرب، راقب كثيرون الموقف الصيني بحيرة، إذ حافظت الصين على موقف سياسي داعم للنظام الحاكم في دمشق، واستخدمت 8 مرات حقّ النقض «الفيتو» ضدّ

> موقع الخيار الصيني، ضمن لائحة الخيارات السورية، تعزّز

مشاريع قرارات دولية تستهدف سوريا وحكومتها. لكن، في المقابل، لم يُرصد أي تحرّك فعلي، لا على المستوى العسكري ولا الاقتصادي ولا الإنساني (إلا النزر القليل في هذا المجال الأخير)، لجمهورية الصين الشعبية على الأرض السورية. وعلى رغم الأزمات الكبرى التي خلّفها القتال في سوريا، على المستويين الاقتصادي والإنساني بشكل خاص، لم تُسجَّل للصينيين أي مبادرة جدّية على هذين المستويين، طوال السنوات الماضية، فيما تلقّت دمشق دعماً كبيراً ونوعياً، مباشراً وغير مباشر، من حلفائها في طهران وموسكو وقوى «محور المقاومة»، على المستوى العسكري، ما أدّى إلى حسم غالبية المعارك الكبرى التي خيضت، لصالح الجيش السوري.

لكن، إيران بشكل خاص، اضطلعت بدور داعم للحكومة السورية على المستوى الاقتصادي، بدءاً بالقروض النقدية، وليس انتهاءً بالخط الائتماني، الذي تزوّدت عبره دمشق - ولا تزال - بمختلف أنواع المحروقات الإيرانية، في ظلّ الحصار الغربي المفروض على السوريين، والاحتلال الأميركي لمنطقة شرق الفرات الغنية بالموارد النفطية. ومع انتهاء الحرب بشكلها «الخشن»، وخمود الجبهات خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة، تحوّل اهتمام الحكومة السورية، وحلفائها أيضاً، إلى البحث عن سبل ترميم ما خرّبته الحرب، في البنى السياسية والاجتماعية والاقتصادية. ووجدت دمشق، ولمست لمس اليد، أن حليفتيها البارزتين، إيران وروسيا، غير قادرتين على النهوض بالعبء الاقتصادي، وخصوصاً الملفّ الثقيل المتمثّل في إعادة الإعمار بمختلف تفرّعاته، حيث تبلغ كلفته عشرات مليارات الدولارات، في أكثر الأرقام تفاؤلاً.

بناءً على ما سبق، عاد الحديث عن العلاقات السورية - الصينية، وإمكانية أن ينسحب الدعم الصيني السياسي لدمشق، على المستوى الاقتصادي، خصوصاً أن الصين من الدول القليلة في العالم، التي تمتلك القدرة على الانخراط في حملة ضخمة لإعادة إعمار سوريا. وأخيراً، مع تعكّر الصورة الصافية التي خلّفتها عودة دمشق إلى «جامعة الدول العربية» في أيار الفائت، ثم حضور الرئيس الأسد القمة العربية في جدة السعودية، وذلك بفعل الضغوط الأميركية أولاً، والشروط العربية الصعبة والتعجيزية، ثانياً، وجدت سوريا نفسها أمام خيارات محدودة ومعقّدة في مسألة تأمين التمويل اللازم للشروع بحملة إعادة إعمار، ولو جزئياً. ولا يعني هذا أن بكين قد استُبعدت يوماً من خيارات دمشق، إلا أن موقع الخيار الصيني، ضمن لائحة الخيارات السورية، تعزّز وتميّز بنوع من الفرادة التي فرضتها الوقائع والتطورات السياسية.

في المقابل، لطالما أخذ على الصينيين عدم امتلاكهم برنامج عمل واضحاً يخصّ دول شرق المتوسط، وبالتحديد سوريا ولبنان وفلسطين (الضفة الغربية وقطاع غزة)، كما لم يبدِ الصينيون، على امتداد سنوات طويلة، أي حماسة للانخراط في تعاون مع حكومات هذه الدول، باستثناء مبادرات خجولة جداً، لا ترقى إلى مستوى حجم الصين الاقتصادي والسياسي، ولا إلى مستوى تطلّعات هذه الدول في اتجاه قوة دولية مركزية، كالصين. وبمعزل عن لبنان وفلسطين، حيث لكلّ منهما تعقيداته السياسية والأمنية الداخلية، تبدو سوريا الدولة الأكثر تضرّراً من الإحجام الصيني عن إطلاق برنامج عمل بخصوص المنطقة أو بخصوصها بشكل خاص، ذلك تبعاً لموقع سوريا في الانقسام الدولي، أي في المعسكر الذي تقوده الصين وروسيا وإيران، في مقابل المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية؛ وأيضاً تبعاً لحاجاتها وظروفها الاستثنائية في ظلّ الحرب، وما بعدها. ولطالما سأل المسؤولون السوريون، ومسؤولون في دول أخرى قريبة من دمشق، نظراءهم الصينيين عن حقيقة موقف بكين وبرنامجها بخصوص سوريا، ولطالما كانت إجابات هؤلاء الأخيرين تنحصر بالمستويين السياسي والأمني، خصوصاً لناحية اهتمام الحكومة الصينية بالمقاتلين «الإيغور» الذين تواجدوا - ولا يزال عدد منهم - في شمال سوريا، وتحديداً في ريفَي حلب وإدلب.

وفي حين ركّزت الصين تاريخياً على شراكاتها التجارية الموسّعة في منطقة الشرق الأوسط، وتجنّبت الانخراط في الصراعات والاصطفافات السياسية، عادت بكين وفاجأت الكثيرين في آذار الفائت، عندما توسّطت في اتفاق «مصالحة» بين السعودية وإيران، يبدو أنه ناجح إلى الآن. ومع انضمام سوريا إلى مبادرة «الحزام والطريق» الصينية، قبل أقلّ من عام، تعزّز الاعتقاد لدى دمشق وبكين، بضرورة تعزيز العلاقات بينهما، وبضرورة أن تقود الصين مبادرات أكثر جرأة في سوريا، بعيداً عن سياسة «الحذر المفرط» التي كانت تنتهجها. وأخيراً، مع إطلاق الهند مبادرة «الممرّ الهندي»، تعزّزت القناعة الصينية بضرورة العمل أكثر في اتجاه دول المنطقة، التي هي خارج الفلك الأميركي - الغربي. وتضاف إلى ذلك، أهمية موقع سوريا بالنسبة إلى الصين، حيث تقع بين العراق، الذي يزوّد بكين بنحو عُشر احتياجاتها من النفط، وتركيا، التي تمثّل نهاية الممرّ الاقتصادي الصيني الذي يمتدّ عبر آسيا إلى أوروبا.

وهكذا، تأتي زيارة الأسد للصين، في ظلّ ميل صار ملموساً لدى بكين، نحو العمل على تعزيز نفوذها الدبلوماسي في الشرق الأوسط وأفريقيا، بالتزامن مع عودة سوريا إلى «الجامعة العربية»، وانطلاق مسار خروجها من عزلتها الإقليمية. ومن الناحية السورية، تمثّل هذه الزيارة خطوة متقدّمة لدمشق في اتجاه إنهاء عزلتها الدبلوماسية الدولية، التي رعتها واشنطن لسنوات. وفي حين أن دعوة الأسد إلى بكين تشكّل تطوّراً مهمّاً في أداء الصين في المنطقة على مستوى توسيع النفوذ السياسي والاقتصادي، فإنها في حال تُرجمت عملياً، ستشكّل نقطة تحوّل كبيرة بالنسبة إلى سوريا التي ترزح تحت ضغط العقوبات والحصار الغربي، وتعاني من احتلال أميركي لا يبدو انسحابه وشيكاً من شرق الفرات. كذلك، فإن هذه الخطوة لا تبدو بعيدة بأي شكل، عن كون سوريا ساحةً لتصارع القوى الدولية، وخصوصاً الولايات المتحدة وإيران وروسيا المنشغلة بالحرب الأوكرانية، والتاركة وراءها فراغاً قد تشعر الصين برغبة في ملئه.

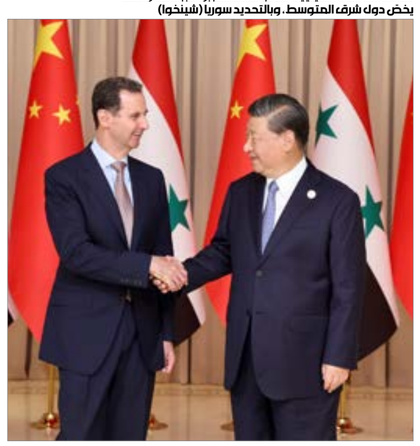

لطالما أخذ على الصينيين عدم امتلاكهم برنامج عمل واضحاً بخص دول شرق المتوسط، وبالتحديد سوريا (شينخوا)

في حديثه إلى «الأخبار»، فرص نجاحها «كبيرة جداً، خاصة إذا أدارها الجانب الصيني».

بدوره، يقترح ياسر أكريم، عضو مجلس الإدارة لـ «غرفة تجارة دمشق»، التوجّه نحو «تأسيس شراكات تجارية وصناعية بين القطاع الخاص في كلا البلدين، غايتها إعادة تأهيل المشروعات الصناعية الصغيرة والمتوسطة وتحديثها، وإقامة مشروعات جديدة متوسّطة وليس بالضرورة كبيرة، فضلاً عن إمكانية توسيع مجالات التعاون التجاري. إذ يمكن أن تتحوّل سوريا إلى مورّد وموزع للسلع والبضائع الصينية في المنطقة». ولفت إلى أن «ذلك يتطلّب إجراءات اقتصادية تصحيحية من الحكومة السورية، كمنح تسهيلات خاصة للتعاون مع الشركات الصينية، واعتماد نظام الضرائب والرسوم الجمركية الصفرية، وفتح قنوات تواصل بين الفعاليات الاقتصادية في البلدين».

ومن غير المستبعد في الزيارة الحالية، أن يناقش المسؤولون الاقتصاديون السوريون، مع نظرائهم الصينيين، إمكانية تقديم قروض وفتح خطوط ائتمانية كما فعلت روسيا وإيران. وهذا في رأي عطري ممكن، «فالدعم الصيني متنوّع، وبالتأكيد يمكن الحصول على قروض وخطوط ائتمان، لكن هذا ما لا أنصح به بتاتاً في ضوء الحالة السورية خوفاً من تبديد تلك القروض من دون جدوى، وتالياً، الأفضل إقامة شراكات اقتصادية تؤسّس لمشاريع زراعية وصناعية وسياحية وتجارية».

تفاؤل بزيارة الأسد لبكين: نحو انتعاش العلاقات الاقتصادية؟

زياد غصن

لم تخرج العلاقات الاقتصادية السورية - الصينية، طوال السنوات الماضية، عن إطار إعلان النوايا والرغبات المشتركة في تطويرها، وتعزيز ذلك بتوقيع مجموعة من الاتفاقيات ومذكرات التفاهم التي عجزت عن حجز موقع لافت لبكين على خارطة الاستثمارات السورية حتى ما قبل العام 2011، وإنْ كانت أسهمت بأسلوب أو بآخر، في السنوات الأخيرة من العشرية الأولى من القرن الحالي، في جعل الصين من بين الدول الثلاث الأولى الموردة للسلع والبضائع إلى الأسواق السورية.

> ياخذ البعض على بكين «تلكّؤها» في دعم دمشق اقتصادياً، خلافاً لما فعلته سياسياً منذ 2011

عقبذاك، جاءت الحرب السورية لتضيف عوائق جديدة على هذا الطريق، وتتسبّب تالياً في تجميد أيّ حديث عن تعاون اقتصادي يتخطّى جانب المبادلات التجارية والمساعدات الفنية التقليدية، بدليل أن الاجتماعات الدورية السنوية للجنة العليا المشتركة بين البلدين، والمشكّلة في العام 2001، توقفت عن الانعقاد منذ العام 2010. لكن حديث الدولتين عن رغبتهما في تطوير التعاون الاقتصادي بينهما، عاد ليتجدّد مع زيارة وزير الخارجية الصيني إلى دمشق في تموز 2021، ثمّ قيام دمشق، في 2022، بالتوقيع على اتفاقية الانضمام إلى مشروع «الحزام والطريق»، لكنّ ذلك لم يُحدث إلى الآن فرقاً لافتاً في بنية العلاقات الاقتصادية الخارجية لكلتا الدولتين. وعليه، إن ما ستسفر عنه زيارة الرئيس بشار الأسد لبكين حالياً، وما يمكن أن توفره من مظلّة سياسية داعمة لمشروعات التعاون الاقتصادي، سيحدّد ما إذا كان هناك تحوّل نوعي مرتقب في العلاقات، أم أنها ستحافظ على وضعها الراهن.

ليست الشريك الأول

في مراجعة لواقع العلاقات الاقتصادية بين البلدَين في السنوات الأخيرة، يمكن التوقّف عند ثلاثة معطيات رئيسية:

- الأوّل، يتمثّل في تذبذب معدّلات التبادل التجاري في سنوات الأزمة، وتحديداً في ما يتعلّق بالواردات السورية من الصين، والتي شكّلت ما نسبته 8,8% من إجمالي الواردات السورية عام 2010، وهي أقلّ من نسبة الواردات من تركيا آنذاك. وإبان الأزمة، تباينت نسبة الواردات من الصين تبعاً لأسباب كثيرة، أبرزها ما يتعلّق بالصعوبات التي واجهت المستوردين والأسواق التي تعاملوا معها، فوصلت عام 2015 إلى نحو 6,5%، وعاودت ارتفاعها في 2020 مُحقّقةً 10,9%، متجاوزةً بذلك ما حقّقته عام 2010. لكنّ اللافت هو تراجعها في العام التالي (2021)، الى 8,8%، في حين كان يُنتظر تحسّنها على خلفية زيارة وزير الخارجية الصيني إلى دمشق بُعيد إعادة انتخاب الأسد لمدة رئاسية جديدة. - المعطى الثاني، يتعلّق بالاستثمارات البينية المنفَّذة، والتي كانت قبل الأزمة محدودة جدّاً وتقتصر على بعض الشراكات بين رجال أعمال البلدَين. فمثلاً، من بين أكبر 63 مشروعاً استثمارياً منفّذاً قبل الأزمة، لم يكن هناك أيّ مشروع أو شريك صيني، بخلاف دول أخرى كإيران، الكويت، فرنسا، السعودية، وغيرها. وبين عامَي 2009 و2019، لم تشمل «هيئة الاستثمار السورية» سوى مشروعَين استثماريين فيهما شريك صيني، الأول مشروع لنقل الركاب والمجموعات السياحية في 2011، والثاني لإنتاج خلاطات المياه بأنواعها عام 2019، وكلاهما لم يجدا طريقهما إلى التنفيذ. - المعطى الثالث، خاص بمجالات التعاون الفني وتقديم الدعم الإنساني. في هذا السياق، قدّمت الصين خمس اتفاقيات مساعدات أو منح مجانية بقيمة 100 مليون يوان صيني، استُخدمت لتقديم معدّات تصبّ في خدمة المجال الإنساني وتخفيف المعاناة في قطاعات الكهرباء والمياه والنقل والصحة وغيرها. كما قدّمت مساعدات غذائية وصحية في أعقاب انتشار جائحة «كوفيد 19»، وكارثة الزلزال الذي ضرب أربع محافظات سورية في شباط الماضي، إضافة إلى التعاون في مجالات التدريب والتعليم العالي وغيرها.

فرص كثيرة... ولكن

يأخذ البعض على بكين «تلكّؤها» في دعم دمشق اقتصادياً، خلافاً لما فعلته سياسياً على مدار السنوات منذ 2011. لكنّ الجانب الصيني له مبرراته في سياسة «الحذر الاقتصادي» التي اتّبعها في السنوات السابقة، فمن جهة، لا تزال العقوبات الأميركية المفروضة على دمشق تمثّل عائقاً أساسياً أمام الشركات الأجنبية الراغبة في العمل والاستثمار في سوريا، فضلاً عمّا أفرزته تلك العقوبات من مشكلات فنية وتمويلية كثيرة. ومن جهة أخرى، تسهم المشكلات الكثيرة التي تعاني منها بيئة الأعمال في سوريا في تأجيل أيّ قرار صيني بالاستثمار. وأتى هذا رغم الاقتراحات المهمّة التي قدّمتها دمشق سابقاً في إطار تنفيذ مبادرة «الحزام والطريق»، كالربط السككي بين مرفأ طرطوس والحدود العراقية، وإنشاء طريق برّي سريع من الجنوب إلى الشمال، ومشروعات أخرى في مجالات توليد الكهرباء واستكشاف النفط والغاز، إضافة إلى إقامة مناطق حرة صينية في محافظتَي حمص واللاذقية.

ومع الزيارة التي يقوم بها حالياً الأسد لبكين، تتجدّد الآمال حيال إمكانية توسيع دائرة التعاون الاقتصادي لتشمل مجالات عدة، اعتماداً على ما تحتاجه سوريا الخارجة من حرب مدمّرة، وما تملكه الصين من إمكانات وقدرات، وهي، وفق فيصل عطري، رجل الأعمال السوري المقيم في الصين، تتوزّع على أكثر من ستة قطاعات تبدأ بقطاع الطاقة كبناء مزارع لتوليد الطاقة من الشمس والرياح والقيام بعمليات استكشاف وتنقيب، مروراً بإعادة الإعمار، وليس انتهاءً بالصناعة، ويمكن الإفادة منها عبر إبرام عقود إنشاء لعدد من المصانع السورية الخارجة عن الخدمة أو المتعثّرة وإعادة تأهيلها وتطويرها واستثمارها وفقاً لنظام «BOT». وهذه المجالات، كما يضيف عطري

الزيارة جددت الآمال حيال إمكانية توسيع دائرة التعاون الاقتصادي (أ ف ب)

استراحة

إعداد نعوم مسعود

كلمات متقاطعة 4413

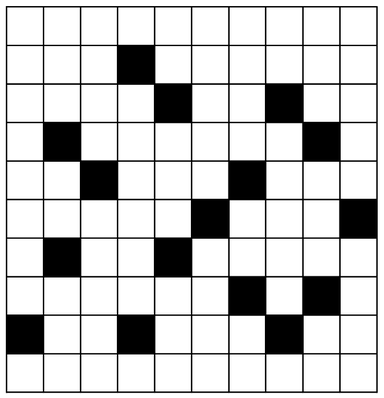

أفقيا

1- شهر ميلادي – 2- سياسي روسي راحل – من المنبهات – 3- حرف جر – طاف بالليل يحرس الناس ويكشف أهل الريبة – من انقطع عن الزواج – 4- عرسهم – 5- مفصل ما بين الساعد والكفّ أو الساق والقدم – حصل على – إله مصري – 6- فزع – أمهات حبالى – 7- عائلة مارشال فرنسي زمن نابوليون بونابرت – والد – 8- ملاح السفينة – 9- حرف نصب – سجن – خاصتي – 10- زعيم صيني راحل

عمودياً

1- جزيرة بركانية من جزر السوند تتبع إندونيسيا – من الأوزان – 2- عملة الصومال – لم ينم وظلّ مستيقظاً – ضمير متصل – 3- خنزير برّي – فرخ الحمام – 4- يُساعد ويُعاون – بيت العصفور – حكّ وأزال – 5- شهر ميلادي – نبات جاف – 6- حرف نصب – تضوّع العطر – أكله – 7- من رجال السيرك – 8- أسبّ والعن – مركبة فضائية أميركية – 9- حرف أبجدي – ثرى – من الفاكهة – 10- ممثلة مصرية

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- يوسف الحداد – 2- عين تراز – في – 3- سو – حج – بترا – 4- وما – نو – قسّم – 5- بنزرت – نوتي – 6- غليوم تل – 7- أجياف – بر – 8- وهمي – سرو – 9- يم – نبتون – 10- كازابلانكا

عمودياً

1- يعسوب – بويك – 2- ويومنغ – هما – 3- سن – أزلام – 4- فتح – ريجينا – 5- ارجنتوي – ب ب – 6- لا – مارتل – 7- حزب – نتف – وا – 8- تقول – سُنن – 9- افرست – بر – 10- ديناميس روما

sudoku 4413

	6	1		2				8
7				5		3	6	
	3		6	9		2		
8			7		2			
3	1						2	4
			9		4			1
		9	1	6	3			
	7	6		4				
				7		8	5	

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أو عمودي.

حل الشبكة 4412

7	6	3	1	5	4	8	9	2
1	8	5	2	9	6	7	4	3
2	9	4	8	3	7	6	1	5
5	2	1	3	8	9	4	6	7
4	3	6	7	1	5	9	2	8
9	7	8	6	4	2	3	5	1
8	1	9	4	2	3	5	7	6
3	4	7	5	6	1	2	8	9
6	5	2	9	7	8	1	3	4

مشاهير 4413

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

مضيفة وممرضة أرجنتينية (1887-1971). نجت من حادثة غرق التايتانيك
6+5+1+3+4+2 = مدينة ايطالية ■ 7+11+2+4 = مدينة لبنانية ■ 9+8+10+4 = عاصمة كوريا الجنوبية

حل الشبكة الماضية: صوفي ابو طالب

إعلانات رسمية

إعلان
لأمانة السجل العقاري في الشمال
طلب محمد نور الدين غلاييني عن وقف أقرا الإسلامي سندات تمليك بدل ضائع عن داعي الإسلام سالم الشهال 1612 مقسم 22 و23 وعن حصة محمود حسين زمرّم في العقار 1612 قسم 23 منطقة بساتين طرابلس.
المُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري
افلين موسى

إعلان
لأمانة السجل العقاري في الكورة
طلبت ماريات بولس المصري بصفتها أحد ورثة بولس يوسف المصري سندات بدل ضائع 4045 اهدن 1648 – 1681 زغرتا.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري
افلين موسى

إعلان
لأمانة السجل العقاري في الشمال
طلب شادي مصطفى الحايك بوكالته عن أحد ورثة أحمد الحاج أسعد سند بدل عن ضائع بالعقار 32 زوق بحنين.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري
افلين موسى

إعلان
لأمانة السجل العقاري بالكورة
طلبت المُحامية كمال شليطا بالوكالة عن سلام شحاده جعجع سند بدل عن ضائع للعقار رقم 1604 راسمسقا.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري
افلين موسى

الأخبار
اشتراكات
توزيع
إعلانات
www.al-akhbar.com
71-513571
01-759500

البلاد

العقار 4756: ليس لقبور «صبرا وشاتيلا» من يحميها!

فؤاد بزي

الأرض التي تحتوي شهداء أفظع مجزرة شهدها تاريخ بلادنا، مجزرة صبرا وشاتيلا، برسم البيع. «رفات الشهداء الساكنة» عند مدخل منطقة صبرا، الذي ارتبط اسمه بأكثر من 3500 شهيد، معروضة للاستثمار التجاري. فلا يجد الشهداء، على فظاعة الاحتلال وعملائه، من يدافع عنهم اليوم. وبدلاً من تحويل قطعة الأرض التي تحتوي على آلاف الضحايا، ومساحتها 2400 متر مربع، إلى متحف يخلّد ذكرى أفظع مجزرة شهدها الشعب الفلسطيني، تتنصّل الفصائل الفلسطينية والدولة اللبنانية من المسؤولية عن دفع أقل من مليوني دولار، وهو مبلغ قليل مقارنة مع حفلة الجنون الأخيرة في عين الحلوة والتي قادتها بعض الفصائل المتنصّلة من حفظ أرض الشهداء. لولا صمود بلدية الغبيري في ضاحية بيروت حتى اللحظة، لتحوّلت الأرض الشاهدة على مجزرة استمرت لثلاثة أيام بلياليها إلى منازل ومحالّ تجارية، ولَنُحر الشهيد مرتين، مرّة بسكين الحقد، وأخرى بإهمال الذكرى.

في مثل هذه الأيام من عام 1982 حام الموت فقط فوق مخيم شاتيلا الذي يعجّ بأهله اليوم. وهذه المداخل نفسها التي يملؤها الناس والباعة، كانت تحكمها دبابات العدو، فتمنع أهالي المخيّم من الخروج، وتدخل عليهم قطعان عملائها لتنفيذ عملية إبادة جماعية قتلت فيها سكاكين الحقد كلّ كائن حي.

على بعد أمتار قليلة من مدخل المخيّم، وفي بقعة هادئة تحيط بها الأشجار، وتحرسها أسوار المنازل وحارس لبناني في سبعينيات العمر، يرقد في العقار 4756 عدد غير معروف، لكنّه يناهز الألف شهيد، من ضحايا المجزرة. فلسطينيون، لبنانيون، سوريون، وشهداء آخرون من جنسيات عربية وأجنبية لم يجد الصليب الأحمر في حينها من عام 1982 من حلّ سوى دفنهم في مدفن جماعي على إثر تحلّل الجثث.

العقار «4756 الشياح» في نطاق بلدية الغبيري، المرقد الأخير لعدد كبير من شهداء المجزرة، مصنّف بحسب خرائط «مشروع اليسار» بأنه مدفن. ولكن، هذه الأرض ملك خاص لأشخاص من آل العرب، ويرغب أصحابها ببيعها، ووضعوا لهذه الغاية سعراً وقدره 1500 دولار للمتر الواحد. وبعد متابعة بلدية الغبيري، تمكّنت من دفع مجلس الوزراء الأخيرة في عين الحلوة والتي قادتها لـ«إصدار المرسوم 8673 عام 2002 الذي اعتبر الأشغال العائدة لمشروع إنشاء مدافن لشهداء مجزرة صبرا وشاتيلا من المنافع العامة، واستملاك العقار 4756، على أن تباشر عمليات الاستملاك خلال ثماني سنوات ابتداءً من تاريخ المرسوم».

لم تنطلق عمليات الاستملاك رغم مرور 21 سنة على صدور المرسوم، و11 عاماً على تكليف مجلس الوزراء الدراسة الدراسة، بموجب القرار الرقم 65، بـ«تقدير التعويضات المترتبة إلى استملاك العقار 4756 وإحالتها إلى وزارة المالية لدفعها إلى المالكين». في المقابل، قام مجلس شورى الدولة عام 2016 بإصدار القرار الرقم 784 الذي أسقط المرسوم 8673. بالتالي تقدّم مالكو العقار مرّة أخرى عام 2018 بعرض بيعه للبلدية بسعر 1500 دولار للمتر، أي ما يوازي ثلاثة ملايين وستمئة ألف دولار. ولكنّ «البلدية لا يمكنها شراء العقار» يقول رئيس بلدية الغبيري معن خليل ان «ميزانية البلدية لا تسمح بشراء العقار، علماً ان هذا المكان يعد من ذاكرة الوطن وذا من مسؤولية الدولة اللبنانية والاوقاف اكثر مما هو مسؤولية بلدية».

وعلى خط موازٍ، تحرّكت بلدية الغبيري نحو جميع الفصائل الفلسطينية، والجهات الرسمية في لبنان لدفعها لشراء العقار، وتحويله إلى نقطة مركزية للتذكير بوحشية اجتياح العدو عام 1982، ودمويته ضد القضية الفلسطينية والفلسطينيين. خلال الوقت الضائع، لم تترك البلدية المكان من دون حماية، ولا سيّما كون العقار أرضاً فارغة داخل منطقة مكتظة سكنياً ومعرّضاً بشكل كبير للتعدّيات. ولذلك، قامت بتعيين حارس على الأرض يتقاضى راتباً من البلدية لحفظها من التجاوزات، وعملت في الفترة الأخيرة على منع عملية بيع الأرض لأحد التجار في المنطقة، إذ كانت ستتحول مدافن شهداء المجزرة إلى «مجرّد بلاطة في سوق صبرا».

وعود الفصائل الفلسطينية بالمساهمة أو شراء الأرض لم تُترجم على أرض الواقع. تلقّى الخليل تطمينات من أرفع المسؤولين في منظمة التحرير، آخرها كلام عزام الأحمد، مبعوث الرئيس الفلسطيني محمود عباس، بأنّ «الموضوع سيُحلّ خلال أسبوع بعد عودته من رام الله، وسيطلب من الرئيس الفلسطيني التدخل شخصياً». أمّا آخر الوعود بحلّ المسألة، فجاء أمس على لسان أمين سر منظمة التحرير في لبنان فتحي أبو العردات الذي تعهّد خلال إحياء ذكرى المجزرة بـ«التعاون والرد والمتابعة». المنظمات الدولية غابت أيضاً عن المشهد، إذ لا يعنيها أبداً تخليد ذكرى مجزرة قام بها الاحتلال الإسرائيلي، بل تعتمد سياسة الكيل بمكيالين، ففي أوروبا تلاحق كل أثر لاضطهاد يهودي على يد المانيا النازية، وتسعى لأجله لإقامة التماثيل والمتاحف. في المقابل، لا تشارك حتى في ذكرى قتْل من كانوا تحت حمايتها في المخيمات في أيلول 1982.

(الأخبار)

أمام هذا المشهد، قامت بلدية الغبيري بإعادة التفاوض مع أصحاب الأرض من آل عرب، ووصلت إلى تسوية جديدة قضت بتسعير المتر الواحد بـ 500 دولار، ما جعل السعر الكلّي للعقار 4756 ينخفض حتى مليون ومئتي ألف دولار. وفي الوقت عينه، تابعت بلدية الغبيري العمل على حل القضية، فقامت بتأسيس جمعية تحت اسم «1982-صبرا وشاتيلا»، علم وخبر 1283، وبهدف واحد «المحافظة على ذاكرة ضحايا مجزرة صبرا وشاتيلا، وتخليد ذكراهم في تاريخ المجتمع اللبناني والفلسطيني». وتمكّنت الجمعية حتى اللحظة من جمع مبلغ 10 آلاف دولار في مؤسسة القرض الحسن، في الحساب الرقم 814-50 من مساهمين ومناصرين للقضية الفلسطينية، بعدما رفضت مصارف لبنانية فتح حسابات لتلقي الهباتفور علمها باسم الجمعية وأهدافها. والجمعية الوليدة ملّت من الوعود، وستسعى لجمع المبلغ المطلوب لشراء الأرض من الناس في الطرقات وأهالي المخيمات، ومناصري القضية الفلسطينية.

وعود الفصائل الفلسطينية بالمساهمة أو شراء الأرض لم تُترجم على أرض الواقع

حلمنا... «العودة للدار»

محمد أبو الخير

النازحون يحلمون بالعودة إلى مخيمهم، إلى «عين الحلوة»، إلى زواريبهم الضيقة، وجدرانهم التي كُتبت عليها مفردات «العودة إلى فلسطين»، «حق العودة»، «فلسطين لنا». يحلمون بالعودة إلى المخيم، بعد أن كان حلمهم وانتظارهم للعودة إلى بلادهم فلسطين. لكن كل شيء تغيّر، بعد الرصاص والقذائف التي خرّقت الجدران ودمّرت بعض البيوت، وهجّرت العديد من العائلات.

التقيت أكثر من عائلة من المخيم، بعض أفرادها لم يفضّلوا التعريف بأنفسهم للصحافة. عائلة مهجّرة من «حي حطين» الذي شهد معارك طاحنة، ذكرت أن منزلها المؤلف من خمس طبقات، دُمّر منه طابقان، وبقية الطوابق لحقتها أضرار كبيرة، فضلاً عن أنه تمّ الاستيلاء عليه من بعض الجماعات المتطرفة، وهنا تسأل هذه العائلة: «كيف بنامو على تخت مش الن». وصلتها مشاهد من أقارب لها في المخيم، وتُقوا لها دمار منزلها، وبعد ذلك طُلب منها الخروج فوراً من الحي. تقطن هذه العائلة اليوم عند أقارب لها، من دون تقديم أي مساعدة لا في الترميم ولا في غيره، بسبب الاستيلاء على منزلها.

عائلة أخرى من الحي ذاته مسيطر على منزلها، لكن هذه المرة من «الأمن الوطني»، قال أفراد العائلة إن «منزلهم مدمّر»، وهم يسكنون اليوم في منزل استأجروه في ضواحي صيدا.

توجّهت في تجوالي على العائلات إلى مسجد الموصلي. هناك عائلات تفرش الأرض، ومعظمها من حيّي التعمير والطوارئ، غالبيتها من التابعية السورية، شاء قدر أفرادها أن ينزحوا مرة أخرى، يقول أحدهم وقد تضرّر منزله وأصبح بلا مأوى، إن «المساعدات تأتي من الجمعيات الأهلية، ومن بعض الأثرياء في مدينة صيدا، يؤمّنون المأكل والمشرب للعائلات النازحة». وبينما كنت أحادث الناس، رأيت من يقومون بالتنظيف ويخرجون الفرش لتشميسها، وعن الطبابة قال لي أحد المتطوعين في المكان إن «الصليب الأحمر اللبناني يقوم بحملة روتينية لتفقّد الحالات الصحية».

انتقلت إلى مدرسة نابلس التابعة لـ«الأونروا»، لأعرف ظروف الناس هناك عن قرب، لكنني مُنعت من الحديث مع أي شخص فيها، أو حتى مع الجمعية التي تدير العمل الإغاثي. تمكّنت من الحديث مع مديرة المركز، وهي موظّفة من «الأونروا»، قالت لي إنه قرار من مدير المنطقة، فهو الممثل بأي بيان. لكنني عرفت بعدها أن مَن يدير المركز جمعية تساعد ما يقارب 80 عائلة، وتقدّم كل مستلزمات النظافة، وتؤمّن المأكل، وتنسّق مع جهات مختلفة لتلبية الاحتياجات، و«الأونروا» فقط لديها عيادة طبية ثابتة في المدرسة وتقدّم الدعم النفسي.

(علي حشيشو)

المبادرات الفردية

هناك عمل على مستوى المؤسسات والجمعيات واضح. وهناك أيضاً مبادرات فردية. التقيت بلال مرعي، وهو صاحب مبادرة الإحصاء لمسح احتياجات النازحين من المخيم عبر تعبئة استمارة، سجّل لنحو 1541 عائلة. تمحورت دراسته حول سؤالين (أين هم؟ وما هي احتياجاتهم؟) النتيجة كان أكثرهم لدى عائلات مستضيفة لهم، ومن ثم وجودهم في مدرسة نابلس ومركز سبلين التابعين للوكالة، وفي مسجد الموصلي. أمّا الاحتياجات، بحسب بلال، فهي نقص في الفرش، لأن العائلات المستضيفة ليس باستطاعتها تأمين «فرشات» لأفراد عديدين فجأة دخلوا المنزل.

مروى، سيدة فلسطينية، لبنانية الجنسية، متزوّجة من لبناني، عادت إلى لبنان من الاغتراب منذ 4 أعوام.. عملها في المجال الإنساني جعلها مصدر ثقة وأمان لكل من يريد تقديم يد العون، تقول إنها «تجمع في شهر رمضان مبالغ مالية من أفراد وعائلات لبنانية وفلسطينية لتوزيعها، وحتى خلال ما تشهده مدينة صيدا من وضع اقتصادي سيئ»، واليوم، وخلال ما يمر به مخيم عين الحلوة، عمّمت حملتها. تؤكد مروى أن «المتبرع لا يشترط لمَن يذهب تبرّعه، لأن العمل الإنساني لا يجب أن يتطرق إلى الطائفة والجنسية، فقط اشترطت بعض العائلات أن يتحول إلى كل عائلة نازحة مبلغ تشتري به ما تحتاج إليه». وتضيف أنه من اللافت أن «هناك أشخاصاً تواصلوا معي، وسارعوا في التبرع قبل أن أتواصل أنا معهم. وكل متبرع بقدّم بحسب قدرته». تمكّنت مروى من الوصول إلى 150 عائلة مقسّمة على عدة مناطق (القيلات - الهمشري - الفوار - دلاعة - اباعة - جدرا)، كان هذا التوزيع بعد الاستناد إلى مبادرة-دراسة بلال. وتم التنسيق وتشكيل فريق من الشباب كي يتوزعوا على المناطق. تؤكد مروى أن مبادرتها مستمرة طالما أن هناك أيادي بيضاء تقف مع الإنسان.

ستنتهي المهلة المعطاة لتسليم المطلوبين في نهاية الشهر الجاري، وبعدها إمّا «الاستقرار» النسبي، وإمّا العودة إلى إحصاء الضحايا، والدمار الإضافي، والمزيد من النازحين. وحتى ذلك الحين، سيبقى أهل المخيم ينتظرون عودة مخيمهم إليهم، لانتظار عودتهم إلى بلادهم.

نسوة «عين الحلوة»: أمل المخيّم الأخير

رشا حيدر

على الرغم من الاشتباكات في مخيم عين الحلوة، ونزوح عدد كبير من العائلات جرّاء المعارك الطاحنة التي شهدها المخيم منذ أكثر من نحو شهرين، وما حصل خلال جولتين استخدمت فيهما أسلحة وقذائف مختلفة أمطرت عدة أحياء من المخيم، لم تنزح نسوة المخيّم في منزلهن، بل تحدّين المخاطر والصعاب، وقمن بواجبهن على أكمل وجه.

هي الأمّ والمرأة الفلسطينية التي وجدت نفسها وحيدة كوردة في الثلج، تواجه متحدّية كل الظروف الصعبة. أسهمت نساء المخيم في الأيام العصيبة في تخفيف المعاناة عن كاهل أسرهن، بدايةً بتأمين الغذاء والدواء للعائلة؛ فالنساء خرجن تحت القذائف وخلال الاشتباكات ودسن على الركام والنفايات بعد أن أصبح التجوّل في الشارع نوعاً من أنواع الانتحار، وكل ذلك من أجل تأمين ما هو ضروري للأطفال في المنزل.

أمّ محمد، واحدة من تلك النساء، مشت على الركام، وانتبهت لقنبلة لم تنفجر، تجاهلتها، وتجاهلت خطرها المحدق، فقد تنفجر في أيّ لحظة، فلم تكن تفكّر في تلك اللحظة كما تقول إلا «بطعام لصغارها». وتكمل شارحة معاناتها خلال الاشتباكات: «شو الي رماك على المرّ غير الي أمرّ منه؟ لا قدرة مادية لنا للإيجار خارج المخيم، فبعد وفاة زوجي بسرطان الرئة منذ أربع سنوات، تاركاً لي أربعة أولاد، أكبرهم يبلغ من العمر 12 سنة، اضطررنا للبقاء داخل المخيم، ويومياً أعيش المعاناة نفسها، منذ تنفيذ الهدنة، فللحصول على الطعام أذهب بسرعة إلى السوق متجاهلة ما تدوسه قدماي وأعود محمّلة بما أمكن». هذه السيدة واحدة من مئات الأسر في المخيم، لا قدرة لها على الخروج، بقيت خلال المواجهات الأخيرة وما قبلها متعايشة مع الخطر وفقدان الأمان.

تجربتي

أنا أنا، كاتبة هذه السطور، وواحدة من سكان المخيم، فيشكل ذهابي إلى السوق أو البقاء في المخيم تحدياً من نوع آخر، فما إن تهدأ أصوات الرشاشات وينبلج الصباح، حتى أرى المخيم بصورة غير تلك التي اعتدناها، أراه «إعصاراً»، ربما المعنى الأكثر تجسيداً للحالة التي نعيشها. انتهت الاشتباكات بمعناها التقليدي، موت، دمار، قتلى، جرحى وسيارات إسعاف، بنادق ملطّخة بالدماء.. إلا أنها مستعرة في نفوسنا، حرب لا تهدأ، فانتهاء المعركة بالنسبة إلى وسائل الإعلام إعلان وقف إطلاق النار، أمّا بالنسبة إليّ فهو عودة الحياة إلى سابق عهدها... حرب ما بعد الحرب أصعب بكثير من أزيز الرصاص. أسير في طريقي نحو السوق، الشوارع فيه فارغة إلا من أطلال بيوت كانت مسكونة بأناس ألف وجوههم، يتبسمون لأطفالي... اليوم في طريقي نحو السوق، البيوت ذاتها فارغة، الطرقات خالية، لا يوجد إلا الركام والنفايات التي تحوّلت إلى وجبة دسمة للقطط والجرذان. كنت أمشي قبل أيام في طريق فارغة، فالتفتُّ إلى الوراء، بحثاً عن أحد أعرفه، كالحاجّة التي تبيع العنب أحياناً وتقدّم لأولادي عنقوداً، وذاك الشاب الذي يركض نحوي مسرعاً ليتنشل ابني الذي سقط على الأرض، وبائع الكعك الذي يطلب مني أن آتذوّق كعكه قبل الشراء، افتقدت ضجيج المارّة والباعة، وضحكات الأطفال وجدال النسوة، جميعهم رحلوا وتُركنا نحن على قيد الاشتباكات.

حين أسأل نفسي ماذا خسر الناس في هذه المعارك؟ هل خسروا بيتاً، زوجاً، محلاً تجارياً، ابناً؟ أجيب، خسروا أنفسهم، وأنا أيضاً خسرت نفسي. ثلاثون عاماً وأنا في طاحونة الاشتباكات، أحاول النجاة من رحاها ومعي «اضطراب ما بعد الصدمة» الذي سيرافقني مدى الحياة، تاركاً على وجهي الثلاثيني ملامحَ خمسينية.

لي أربعة أولاد، أكبرهم يبلغ من العمر 12 سنة، اضطررنا للبقاء داخل المخيم، ويومياً أعيش المعاناة نفسها، منذ تنفيذ الهدنة، فللحصول على الطعام أذهب بسرعة إلى السوق متجاهلة ما تدوسه قدماي وأعود محمّلة بما أمكن». هذه السيدة واحدة من مئات الأسر في المخيم، لا قدرة لها على الخروج، بقيت خلال المواجهات الأخيرة وما قبلها متعايشة مع الخطر وفقدان الأمان.

شمس، أيضاً، وهي سيدة خمسينية، تقول لـ«الأخبار» إنّ «المرأة الفلسطينية في المخيم تعيش أوضاعاً صعبة للغاية جراء الاشتباكات المستمرة المتلاحقة، فما إن نصلح ما خلّفه الاشتباك السابق، حتى يأتي آخر يدمّر ما أصلحناه». وتشير إلى أن ما تعيشه المرأة من اشتباكات وتهجير ونزوح متكرر إلى الشوارع والمنطقات، جعلها تشعر أنها أقل من نظيراتها، ممن يسكنّ خارج المخيم، بفعل غياب عامل الاستقرار الأمني والاقتصادي. توضح شمس، التي تعيش في حظيرة بقر في درب السيم بعد أن فقدت منزلها في حي حطين، أن تدمير المنازل أضاف همّاً إضافياً إلى العوائل الفلسطينية، ولا سيما أننا على أبواب فصل الشتاء وبدء العام الدراسي.

ناشطات

استمر عمل الناشطات في المخيم، ولا سيما في الأوضاع التي مرّ بها خلال جولتَي القتال في الفترة الماضية. المتطوّعة في جمعية «نبع» سماح أيوب توضح أنه: «منذ اندلاع الاشتباكات ونحن نقدّم الخدمات المختلفة في شتى المجالات، من الدعم النفسي للأطفال وصولاً إلى الإغاثة، خاصة أن هناك أوضاعاً اقتصادية صعبة، فاقمتها الاشتباكات، ونفاد معظم المواد الغذائية، وظهور حالات مرضية خطيرة بسبب تراكم النفايات والتلوث وغياب القطاع الصحي».

هل استفدنا من درس «صبرا وشاتيلا»؟

عصري فياض

في نهاية شهر آب من عام 1982، خرجت آخر قيادات وقوات الثورة الفلسطينية من بيروت بعد توقيع اتفاق بطريقة غير مباشرة مع المبعوث الأميركي فيليب حبيب، إثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان وصولاً إلى العاصمة بيروت وجزء كبير من البقاع والجبل. وكان من شروط الخروج استقدام قوات متعددة الجنسيات لتأمين سلامة الفلسطينيين واللبنانيين في المنطقة الغربية من بيروت، فجاءت هذه القوات المكونة من قوات المارينز الأميركية وقوات فرنسية وإيطالية. وبعد أيام على خروج قوات الثورة الفلسطينية، انسحبت هذه القوات بشكل مفاجئ ودون سابق إنذار، فقتل بعدها الرئيس اللبناني المنتخب حديثاً والمتعاون مع الإسرائيليين بشير الجميل في تفجير ضرب بيت الكتائب في بيروت الشرقية. شارون كان حينها ينتظر هذه الفرصة، فبعد اغتيال الجميل باقل من 24 ساعة، دخلت «القوات اللبنانية» وقسم من جيش أنطوان لحد العميل إلى بعض أجزاء بيروت الغربية وخاصة منطقة مخيم شاتيلا ومنطقة صبرا وجوارهما، وارتكبوا على مدى ثلاثة أيام متتالية مجزرة بشعة ومروعة راح ضحيتها نحو ثلاثة آلاف فلسطيني ولبناني وجنسيات أخرى. وعندما اكتشفت فصول المجزرة المروعة صدم العالم، وأجبرت هذه الصدمة الكبيرة حتى الكيان الإسرائيلي على تشكيل لجنة تحقيق سميت «لجنة كاهان». ما نريد الإشارة إليه في هذا المجال، هو أنار تلك المجزرة، فإن أحد أسبابها المباشرة كان نقض الاتفاق الذي تم مع الوسيط الأميركي فيليب حبيب، والاتفاق، جاءا من الجانب الأميركي والأوروبي، فلولا التعهد بحماية المخيمات لما خرجت قوات «م ت ف» من بيروت، وما انسحابها المفاجئ والسريع من بيروت بعد أيام على خروج قوات «المنظمة» وأسبابه إلا لغز كان ولا يزال يحمل خلفه خطة مبيّتة من قبل إسرائيل وحلفائها من القوات اللبنانية وجيش لحد، لكن الدرس الذي كان صارخاً ومدوياً هو: هل استفدنا منه نحن كفلسطينيين، أقصد القيادة الفلسطينية؟

لا أنكر أن تعاطي قيادة الثورة الفلسطينية في ذلك الوقت مع الوساطة الأميركية نابع من أمرين مهمين:

الأول: أن قوات الثورة الفلسطينية التي حوصرت في بيروت لمدة ثمانين يوماً تحت وابل من القصف الشديد من الأرض والجو والبحر، لم ترد تدمير بيروت العاصمة العربية التي احتضنتها، فيما رفضتها عواصم أخرى، ولم تقف إلى جانبهم في هذا العدوان الكبير عليهم، فرأت أن تلبّي مطالب حلفائها من اللبنانيين الذين وقفوا إلى جانب قوات الثورة الفلسطينية جنباً إلى جنب في كل مراحل القتال، سواء ضد الإسرائيلي أو ضد الانعزاليين.

الثاني: أن قيادة «م ت ف» في حينها كانت تسعى إلى نيل اعتراف بها من الولايات المتحدة الأميركية، فرأت في قبول الوساطة مقدمة على طريق نيل الاعتراف هذا، والذي قد يؤسس في فتح قناة اتصال مع الإدارة الأميركية. لكن أميركا، بعد الخديعة والتنكر والانفكاك من التعهدات التي قطعتها على نفسها، ضربت الجانب الفلسطيني ضربة شديدة، فهل أخذت القيادة الفلسطينية العبرة من هذا الموقف الأميركي؟ الجواب، لا، فقبل هذا الدرس، تلقّت القيادة الفلسطينية صفعة أخرى، عندما كادت قيادة منظمة التحرير أن تنجز وساطة ناجحة في الإفراج عن الرهائن الأميركيين الـ 52 الذين كانوا محتجزين في طهران، فاتصل طاقم الرئيس الأميركي المرشح للانتخابات حينها رونالد ريغان بالجانب الفلسطيني، وأبلغه أن يتراجع عن وساطته حتى لا يعطي منافسه الرئيس الأميركي جيمي كارتر نجاحاً يمنع ريغان من الفوز، في مقابل وعد من طاقم ريغان بفتح اتصال مع قيادة المنظمة، بعد فوزه بالرئاسة مباشرة، فصدّقت القيادة الفلسطينية الوعد، وخسر كارتر، وفاز ريغان، ولم يف الأخير بوعده للفلسطينيين.

ومنذ ذلك الحين والتجارب في صدقية الجانب الأميركي تتواصل، وعلى رأسها الضمانات الأميركية التي جرت في كل مراحل التفاوض الفلسطيني الإسرائيلي، والتي لم تقِ الإدارات الأميركية المتعاقبة بأي منها، وخاصة السياسية، والتي كانت تشير إلى ممارسة الضغط المطلوب على كل من يتنكر لبنود الاتفاقيات، وكل ما قدمته الولايات المتحدة لقيادة الشعب الفلسطيني هو اعتراف هزيل بها، إضافة إلى بعض المساعدات المالية والمشاريع، كما تقدم لأيّ دولة في العالم.

لذا نقول إن درس «صبرا وشاتيلا» الصارخ لم نتعلّم منه إطلاقاً، وما سبقه وما لحقه شكّل إخفاقاً كبيراً للقيادة الفلسطينية في هذا الجانب، فالإدارات الأميركية المتعاقبة التي تسوّق أنها راعية للسلام، كانت ولا تزال الحاجب الأساسي الذي يمنع إسرائيل من تلبية متطلبات الحل السياسي القائم على العدل، وأن سياسات الولايات المتحدة باقية ومتواصلة وعميقة مع تقلب الرئاسات والإدارات على مرّ السنين والعقود.

وهذا الدرس، وما سبقه وما لحق به، يجب أن يكون حاضراً في هذه الأيام لجهة سعي إدارة بايدن إلى عقد صفقة تطبيع بين السعودية وإسرائيل بـ«بهارات فلسطينية» بهدف تعزيز فرصة بايدن وحزبه الديموقراطي في الفوز بولاية ثانية في الانتخابات الأميركية.

هذا الدرس، وما سبقه وما لحق به، يجب أن يكون حاضرا في هذه الأيام لجهة سعي إدارة بايدن إلى عقد صفقة تطبيع بين السعودية وإسرائيل بـ«بهارات فلسطينية»

حين يهدّد السياسي الصحافي

مطر عدوان

انتهت جولة أخرى من معركة مخيم عين الحلوة، وليس واضحاً بعد إن كان القتال سيُستأنف في وقت ما، أكان قريباً أم بعيداً. وحتى ذلك الحين، وخلال الجولتين الماضيتين، وما بينهما، كانت تدور معركة أخرى على مجموعات «واتس آب»، وصفحات «فيسبوك» تابعة إما لأنصار حركة «فتح» وإما للمجموعات المتطرفة في المخيم ومن والاها. ولعل المتابع لهذه المجموعات وهذه الصفحات، يدرك تماماً معنى المعركة المستمرة، التي تطاول نيرانها كل شيء، وتذكّر على الفور بالتقاذف الإعلامي الذي انبرى رواده بعد الانقسام الفلسطيني الفلسطيني في غزة عام 2007، يؤجّجونه.

ومع تجاوز فكرة أن مسؤولي معظم الصفحات، أرقامهم ليست لبنانية. ومع تجاوز الأخطاء الكثيرة في المعلومات، حتى تلك المتعلقة بفلسطين في بعض الأحيان وفي أوقات السلم، فإنه لا يمكن تجاوز في أي حال من الأحوال، الفبركات الكثيرة للمعلومات التي تحصل على تلك المجموعات، والتي من شأنها «الاستقطاب» السلبي للناس، ومع الفبركة والكذب، تجد محاولات رخيصة لابتزاز مشاعر الناس البسيطة عبر الدين، وإعطاء انطباع للناس، بأنهم إن لم يقفوا إلى جانبهم، فإنهم لا يقفون مع من ينصرون الله. في دوائر أعلى مستوى، ومجموعات أكثر مهنية واحترافية، وصلت الأمور بأحد المسؤولين الفصائليين، أن وجّه سهامه نحو أحد الصحافيين الفلسطينيين، بعد أن قال رأيه بما يحدث في «عين الحلوة»، الرأي الذي لم يعجب المسؤول، الذي اعتبر الرأي «تحريضياً»، فاطلق عليه تهديداً بتقديم شكوى ضده لدى «تنظيمه»، ولدى مكان عمله في إحدى القنوات التلفزيونية الأهم، ولدى «حزب الله»، وكل هذا بدعوى أن الزميل الصحافي يحرّض، في حين أن هذا الزميل يكتب رأيه باسمه الصريح، ولا يتوانى عن تأكيد معلوماته في مقالاته الأسبوعية، لكن يبدو أن ما هو مطلوب منا نحن الكتّاب أن نلتزم بما يراه «السياسي» ويتفق عليه «السياسي مع السياسي» (أي سياسي كان)، وأن نلتزم بمقولاته، فنصبح مع الوقت «مطبلين ومزمرين» لهذا وذاك. وفي حال لم نكن كذلك، فنصبح «تحريضيين»، وعليه يبدو أن المسؤول «الفصائلي» في الصف الأول، إن قرأ هذه المادة الصغيرة التي تشير إليه، فسيعتبرها تحريضاً، وسيقدم شكوى لإدارة الجريدة، عن كاتب مسّ «القدّس»، وفي حادثة مماثلة، قام سياسي فلسطيني رفيع، يمثل طرفاً في الصراع الدائر بالهجوم على زميلة صحافية، لأن ما تكتبه في الجريدة التي تعمل فيها اعتبره «تحريضاً».

أخيراً، الصحافيون والكتّاب وأصحاب الرأي ليسوا فوق العالم، لكن حين يمارسون دورهم، لا يحقّ لأحد على الإطلاق أن يتّهمهم بالتحريض، ولا سيما إن كان من يوجّه الاتهام، هو أحد الأطراف في المعركة، سواء من قريب أو من بعيد... فاعتبروا.

البلاد

الرجل الذي رأى سعادة والريادة المبكّرة في فهم الصهيونية وإدراك مخاطرها

صقر أبو فخر

كثيراً ما تساءلتُ عن الدوافع الحقيقية لاغتيال أنطون سعادة، وعن الأسباب التي جعلت السلطة اللبنانية، ومعها حسني الزعيم في دمشق، ينقضّون كلّهم، بروح ذئبية وفجور استبدادي، على سعادة، وبعدمونه في الثامن من تموز/يوليو 1949. وكان الكلام الجاري والمتهافت عن أن سعادة أعدم جراء تنظيمه حركة مسلحة ضد الدولة اللبنانية غير مقنع حتى لفتى غرّ من أمثالي. وبالتدريج رحتُ أكتشف أن السلطة في لبنان آنذاك كانت مذعورة وراجفة من سعادة. ويلوح لي، بنظرة استرجاعية إلى تلك الفترة، أن سعادة كان يمثّل، بالفعل، الخطر الأكثر جدية على النظام السياسي في لبنان، لأن ذلك النظام الخارج للتوّ من تحت عباءة الاستعمار، كان مطابقاً للبنية الراكدة الحاكمة في بلاد الشام التي وقفت ضد أي تغيير أو تقدّم أو نهوض. فالأعيان التقليديون في دمشق، أي مُلّاك الأرض والتجار ومشايخ الدين، وزعماء الطوائف المتعصّبون في لبنان، كانوا سادة الحكم في البلدين وقادة السياسة في الوقت نفسه، فضلاً عن أغوات الأحياء في المدن التابعين لزعماء الطوائف تبعية القطيع للتيس. ولا ننسى بالطبع، أبناء الزعماء الذين احتكروا المناصب العليا في الدولة الجديدة. فلا غرابة في هذه الحال أن ترتعد تلك الفئات الرجعية حيال صعود تيار سياسي وفكري جديد عابر للطوائف والمذاهب والكيانات التي رسم حدودها الاستعماران الفرنسي والإنكليزي.

إنّ فكرة الوحدة السورية والوعي المبكر بأخطار الحركة الصهيونية ورفع راية العلمانية كانت الأقانيم الثلاثة التي دشّنت وعياً تاريخياً جديداً متصادماً بشدة مع الوعي المشيخي التقليدي في شأن الأمة والنهضة وبناء الدولة. لذلك لم يكن مستغرباً أن يجتمع الطائفيون والانفصاليون والرجعيون وانتهازيو القومية العربية وعملاء إسرائيل على أنطون سعادة، وأن يتمكنوا منه في ذلك الصيف اللئيم من عام 1949. والأكيد أن هؤلاء جميعاً اكتشفوا الخطر الداهم الذي يمثله سعادة وأفكاره على مصالحهم ومنافع طوائفهم، وعلى رقادهم في نواويسهم الحجرية القديمة المتهالكة، فبادروا إليه بسرعة قبل أن تنقف رياحينه، وتتفتّح أزاهيره. وأخال أن الخطر الذي جسّده سعادة وأفكاره يكمن هنا بالتحديد، أي في تهديده الجدّي والمباشر للتعصب والتخلف والطائفية. وفي الدعوة إلى مقارعة الصهيونية وإسرائيل. لقد رجّفت آراء سعادة في القومية والعَلمانية ومكافحة الصهيونية أوصالَ الفئات المتنفّذة، وأورثتها خوفاً عميقاً، وغمرتها بالهلع خصوصاً بعد الاستقبال المشهود في مطار بئر حسن الذي حظي به سعادة عند عودته من مغتربه القسري في سنة 1947. إنّ ذلك الاستقبال الذي قلّ نظيره أضاء الأزرار الحمر في الغرف السود للسلطات اللبنانية التي خشيت من التفاعلات السياسية المتسلسلة التي يمكن أن يطلقها سعادة، والتي من المحال التحكّم بنتائجها.

إسرائيل والمسالة اليهودية

انتهج سعادة في فهمه للصهيونية وإسرائيل منهجاً علمياً مادياً تاريخياً، ولا سيما في تفسيره المسألة اليهودية في أوروبا، وتجلياتها الاستعمارية في فلسطين، وقدّم، منذ نحو مئة سنة، فهماً ثاقباً للحركة الصهيونية التي عملت على تحويل الدين إلى قومية، وتحويل اليهود من جماعة مؤمنين إلى أمّة. وفي هذا الميدان المعرفي، لم يحترم سعادة الخرافات الرائجة عن اليهود و«عبقرياتهم»، وعن «القوة الخفية» و«المؤامرة العالمية» و«بروتوكولات حكماء صهيون»، بل انصرف إلى تحليل الصهيونية واكتشاف مراميها انطلاقاً من تاريخ المسألة اليهودية في أوروبا والوقائع الجارية والمصالح الاستعمارية الناشئة في بلادنا. وقلّما ذكر سعادة في مصادره التوراة أو التلمود إلا لماماً، أو حين يكون ذلك ضرورياً لأغراض البحث العلمي.

إنّ فهم سعادة للصهيونية وغاياتها، حتى وهو في المهجر الأميركي، كان أفضل بما لا يُقاس، من فهم رجال السياسة في المشرق العربي بمن فيهم قادة الحركة الوطنية الفلسطينية. فقد دعا مبكراً إلى منازلة الصهيونية، والتصدّي للهجرة اليهودية، لا كتعصّب ديني أو كراهية عرقية، بل كردّ قومي للدفاع عن حقوق الفلسطينيين ودرء المخاطر عن سوريا.

إنّ فهم سعادة للصهيونية وغاياتها، حتى وهو في المهجر الاميركي، كان افضل بما لا يُقاس، من فهم رجال السياسة في المشرق العربي بمن فيهم قادة الحركة الوطنية الفلسطينية

يقول سعادة وكان في السابعة عشرة: «إن إحدى الويلات الآخذة في الحلول في الأراضي السورية هي الصهيونية (...). ولو كان الصهيونيون وحدهم القائمين بهذا المشروع الخطير لهان الأمر، لكنّ تغضدهم في مشروعهم هذا أعظم دولة بحرية وُجدت على وجه البسيطة» [يقصد بريطانيا] (راجع: أنطون سعادة، السوريون والاستقلال، جريدة «الجريدة»، سان باولو- البرازيل، العدد 47، 1921/10/1). وبعد ثمانية وعشرين عاماً بالتمام، كان سعادة لا يزال يشدد على أن «محق الدولة الجديدة المصطنعة (إسرائيل) هو عملية نُعرف جيداً مداها. إنها عملية صراع طويل وشاق وعنيف يتطلب كل ذرة من ذرات قوانا، لأن وراء الدولة اليهودية الجديدة مطامع دول أجنبية كبيرة تعمل وتساعد وتبذل المال وتمدّ الدولة الجديدة بالأساطيل والأسلحة لتُثبّت وجودها. فالأمر ليس فقط مع تلك الدولة اليهودية الجديدة المصطنعة، إنه مع الدولة الجديدة، ومع دول عظمى وراء الدولة الجديدة» (خطاب سعادة في برج البراجنة - لبنان، 1949/6/1). وهذه الرؤية صحيحة تماماً، فالصراع في فلسطين حالة خاصة في تاريخ الصراعات في العالم، فهو لا يشبه الصراع الهندي - الباكستاني مثلاً، أو العراقي - الإيراني، أو الروسي - الأوكراني، أي الصراع بين أمّتين متجاورتين. كما أنه لا يشبه مسارات حركات التحرر الوطني كالجزائر وفيتنام. ففي حالة حركات التحرر الوطني تنتصر الثورة حين يصبح الاحتلال مُكلفاً للمحتل وغير مُجدٍ. وفي حالة الصراعات الإقليمية، ينتهي الصراع إما بانتصار أحد الطرفين أو بالتوصّل إلى اتفاق سلام. أما في بلادنا فإن لقضية فلسطين فرادة خاصة هي أن الصراع فيها ليس صراعاً تقليدياً بين دولتين، أي أن في الإمكان حلّه بمقادير من التفاوض أو الحروب، بل هو صراع بشري وجغرافي وتاريخي وحضاري وقومي وسياسي؛ فنحن لا نواجه جيشاً محتلاً كالجيش الفرنسي في الجزائر وسورية، أو الجيش الأميركي في فيتنام، بل نواجه جيشاً ومجتمعاً ودولة وعمقاً دولياً. إنه صراع ممتدّ في الزمن، ويدور على الأرض الفلسطينية كلها. وإسرائيل، بهذا المعنى، ليست دولة استعمار تقليدي ونقطة على السطر، وليست دولة احتلال وكفى، إنما هي الدولة التي جسّدت خلاص أوروبا من المسألة اليهودية التي كانت تقضّ مضاجعها. وقد اتقنت إسرائيل وظيفتها أيما إتقان، أي حراسة المصالح الغربية الكبرى في المشرق العربي. ولم يكن قيام إسرائيل، في الأساس، مجرد نتيجة فورية لحرب خاسرة في سنة 1948، بل ذروة الصراع الذي امتد نحو مئة وخمسين سنة بين أوروبا الصاعدة وتركيا المتقهقرة؛ بين عصر النهوض الأوروبي وعصر الانحطاط التركي.

يقول سعادة: «إن الباعث على الحركة الصهيونية في الدرجة الأولى أفكار جماعة تريد أن تُوجِد من يهود العالم المختلفي النزعات والمشارب، والمتباينتي الأخلاق والعادات، أمة إسرائيلية. ومع أن هذه العملية غير طبيعية فإن انتشارها بين اليهود وغير مُجدٍ. وفي حالة الصراعات الإقليمية، ينتهي الصراع إما بانتصار أحد الطرفين أو بالتوصّل إلى اتفاق سلام. أما في بلادنا فإن لقضية فلسطين فرادة خاصة هي أن الصراع فيها ليس صراعاً تقليدياً بين دولتين، أي أن في الإمكان حلّه بمقادير من التفاوض أو الحروب، بل هو صراع بشري وجغرافي وتاريخي وحضاري وقومي وسياسي؛ فنحن لا نواجه جيشاً محتلاً كالجيش الفرنسي في الجزائر وسورية، أو الجيش الأميركي في فيتنام، بل نواجه جيشاً ومجتمعاً ودولة وعمقاً دولياً. إنه صراع ممتدّ في الزمن، ويدور على الأرض الفلسطينية كلها. وإسرائيل، بهذا المعنى، ليست دولة استعمار تقليدي ونقطة على السطر، وليست دولة احتلال وكفى، إنما هي الدولة التي جسّدت خلاص أوروبا من المسألة اليهودية التي كانت تقضّ مضاجعها. وقد اتقنت إسرائيل وظيفتها أيما إتقان، أي حراسة المصالح الغربية الكبرى في المشرق العربي. ولم يكن قيام إسرائيل، في الأساس، مجرد نتيجة فورية لحرب خاسرة في سنة 1948، بل ذروة الصراع الذي امتد نحو مئة وخمسين سنة بين أوروبا الصاعدة وتركيا المتقهقرة؛ بين عصر النهوض الأوروبي وعصر الانحطاط التركي.

يقول سعادة: «إن الباعث على الحركة الصهيونية في الدرجة الأولى أفكار جماعة تريد أن تُوجِد من يهود العالم المختلفي النزعات والمشارب، والمتباينتي الأخلاق والعادات، أمة إسرائيلية. ومع أن هذه العملية غير طبيعية فإن انتشارها بين اليهود المضطهدين جعل لها صفة إمكانية الحدوث» (محاضرة لسعادة في سان باولو- البرازيل، 1925، نشرتها مجلة «المجلة»، شباط/ فبراير، 1925). إذاً توقّع سعادة منذ سنة 1925 أن تنجح الصهيونية في مسعاها لتأسيس دولة يهودية. ومع قيام إسرائيل رأى سعادة أن «الدولة اليهودية لم تنشأ بفعل المهارة اليهودية، ولا بشيء من الخلق والعقل اليهوديين (...) بل بفضل التفسخ الروحي الذي اجتاح الأمة السورية ومزّق قواها، وبعثر حماسها، وضربها بعضها ببعض، وأوجدها في حالة عجز تجاه الأخطار والمطامع الأجنبية» (انظر: خطبة سعادة في برج البراجنة في 1949/6/1، كتاب مراحل المسألة الفلسطينية 1921-1949، بيروت: عمدة الثقافة في الحزب السوري القومي الاجتماعي، سلسلة النظام الجديد رقم 4، 1977). وهذا بالضبط ما قاله دافيد بن غوريون بعد توقيع آخر اتفاق للهدنة بين العرب وإسرائيل، أي اتفاق الهدنة السورية - الإسرائيلية في 1949/7/20، حين خاطب ضباط الهاغاناه بقوله: «إن ما تحقّق هو نصر تاريخي عظيم للشعب اليهودي كله. كان هذا النصر أكبر مما تصوّرناه وتوقّعناه. ولكن، إذا كنتم تعتقدون أن هذا النصر قد تحقق بفضل عبقريتكم وذكائكم فإنكم على خطأ كبير. إنّي أحذركم من مخادعة أنفسكم. لقد تم لنا ذلك لأن أعداءنا يعيشون حالة مزرية من التفسّخ والفساد والانحلال» (راجع، ياسين الحافظ، الهزيمة والأيديولوجيا المهزومة، بيروت، دار الطليعة، 1978، ص 61).

الصهيونية وقومية الشتات

لم يكن سعادة في كتاباته وآرائه، خصوصاً في نصوصه عن الصهيونية واليهودية وإعلان بلفور وقرار التقسيم وحرب 1948 وتأسيس دولة إسرائيل، مجرد رجل سياسي ربما تقوده أهواؤه إلى اضطراب مواقفه، بل كان رجلاً رؤيوياً سعى، بلا هوادة، إلى إحداث ثورة، لا في السياسة فحسب، بل في الفكر والثقافة أيضاً، وجهد في محاولة تأسيس مستقبل لهذه الأمة. وكلّما توغّلنا في قراءة نصوص سعادة نكتشف فهمه العميق والمبكر للصهيونية، ورباطته في التحذير منها وتبيان مخاطرها، والدعوة إلى مكافحتها والتصدي لها. وقد أراد سعادة من تحفيزه الأمة على تنظيم خطة معاكسة لمواجهة الصهيونية أن تكون تلك الخطة ياعثاً لا على رد خطر الصهيونية عن بلادنا فحسب، بل حافزاً للنهضة الشاملة التي ستُطلق في حال تحققها، جميع عناصر القوة الكامنة في هذا الأمة. واللافت أن نصوص سعادة عن الصهيونية ما برحت نضرة جداً حتى بعد مرور هذه السنين الطويلة. ونكتشف، من خلال إعادة قراءتنا لكتاباته أنه لم يكن عنصرياً ضد اليهود كما حاول كثيرون ترويج هذه الفرية عنه، بل كان معادياً للصهيونية اليهودية التي تمكّنت من السيطرة على عقول كثير من يهود العالم، وجذبتهم إلى مشروعها الاستعماري الإحلالي. يقول سعادة: «يوجد فريق من اليهود الراقين يفهم العلل وأسبابها، ويفهم عقم دعوة الصهيونيين ويحاربها من أجل اليهود كما من أجل الإنسانية جمعاء. وقد اشتُهر من هذا الفريق هنري مورغنثاو سفير الولايات المتحدة الأميركية السابق في تركيا، وله في هذا المجال حملات صادقة أثبت فيها فساد الحركة الصهيونية» (سعادة، مجلة «المجلة»، شباط/ فبراير 1925).

نعم. هنري مورغنثاو واحد من أعداء الصهيونية، وهو الذي وقع مع واحد وثلاثين يهودياً عريضة معادية للصهيونية في اللحظة التي كانت الحركة الصهيونية تتقدم بمطالبها إلى مؤتمر الصلح في باريس في آذار/مارس 1919. ومورغنثاو اليهودي الذي قال إن الصهيونية هي «أعظم تضليل ظهر في التاريخ» لم يكن وحده في هذا الموقف الأخلاقي والسياسي والتاريخي العظيم، بل كان معه وإلى جانبه وبعده كثير من اليهود النبلاء أمثال الحاخام المر بيرغر والفرد ليلنتال، فضلاً عن المنشقّين الجدد عن الصهيونية أمثال شلومو ساند وإبراهام بورغ وافي شلايم وإيلان بابه وبسرائيل شامير وجدعون ليفي ومردخاي فعنونو وميخائيل فارشافسكي، وقبلهم موشي ماخوفر وأوري آور وأودي أديف وأوري دايفيس.

الصهيونية بالتعريف هي قومية الشتات اليهودي، وقد رفع تيودور هيرتسل عمارتها الفكرية على مبدأ نفي الشتات، وتجميع اليهود في وطن قومي بشكل «بوتقة الصهر» Melting Point لهم كي يتحولوا إلى أمّة. أما اليهودية، من مبتدئها إلى منتهاها، فتقوم على تقديس الشتات لأن الشتات هو إرادة الله، وهو المطهّر الضروري قبل مجيء الماشيَّح. ففي الشتات، بحسب اليهودية، اكتشف النبي إبراهيم الله، وانجب يعقوب أبناءه الذين صاروا رؤوس الأسباط، وتحوّل الأسباط إلى شعب في مصر، ومنح الله التوراة لهذا الشعب في أثناء التيه في سيناء. ولهذا وقف معظم المتديّنين اليهود ضد الصهيونية في البداية، ثم تشقّقوا لاحقاً. وكان من بين مَن عارض الصهيونية الحسيديون والورعاء الحريديم واليهودية الإصلاحية، فجماعة اللوبافيتش الحسيدية (حَبَد) وهي اختصار لثلاث كلمات: حوخماه (الحكمة) وبيناه (الرشد) وداعات (المعرفة)، كان زعيمها الحاخام مناحم مندل شنيرسون يردد باستمرار أن الصهيونية هي العدو الأكبر والخطيئة الكبرى التي ابتُلي بها شعب إسرائيل. وعلى منواله وغراره نسجت جماعة ساتمار الحسيدية مواقفها، وكذلك ناطوري كارتا (حراس المدينة) التي تنتمي إلى الحريديم المعادين للصهيونية الذين يعتقدون أن خلاص اليهود يأتي من الله وليس من دافيد بن غوريون. أما اليهودية الإصلاحية التي أسّسها موشي مندلسون فقد رفضت القومية اليهودية، ورفضت الوطن القومي اليهودي، ودعت اليهود إلى الاندماج في البلدان التي يقيمون فيها، وتخلّت عن فكرة مجيء الماشيَّح، وأحلت في محلها فكرة العصر الماشيحاني، أي عصر العدالة والمساواة للجميع من خلال التقدم العلمي والحضاري والسلام الإنساني. وفي أي حال، فإنّ المتديّنين اليهود أمثال أغودات يسرائيل (جمعية إسرائيل) التي عارضت البرنامج الصهيوني الذي صدر عن المؤتمر الصهيوني الأول في بازل في سنة 1897، ورفضت هجرة اليهود إلى فلسطين ثم تراجعت عن ذلك في سنة 1937، رفضوا الصهيونية لسبب جوهري هو أنها أرادت علمنة الدين اليهودي بتحويله إلى قومية، فيما أراد هؤلاء المتديّنون الإبقاء على اليهودية كامتياز روحي باعتبار اليهود «شعب الله المختار» أو «شعب السبت» الذي ينتظر الماشيَّح المخلص. وهذا هو التناقض في قلب الصهيونية نفسها؛ فالصهيونية نفي للعلمانية لأن العلمانية والعلمنة تؤديان باليهود إلى الاندماج في مجتمعاتهم وأوطانهم. وهما، في الوقت نفسه، نفي للدين، لأن التدين يعيق تحويل اليهود إلى قومية. وأخال سعادة فهم ذلك التناقض فهماً تاريخياً.

سعادة والفدائيون الاوائل

تأثّر سعادة في مسلكه الثوري بأبطال النضال الوطني في أميركا اللاتينية ضد المستعمرين الإسبان والبرتغاليين أمثال سيمون بوليفار (فنزويلا) وسان مارتن (تشيلي) والكاهن العلماني الكاثوليكي خوسيه ماريا موريلوس (المكسيك) وفيسنتي غيريرو (المكسيك) وإيميليانو زاباتا (المكسيك) وفرنسيسكو ماديرو (المكسيك). وفي هذا الميدان دعا مبكراً إلى تنظيم عمليات فدائية، وتمنى لو أن فدائياً من سورية ضحّى بنفسه في سبيل وطنه، وقتل بلفور في أثناء مروره بدمشق في سنة 1925. ولو قُتل بلفور آنذاك لكانت القضية السورية تغيرت تغيراً مدهشاً (سعادة، سوريا تجاه بلفور، مجلة «المجلة»، سان باولو، أيار/مايو 1925). لكن بلفور، كما هو معروف، كان معادياً بشدة لليهود، وهو مَن صاغ «قانون الغرباء» الذي منعهم من دخول بريطانيا، ثم أرسلهم إلى فلسطين. ولذلك وصف سعادة إعلان بلفور بأنه «أسوأ العهود الدنيئة في تاريخ الدول (...)؛ غدر صادر عن أسمى مقام سياسي في أوروبا» (المصدر السابق نفسه). وفي رسالة إلى السوريين القوميين وإلى الأمة السورية مؤرّخة في 1947/12/1، أي بعد صدور قرار التقسيم الرقم 181، أعلن سعادة أن «القوميين هم اليوم في حالة حرب من أجل فلسطين (...)، وأن يوم الثلاثين من تشرين الثاني هو يوم حداد للقوميين الاجتماعيين وعبرة للأمة السورية».

من مآسي تاريخنا الفلسطيني المعاصر أن سعادة قدّم إلى المفتي أمين الحسيني عرضاً يتضمن إرسال عشرة آلاف قومي مدربين على السلاح إلى فلسطين، لكن هؤلاء كان ينقصهم السلاح ويفتقدون إلى الذخيرة، وهو ما يجب تأمينه. فجاء رد المفتي كما نقله رياض الصلح: لا سلاح للقوميين الاجتماعيين حتى لو كان تحرير فلسطين متوقفاً على مشاركتهم في الحرب (مصطفى سليمان، أنطون سعادة كما عرفته، بيروت: دار ومكتبة التراث الأدبي، 2017، ص 33). ويلوح لي أن ما نقله رياض الصلح على لسان المفتي مشكوك فيه جداً، لأن المفتي أذكى من أن يجيب بمثل هذا الجواب. ومع ذلك، بل رغم ذلك، تشكّلت منظمة «الزوبعة الحمراء» في سنة 1948، وتولى قيادتها مصطفى سليمان من بيت بيلا، وقاتلت في غير موقع من فلسطين بإمكاناتها الفقيرة، وسقط من بين مقاتليها فواز خفاجة من بلدة جباع في الشوف، ومحمد ديب عنيوس من اللاذقية، ومحمد زغيب من بلدة يونين البقاعية.

نكتشف، من خلال إعادة قراءتنا لكتاباته انه لم يكن عنصرياً ضد اليهود كما حاول كثيرون ترويج هذه الفرية عنه، بل كان معادياً للصهيونية اليهودية التي تمكّنت من السيطرة على عقول كثير من يهود العالم

بناء الدولة ومشروع النهضة

علاوة على تأثر سعادة بأبطال الحرية في أميركا اللاتينية، كان لحركات الاستقلال في أميركا اللاتينية أثرها الواضح في فكره، ولا سيما أنها استلهمت رؤاها ومفاهيمها في السياسة والتحرر الوطني من أفكار عصر التنوير الأوروبي. وهنا، في هذا الحقل المعرفي والتاريخي، لا بد من التأكيد على أن المشروع الأساسي لأنطون سعادة هو بعث نهضة شاملة في أرجاء الوطن السوري؛ نهضة سياسية واجتماعية وفكرية وثقافية وتنظيمية. وقد شدّد سعادة على أن مغادرة كهوف الطائفية ومغاور المذهبية شرط لا بد منه للشروع في هذه النهضة، ولا بد لبناء الدولة الحديثة من العلمانية القائمة على أساس المواطنة. ولا ريب أن فكرة بناء الدولة كانت تشغل فكر سعادة جديًا، فالدولة هي صورة الأمة، تماماً كما هي لدى هيغل، أي حضور العقل في المجتمع. وفي هذا النطاق لا بد من التشديد على ما هو معروف وثابت؛ فلا علاقة لأنطون سعادة بالفكرة النازية عن أصل الأمة إطلاقاً كما يحلو للبعض أن يزيد ويجتر. فالنازية تبني مفهومها للأمة على العنصر، فيما أقام سعادة مفهومه للأمة على المزيج السلالي الذي يتكون ويختمر بالتراكم الزمني في ثنايا الجغرافيا، وعبر مراحل التاريخ المتعاقبة. ويبشر سعادة هذا الأمر بقوله: «إننا أمة ليس لأننا ننتحدّر من أصل واحد، بل لأننا نشترك في حياة واحدة وفي وطن واحد يحتم علينا أن نكون إخواناً قوميين متّحدين في هذه الجامعة الوطنية» (سعادة في افتتاح نادي الطلبة الفلسطينيين في الجامعة الأميركية في بيروت، 1933).

والدولة، بحسب تصورات سعادة، هي دولة حامية ذات جيش قوي، ورأعية ذات مؤسسات فاعلة، وهي من بابها إلى محرابها علمانية وعادلة. وهذه الدولة الحامية والراعية، والعلمانية والعادلة، تحتاج إلى دعائم قوية جداً تستند إليها، وإلى ملاط قومي تُلحم به التشققات الاجتماعية، الأمر الذي يساهم في عملية الاندماج الوطني. وتحتاج تلك الدولة، فضلاً عن ذلك، إلى صوغ رؤية مشتركة تتيح تجاوز الولاءات الوشائجية والعلائق التراحمية والهويات الإثنية والطائفية إلى الولاء للوطن قبل أي ولاء آخر. ومن البدهي أن من المحال تحقيق الاندماج الوطني من دون دولة حديثة. لذلك لا بد من الاجتهاد اليوم في سبيل إنتاج رؤية للدولة تقوم على فكرة الدولة والمواطن في سياق النهضة والتقدم والاندماج الاجتماعي والوطني. فالدولة الحديثة، من خلال مؤسساتها كجهاز التعليم والثقافة والجيش، علاوة على مؤسسات المجتمع المدني كالأحزاب والنقابات والصحافة، هي التي تستطيع تحقيق التدامج الوطني للانتقال من الروابط القرابية كالقبيلة والعشيرة والعائلة والطائفة، إلى الروابط الترابية، أي إلى الدولة والوطن والمواطن الحر.

الأخبار
al-akhbar
السبت 23 أيلول 2023 العدد 5018

سياحة داخلية

خلف سور جبيل العتيق... جوهرة اسمها «بيت فارس ولوسيا»

نزار نصر

وراء سور المدينة القديمة في جبيل، يختبئ مبنى تراثي بين الأزقّة التاريخية والأشجار المعمّرة. بمحاذاة مفرق الميناء قبل شارع السوق القديم، باب حُفر في السور يأخذك إلى درب يطيب المشي عليه ويشعرك براحة البال. هدوء لا يكسره سوى قفز بعض القطط التي تلهو أمامك، قبل أن تلفتك في أوّل الدرب بوّابة مفتوحة في مقابل مركز اليونسكو، وبجانبها لافتة كُتب عليها: «بيت فارس ولوسيا». يثير الاسم فضولك، فتنظر في الداخل لرؤية درّاجة هوائية قديمة تستلقي على جدار البيت الأثري. يدعوك «أهل البيت» إلى الدخول، وعندها تتسنّى لك مشاهدة حديقة جميلة وواسعة فاتتك لسنوات حتّى لو كنت حفظت أحياء بيبلوس عن ظهر قلب.

أنت في بيت ضيافة ليس كغيره، سبق وجوده كلّ «الفورة» التي حصلت، وخصوصاً خلال الموسم الحالي. هنا، الهدف ليس تجاريّاً بحتاً، بل يحمل في طيّاته رسالة ثقافية تتمثّل في تصاميم البيت ومحتوياته والأمسيات الموسيقية «الراقية» التي تحتضنها الحديقة الساحرة. يتمتّع البيت بموقع مميّز في داخل المدينة القديمة، ويطلّ على قلعة جبيل الأثرية والميناء، وينعم مَن يرتاده بمنظر خلّاب 360 درجة، يغطّي جبيل وبيروت والبحر. لكلّ غرفة وحائط ونافذة وقطعة أثاث... قصّتها الخاصّة. بعضها يعود إلى تاريخ وضع أساسات البيت منذ أكثر من ألف سنة، فيما أتى بعضها الآخر من أماكن مختلفة مثل جبيل وبيروت وسوريا واليمن... كلّ شيء يبدو في مكانه، متناسقاً. ببساطة، الوجود في مكان كهذا يشبه الوجود داخل لوحة فنّية.

في حديث مع «الأخبار»، تسرد صاحبة هذا الإرث المميّز، نجوى القصيفي، مراحل وصول البيت إلى ما هو عليه اليوم. تخبرنا أنّ البيت كان يعود لوالدَيها فارس ولوسيا اللذَين «تمتّعا بعلاقات اجتماعية واسعة، وكانا عرّاباً وعرّابة لنحو 300 عائلة، وإشبيناً وإشبينة لنحو 400 عائلة. غالباً ما ألتقي بأناس في الأمسيات التي تُقام في حديقة البيت أو في السوق يصادف أنّ أحد والدَي كان عرّابهم أو إشبينهم. هو أمر جميل بالنسبة إليّ، ويعكس الانفتاح التاريخي في الحيّ كما في البيت الذي لم يكن له مفتاح يوماً، فأبوابه لطالما كانت مشرّعة أمام الجميع». بعد والدَيها، انتقل البيت لأربعة عقود إلى شقيقتها قبل أن تستلمه هي.

لكنّ فكرة بيت الضيافة لم تكن قد نضجت بعد. «بعد العمل في مجال التنمية الاجتماعية والصحّية وشعوري بأنّها لا تصل إلى مكان، قرّرت العودة إلى البيت والتعليم. مرّت فترة كنت أسكن فيها أحد الطوابق وأؤجّر آخر، لكن بسبب ضجيج الموسيقى التجارية في الملاهي المجاورة في السوق، لم يعد يمكننا النوم، فانتقلتُ إلى المكوث في منزل شقيقتي. قرّرتُ حينها تحويل البيت إلى مطعم أسميته «كازا لوسيا» نسبةً إلى والدتي، لكنّه لم ينجح بسبب موقعه المخفي بعض الشيء. من هنا، كانت فكرة إحدى صديقاتي بتحويله إلى بيت ضيافة، بحكم أنّ كلّ بيوتي كانت بيوت ضيافة في كلّ من جبيل وبيروت واليمن والمغرب وفرنسا، فاقتنعتُ وشعرتُ بأن أكمل المسار الذي بدأه أهلي». هكذا، بات البيت يحمل اسم «فارس ولوسيا» المثير للفضول. «ما من أحد في جبيل لم يسمع بفارس ولوسيا»، تشرح القصيفي. وتضيف: «أعطينا البيت اسمَيهما لما لذلك من دلالة على أبوابه المفتوحة دائماً أمام كلّ الناس على اختلاف أطيافهم. هو رمز كبير للتعايش، فهنا كانت مدرسة المقاصد وشيخ الإسلام ومدرسة الراهبات. الحيّ مختلط، وكان الأمر مميّزاً منذ صغرنا وربينا على احترام الآخر، والبيت هو صورة عن هذا التنوّع».

تغوص القصيفي في تدرّج مراحل بناء البيت عبر التاريخ، وتلفت إلى وجوده «على زاوية سور المدينة القديمة بسبب بنائه منذ أكثر من 1200 سنة كبرج حراسة. وبعد ذلك، بُني عقد في الداخل من ثلاث غرف مفتوحة بعضها على بعض، وتراكمت الزيادات حتّى إضافة الطابق الأخير منذ نحو مئة سنة، قبل أن نجهّزه للضيافة». وتشير إلى قنطرة عمرها 1200 سنة، وأخرى صغيرة تحت البيت عمرها أكثر من 3000 سنة، وهو ما «يُظهر جبيل من حيث كونها إحدى أقدم المدن المأهولة باستمرار. روح المدينة القديمة في تراثها وأهلها، ولا تزال فيها عائلات». لكنّ القصيفي تحذّر من خطر نزوح هؤلاء بسبب الموسيقى الصاخبة التي سبق أن اعترضت عليها أمام عدد من المعنيين؟

«نحاول الحفاظ على التراث من خلال هذا البيت مع المحافظة على طابعه القديم لا في الشكل فقط، بل في المواد المستخدمة أيضاً»، تقول القصيفي قبل أن تعبّر عن حسرتها لأنّ «هناك نقصاً في المعرفة عن جبيل وتاريخها وآثارها حتّى بين أبنائها... ومدارس المدينة لا تعطيها أهمّية... وحديثاً بدأ التنبّه إلى أهمية الترميم وطرق تنفيذه بما لا يضرّ بالآثار».

لا يكتمل البيت من دون لمسة صاحبته الخاصّة، وخصوصاً من حيث التصميم الداخلي: «سافرت إلى بلدان عربية كثيرة، ولا سيّما اليمن الحبيب. للباب الرئيسي قصّة من هناك، وكذلك النوافذ الملوّنة المصنوعة يدويّاً وبعض المصابيح. كلّها تماشت مع أغراض والدَي وتقاطعت معها». وتتحدّث أيضاً عن قطع عدّة، من بينها ستائر حصلت عليها من صديقتها في سوريا التشكيلية شلبية إبراهيم التي أخذتها بدورها ومن شابّة فلسطينية في مخيّم اليرموك صنعتها يدوياً.

بالإضافة إلى التجربة الغنية في قضاء ليلة في غرف «بيت فارس ولوسيا» والاستمتاع بالمناظر الجميلة، تستضيف حديقة المكان دورياً أمسيات وحفلات موسيقية يحييها موسيقيّون متمرّسون. تخبرنا القصيفي أنّه «لطالما كان لديّ اهتمام بالموسيقى... إلى درجة أنّ سطح بيتي حيث كنّا نلتقي في بيروت سُمي بـ «سطيحة نجوى»... وعليه، كنّا نغنّي مع الموسيقار نبيه الخطيب وعازف الناي الراحل حبيب المعلّم وغيرهما، فيما أصدقاء آخرون يلعبون الجاز، وصديق من الهند يعطينا صفوف يوغا، هكذا. وعلى هذه «السطيحة»، كانت غالبيّة الجمعات مع الراحل جوزف سماحة الذي لم يختبر الطاقة في هذه الحديقة غير مرّة واحدة، وكان البيت في طور الترميم. هذه الطاقة أحبّتها أيضاً الفنّانة أميمة الخليل التي أحيت حفلة هنا مع الموسيقي زياد الأحمدية، وكذلك شعر العازف سمير نصر الدين بها فكتب أغنية خاصّة بي وبالبيت. تحوّلت الحديقة إلى ملتقى، وأضحى الحاضرون يواظبون على المجيء حتى باتت الأمسيات مثل جمعات عائلية».

«الحكي مش متل الشوفة». عبارة شهيرة يردّدها اللبنانيّون، وتنطبق على «بيت فارس ولوسيا». فرَوعة هذا المكان لا توفيها الكلمات أو الصوَر كامل حقّها. وما الأمسيات الفنية إلّا فرصة متجدّدة لَمن لا يرغب بالمبيت خارج منزله، لاختبار تلك الأجواء والاستمتاع بطاقتها الإيجابية.

سأعلمكَ بما قرأت وشاهدت في هذا الصيف

بوك مخلوف

بلا صراخ وحناجر راجفة وخالٍ من الهلع - رغم الاسباب الكثيرة التي تحثّ على وجوده - يجيء هذا العدد من إنما بعنوان استوحيناه من فيلم الرعب «اعلم ماذا فعلت في الصيف الماضي» (I know what you did last summer) مع تعديلات جوهرية لا تخصّ الرعب وإثارته المفقودة فقط، بل تخصّ ضمير المتكلم. الكاتب هنا، مسؤول عما يفصح عنه، لسانه يقول: سأعلمك بما قرأت وشاهدت في هذا الصيف، ومن دون أن تعتري قوله نبرة التهديد، كأن أحداً يهزه بيده ابتزازاً إذا ما استجاب له. إنما يخبرنا، ببراعة وطواعية، عن افضل ما قراه او شاهده في هذا الصيف (المُرعب).

فهرس

- **على الغلاف**
  سأعلمكَ بما قرأت وشاهدت في هذا الصيف
- **تدوين**
  - تسكم صيفي مع جيم جارموش | **كريم عبد الخالق**
  - الكتب كقرصان يبحث عن الكنز | **محمد عصام الدين**
  - اقتفاء الأثر | **رياض ملحم**
  - البحث عن فضاءات للهروب | **اسلام العزازي**
  - يان بروخل: الهروب من الجحيم | **مهند عبد العظيم**

لقراءة ملحق «إنما»

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الاوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 23 أيلول 2023
العدد 5018 السنة الثامنة عشرة
Samedi 23 Septembre 2023 nº 5018 18ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

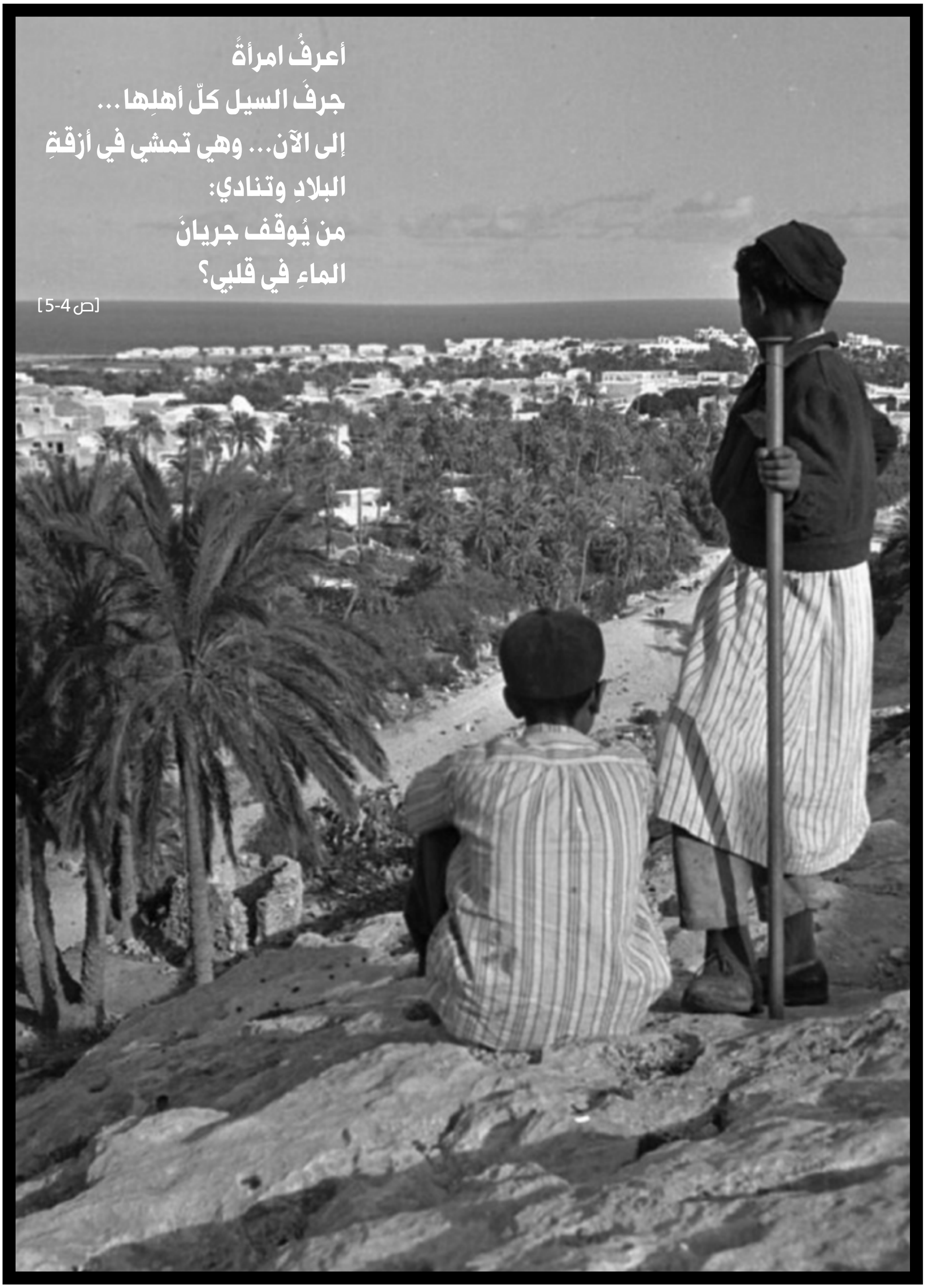

[ص 4-5]

مدينة درنة في اوائل الاربعينيات (1941-1945) من ارشيف «المكتبة الوطنية الاسترالية» (نقلًا عن صفحة «تاريخ ليبيا» على فايسبوك)

ملف

«البدوي» حمدي أبو جليل... عاش ضيفاً في القاهرة حتى النهاية

بعد أشهر على غيابه، صدرت درّة رواياته الخمس. «ديك أمي» (دار الشروق ـ 2023) تشكّل عصارة تجربة حمدي أبو جليل (1967- 2023)، من دون أن تجد نفسك حاضراً بين شخوصه، بل ستجده شخصياً حاضراً بقوة إلى جانبك. هو لم يكن ينفي ذلك، بل يراه ضرورةً أدبيةً في الوقت الحاضر، منظراً بأنّه يجب على الروائي أن يكون حاضراً بتجربته ولغته في ما يكتبه. وفي ذلك، نجح أبو جليل بشكل مبهر في ربط الذاتي بالموضوعي بشجاعة وقوة كبيرتين. لدى تتبع مسيرته الأدبية والشخصية، تجدها معجونة بالتمرد والاختلاف، مع صراحة ووضوح لا يجعلانه أبداً فظاً غليظاً، بل بشوشاً محبوباً في الوسط الأدبي والصحافي، وهو ما جعل خبر وفاته، قبل شهرين تقريباً، أمراً صادماً للجميع حتى للمختلفين معه.

الأكيد أنّ تطبيق نظرية أبو جليل في أن يكون الكاتب بطلاً للرواية التي يكتبها، وحاضراً فيها بتجربته الخاصة ومعبّراً عن مجتمعه، أمر صعب على أي كاتب، يزداد صعوبةً عندما يكون الكاتب شخصاً مثل أبو جليل... بدوي نشأ في بيئة شديدة المحافظة؛ ينتمي إلى قبيلة بدوية استوطنت صحراء الفيوم؛ تعتبر أن تقاليدها وأعرافها سرّ قوتها فتحافظ عليها وتحميها، تتمسك بها مثلما تتمسك بلهجتها وعالمها الخاص.

مع ذلك، نجح أبو جليل ــ عبر ما نشره في مجال الرواية والقصة ــ في أن يكون مثالاً واضحاً لنجاح فكرته، وإمكانية تطبيقها. حضر في أعماله الأدبية بسيرته الذاتية، وسيرة شخوص عايشهم وتمكّن من التعبير عن المهمشين، هو الذي كان واحداً منهم، جاء إلى القاهرة في نهاية ثمانينيات القرن الماضي، شاباً اكتفى بالحصول على تعليم متوسط (دبلوم فني)، عمل في مهن يدوية كعامل بناء (قواعلي). وكأغلب أبناء المهمّشين، هاجر إلى ليبيا للعمل. كان يقول عن قرار السفر إلى هناك: «هناك أنواع للمصريين الذين كانوا يقررون السفر؛ الأشخاص النبهاء يسعون دائماً للسفر إلى أوروبا، والأشخاص النصّ نص يسافرون إلى الخليج، والمليح (عديم الإمكانات) يسافرون إلى ليبيا كونها الخيار الأمثل للفقراء. وأنا كنت ميح فاخترت ليبيا». لم تطل فترة سفره إلى ليبيا. عاد إلى قريته في الفيوم، حاملاً فشلاً كبيراً كما قال أكثر من مرة، ثم يقرر النزول إلى القاهرة، محاولاً إيجاد فرصة فيها، سكن مع أبناء طبقته من المهمشين على أطراف المدينة، وعمل في مهن شاقة، قبل أن يكتشف قدرته على الكتابة والتوجه إلى الصحافة.

في مقدمة كتابه الشهير «القاهرة... شوارع وحكايات» (الهيئة المصرية العامة للكتاب- 2008)، كتب موزّطاً القارئ في تفاصيل إقدامه على هذا الكتاب، متحدثاً عن الملابسات التي دفعته إلى إنجازه، لكنه في الحقيقة كتب ملخصاً لشخصيته. وبدلاً من الكتابة برصانة وجدية، شارك القارئ في البوح بسرّ من أسرار شخصيته البدوية: «كنت كأي صحراوي خائفاً ومكروباً، لا يشغلني في القاهرة سوى مكانين: المكان الذي أقيم فيه، والمكان الذي أضطر للرحيل إليه». هكذا كان حمدي يرى دوماً أنه ليس ابن هذه المدينة، رغم أنه كان أحد حراسها، وكتب مؤرّخاً لشوارعها وجوامعها. في آخر أيامه، كان يسعى لإنشاء قصر ثقافة في قريته «دانيال» على حدود صحراء الفيوم الجنوبية، وسط الكثير من معارفه وأصدقائه، ليؤكد للمرة المليون على ارتباطه بأرضه وأهله ومجتمعه.

في عام 1997، نشر مجموعته القصصية الأولى «أسراب النمل»، التي نبّهت الوسط الثقافي إلى ولادة كاتب سيكون له شأن، ثم جاء عام 2000 فنشر مجموعته الثانية «أشياء مطوية بعناية فائقة». مجموعة حصلت على «جائزة الإبداع العربي» في العام نفسه. إلا أن روايته الأولى «لصوص متقاعدون» (2002)، كانت حدثاً ثقافياً مهماً نالت حفاوةً نقديةً كبيرة. ورغم أنها لم تصبح رواية جماهيرية بالتعريف التجاري للناشرين، إلا أنها كانت مهمة تدور أحداثها في بيت بسيط في حيّ منشية ناصر (منطقة حلوان- جنوب القاهرة)، جسّدت واقع سكانه وطبيعتهم البائسة كنتيجة مباشرة للفقر والعشوائية. في هذه الرواية التي تحتوي على سخرية فلسفية عميقة، نجح حمدي في ما أسماه النقاد «إعادة تعريف الهامش الاجتماعي»، ففيها نرى حياة المهمّشين العادية، من دون أن يدفعنا إلى محاكمتهم ولا التعاطف معهم. أدخلنا أبو جليل بيت «أبو جمال»، حيث عشنا مشكلاتهم وشجارهم اليومي، وتناقضاتهم، ورأينا بأعيننا كيف ينظرون إلى الحياة، أعينهم هم، وليس عيناً غريبة. الأمر نفسه نراه في روايته الثانية «الفاعل» (دار ميريت - 2008)، التي رصدت مجتمع عمّال التراحيل، وطبيعة حياتهم تحت الشمس الحارقة يحملون مواد البناء على ظهورهم ويبنون بيوتاً لن يسكنوها أبداً. في هذه الرواية تجد أبو جليل حاضراً كـ «أجير»، لكنه الأجير المثقف الذي يكتب القصص ويسعى لكتابة رواية ترصد تلك المعاناة من واقع خبرة ومعايشة، بل إنّ القارئ يدرك مع سطور الرواية أنه كان واحداً من أولئك «الفواعلية»، لكنّه كان نموذجهم المثقف الذي يكتب القصص ويحلم بكتابة رواية. نجح حمدي في عدم تكرار نفسه، خلال رصد معاناة هذه الفئة من المصريين وبؤسهم وعالمهم. لم يخلُ العمل من السخرية التي يعتبرها أداةً لتجريد العالم، وليس مجرّد صوت للمهمشين. يقول في أحد لقاءاته إنه «لا يتعمّد السخرية في أعماله وإنما يستخدمها لفهم المتناقضات».

على أي حال، فازت «الفاعل» بـ «جائزة نجيب محفوظ»، التي تقدّمها الجامعة الأميركية في القاهرة، وقالت إدارة الجائزة في حيثيات فوزها إنّها «تبني قاهرة مغايرة... قاهرة الفواعلية الذين شيّدوها وبدلوا وجه الأطلس الأدبي المتعارف عليه إلى الأبد» وترجمها روبن موجر إلى الإنكليزية بعنوان «كلب بلا ذيل».

ورغم البساطة التي كان يتحدث بها حمدي أبو جليل دائماً عن نفسه ومنتجه، إلا أن كلمته في احتفال فوزه بـ «جائزة نجيب محفوظ» تكشف عن مثقف يقدّر نفسه جيداً ويعرف قيمته الأدبية والفنية. قال في كلمته: «شكراً للجائزة واللجنة والجامعة، يا لها من مفاجأة! ويا له من فرح! شكراً لتفهّم الانحراف عن الأستاذ في جائزة الأستاذ، لا، ليس الانحراف وإنما العجز... شكراً لتشجيع العجز، نعم العجز وليس التجاوز، التجاوز يعني القوة، يعني القدرة الجبّارة على استيعاب قيمة جمالية وفكرية، ثم تجاوزها ببساطة، وتطوّر الكتابة. كما أفهمه . يعود، في جانب منه، إلى الضعف، العجز عن الوفاء لشروط النماذج السابقة، أقصد طبعاً النماذج العظيمة السابقة. دائماً أتخيل مسار الكتابة على هيئة مجرى مائي به ربوات عالية، راسخة، وعجز الماء عن المرور فوقها، أو تجاوزها، يدفعه إلى مسارات جديدة تماماً، بل أحياناً مناقضة لمجراه القديم. العجز دافع لتطوّر الكتابة، لاندفاعها في مسارات جديدة، هناك دوافع أخرى بالطبع كاختلاف ظروف الحياة والوعي بها، لكن العجز، ربما لقسوته، يحتلّ مكانة الدفاع الأوجه، العجز عن الوفاء لنموذج سابق يدفع لإنجاز خطوة ما، ترتاد منطقة جديدة وتؤكد العجز في الوقت نفسه، خطوة تجمع بين الفرح بجدتها ومغايرتها، والحسرة من وضوح عجزها». ما يميّز أبو جليل في كتاباته عن المهمشين أنه كتب عنهم بصدق وانحياز ومن دون نفاق في الوقت ذاته، فكان ناقداً لأفكارهم وتقاليدهم. يظهر هذا في كل أعماله تقريباً، ومن بينها روايـة «يدي الحجرية» (الهيئة المصرية العامة للكتاب- 2021). يقول على لسان البطل/ الراوي الذي هو حمدي في الواقع: «زرنا خرابة أم البريقات وهي قرية كاملة من العصر البيزنطي.. كان جدي عولة يكمن فيها البهايم المسروقة.. لكن إذا كانت حمير جدي بعرت فوق الكنوز البيزنطية، فهناك من أكرمها ونعمها في أوروبا». بشكل واضح، يسخر أبو جليل من ثقافة وتقاليد مجتمعه البدوي الذي يعامل كنوز البيزنطيين بإهمال وعدم اكتراث، فيخبئ فيها البهائم والحمير، بينما تعامل في أوروبا، وقتها، معاملة مختلفة.

في «يدي الحجرية» (2021) آخر روايـة نشرها في حياته، واصل التاريخ للبدو وهجراتهم، وتعامل السلطة معهم من أيام الدولة الفاطمية وحتى عصر محمد علي، ودورهم في الأحداث التاريخية الكبرى، من بينها ثورة 1919. فعل ذلك من دون أن تتحول روايته إلى كتاب تاريخ، بل كان هناك مساران واضحان: الأول تاريخي والثاني ذاتي، بالجمع بين الشخصي والعام، مستعملاً سيرته الذاتية كإحدى شخصيات الرواية، راصداً أثناء ذلك التحولات التي مرّت على البدو من تركهم الحياة البدوية إلى الاستقرار في البيوت. في هذا الطريق، استخدم لغة تشبه الكلام، كما كان يحبّ أن يقول. وفي روايته «قيام وانهيار الصاد شين» (دار ميريت- 2018)، التي ترجمها هنري ديفيز إلى الإنكليزية بعنوان «الرجال الذين ابتلعوا الشمس»، خاض مغامرة كبيرة، في استخدامه لهجات عربية متعددة: البدوية والفيومية والصعيدية والقاهرية والليبية والمغربية. فالرواية تتناول مجتمع البدو المصريين الذين انتقلوا في سبعينيات القرن الماضي إلى ليبيا، راصداً بشكل تاريخي تلك القبائل ومعاركها. وبالتوازي مع هذا الخط التاريخي، كانت هجرة البطل غير النظامية من ليبيا إلى إيطاليا، ومن خلال هاتين الهجرتين، نجح أبو جليل في نقل قسوة حياة المهاجرين والظلم الواقع عليهم ومشكلاتهم وصراعاتهم. ظلّ يكتب تلك الرواية ويُنقّح فيها نحو عشر سنوات، يقول: «ماذا أعمل في السنوات العشر؟ أبحث عن النبرة، عن اللغة الأشبه بلغة الكلام. ليست العامية وإن كنت أحب الكتابة بالعامية، لكن أقصد سهولة الكلام وخفته ودقته وقدرته على الإقناع. وربما يرجع ذلك إلى أنني ابن الثقافة البدوية وهي ثقافة الشفاهة، ثقافة الكلام».

هذه البيئة والثقافة والخلفية التي جاء منها أبو جليل، اعتبرها الروائي الراحل الكبير خيري شلبي (1938– 2011)، في الكلمة التي تصدّرت رواية «يدي الحجرية»، أحد أوجه تميزه وتفرده بل نجاحه. أورد شلبي في المقدّمة: «بحكم علاقتي الإنسانية والعملية بحمدي أبو جليل، كنت أستشف من حديثه عن ذكرياته، من نوادره عن أهله ومن حكاياته الكثيرة عن أعمالهم، تفاصيل شديدة الثراء، فإن تصادف وكان من بين أبناء هذا العالم شاب موهوب في فن الرواية، فإنه حريّ بأن يكون بتفاصيل هذا العالم وحده- روائياً كبيراً ينأطح قامات كثيرة كانت تتمنى لو أنها

> سعى إلى نقد التاريخ الإسلامي ومساءلته من خلال إعادة قراءته، وعدم الاستسلام للأفكار الراسخة

رُزِقت ولو بشطر ضئيل من هذا العالم الثري الذي خرج منه كاتبنا الشاب حمدي أبو جليل».

خيري شلبي هو أحد الآباء الثلاثة الذين احتضنوا حمدي وساعدوه في بداية مشواره الأدبي، إلى جانب الروائي والقاص الراحل الكبير محمد مستجاب (1938 . 2005)، والروائي والقاص الراحل إبراهيم أصلان (1935 - 2012) والثلاثة من جيل الستينيات الذي لعب دوراً كبيراً في تطوّر فن الرواية المصرية والعربية. وعلى رغم أنّ لكلّ منهم عالمه الخاص، وأسلوبه الفريد، إلا أن ما يجمعهم الثلاثة مع أبو جليل أنهم لم يكملوا مشوارهم التعليمي، ولم يحصلوا على شهادات. دخلوا الوسط الثقافي بإبداعهم وانحيازهم إلى عوالم خاصة نجحوا في التعبير عنها بإتقان. وبالتالي لم يجد حمدي أبو جليل وسطهم حرجاً في أن يتحدث كما يريد وبحرية تامة، وهو متأكد بأنّ أساتذته شيوخ وآباء يعاملونه كابن مدلل. يقول حمدي في حوار صحافي عن علاقته بالأساتذة الثلاثة: «أعتقد أنني تأثرت بهم جميعاً، تأثرت بمستجاب في الولع بالسخرية، وبإبراهيم أصلان في تدقيق الوعي باللغة والسخرية، وبخيري شلبي في اتساع العالم وتنوعه والتعمق في الإنسان وواقعه. وأعتقد أنني استوعبتهم جميعاً.. وأتوقع أنهم لو كانوا أحياء لفرحوا باستيعاب تلميذهم».

علاقة حمدي بإبراهيم أصلان تحديداً كانت خاصة جداً. يكفي أنه قبل أيام على وفاة حمدي أبو جليل، نشر على صفحته على فايسبوك صورة تجمعه به معلّقاً عليها: «واحشني يا عم إبراهيم والله» فأبو جليل عمل مع أصلان مديراً لتحرير سلسلة «آفاق عربية»، وعاش معه أزمة رواية حمدي حمير «وليمة لأعشاب البحر»، وكان المتهم الثاني بعد أصلان، وخضع للتحقيق في القضية. هذه الجرأة في المواجهة ظهرت أيضاً في نقده للأفكار الدينية المحافظة التي كان يراها خطراً حقيقياً على الحياة. ورغم معرفته بأنّه يعيش في مجتمع محافظ، يعتبر أنّ أي حديث عن الدين بشكل مخالف هو «كفر بيّن»، إلا أنه كان قادراً على المواجهة، وسعى إلى نقد التاريخ الإسلامي ومساءلته من خلال إعادة قراءته، وعدم الاستسلام للأفكار الراسخة عن ثوابت الدين. وفي كتابه «نحن ضحايا عك» (2017)، اختار هدم الثوابت بالفعل بإعادة النظر إليها، بدايةً من اختيار الفترة الزمنية التي تلت وفاة رسول الإسلام وما حدث من اجتماع السقيفة، الذي اعتبره أبو جليل أنه الاجتماع الذي أسس نظام الحكم في الإسلام.

تناول بجرأة وشجاعة قضايا شائكة بالنسبة إلى الغالبية من المسلمين، من بينها زوجات الرسول، وعلاقته بمسألة تعدد الزوجات. وانتقل إلى القضايا الشائكة التي حدثت في عهد الخلفاء الراشدين من أهمها حروب المرتدّين. من خلال كتابه، حرّض قارئه على إعمال عقله النقدي والتفكير في ما يقال له من مشايخ وما يقرأه في كتبهم، وألا يستسلموا لما يصلهم، وهذه الجرأة نفسها ظهرت في جريدة «المقال»، آخر صحيفة عمل فيها، وكان مسؤولاً عن صفحاتها الأولى. وأيضاً في موقع «مدى مصر» الذي كان يكتب فيه مقالاً أسبوعياً، وكان من بين آخر ما كتبه فيه مقال عن «الأزهر والسلطة»، وآخر ما نشره على صفحته على فايسبوك كان مقالاً عن «الأزهر والسياسة».

أما في «ديك أمي»، فكانت شخصية البدوي مركزةً جداً وهي الأساس في الأحداث».

ويرى يوسف أن أبو جليل كان متحرراً جداً في هذه الرواية بداية من عنوانها «ديك أمي» الذي قد يثير الجدل وأشكال وتقنيات السرد، والإفراط في الاستخدام المتنوع للهجات، وأن فعله بشكل قليل في روايتيه «لصوص متقاعدون» و«الفاعل».

يعود أبو جليل في روايته مرة أخرى إلى كيفية قيام محمد علي والي مصر بين عامي 1805-1848 بالتخلص من المماليك بالذبح، واليد بالتوطين عن طريق إعطائهم الأراضي الزراعية، وهنا يذكر شعبان يوسف أن أبو جليل كلما عاد إلى هذه القصة، أضاف إليها تفاصيل جديدة، وأرّخ لها. ويتابع «قدّم أبو جليل تأريخاً روائياً للبدو الغربيين منذ أيام محمد علي حاكياً عن كيفية تخلص الوالي منهم بتوزيع الأراضي الزراعية عليهم، لتبدأ معركتهم الجديدة في أنهم لا يحبون الزراعة ويستجلبون الفلاحين لزراعتها». ويعتبر يوسف أن مسألة الزراعة والفلاحة التي لا يحبها رجال البدو ـ كما كان أبوه في الرواية يبيع الأرض ليعيش من مالها بدلاً من زراعتها ـ «كانت مدخلاً لأسطرة أمر الراوي التي تمسّكت بالأرض في أهم مشهد في حياتها حين رفضت البيع ومزّقت العقد. ورغم أنّ لهجتها بدوية، إلا أنها فلاحة تقليدية وليست كالبدو الذين لا يحبون الأرض والفلاحة ويبيعون الأرض وينفقون منها على الأكل والعلاج».

يرى الناقد المصري أن بدء الرواية بحكي الراوي عن قفزه

«ديك أمي»: سيرة في رواية

أحمد فوزي

جاءت رواية «ديك أمي» (دار الشروق ـ 2023) التي صدرت بعد رحيل مؤلفها حمدي أبو جليل، متحرّرة بشكل كبير من القيود كافةً سواء على مستوى الكتابة أو الأفكار، كما أنها يمكن أن تعتبر درة رواياته الخمس، ليس لأنها الأخيرة، لكن لأنها عبرت بالفعل عن طريقته وحبه في أن يكتب الكتّاب عن أنفسهم متحررين من قيود ومخاوف أنهم لا يكتبون الرواية كما يجب!

الناقد والشاعر المصري شعبان يوسف، يقول لنا إنّ أبو جليل صبّ تركيزه في رواية «ديك أمي» على الشخصية البدوية، وإن «ظهرت بالفعل من قبل في مجموعاته القصصية، لكنها كانت تطلّ من بعيد بين الحين والآخر.

على سور المنزل في الفيوم عند الدخول إليه بدلاً من الدخول عبر الطريق العادي المؤدي إليه هو «بداية لما سيأتي بعد ذلك من تقليده لوالدته في كثير من الأمور». وعن إمكانية الخلط هنا بين شخصية الراوي والكاتب حمدي أبو جليل نفسه يقول شعبان يوسف: «حمدي لا يعطي فرصة لخيال القارئ؛ هو يقول ابنتي هالة وهي ابنته في الحقيقة، ويتحدث عن ابنه هشام وهو كذلك في الحقيقة» ويضيف أنه يعتبر أن «ديك أمي» سيرة ذاتية لحمدي أبو جليل بلا جدال «سيرة روائية، ليست كالسير المعروفة لكنها بهناء روائي، وتواريخ ومشاهد تكاد تشبه ما فعله طه حسين في الأيام».

ويتوقف يوسف عند لغة «ديك أمي»، مشيراً إلى أنّ أبو جليل استخدم ثلاثة مستويات من اللهجة في الرواية: البدوية، والعامية والفصيحة عندما يتحدث الراوي «من دون تسلسل روائي، لكن عن طريق تواريخ ومشاهد». إضافة إلى قيامه بتكرار بعض الأجزاء، في أكثر من حكاية للتأكيد على ما يريد قوله وأهميته.

ويفصل يوسف مسألة المرأة في «ديك أمي» أنها كانت دائماً أسطورة، شجاعة ومضيافة مثل أمه، وإن كانت فيها صفات طريفة كالنميمة، كما يتحدث عن شخصية «خود» التي فاجأت القبيلة ورجالها جميعاً حين خطبت فيهم وقالت إنّ زوجها لا يستطيع القيام بواجباته الزوجية! ويشير الناقد شعبان يوسف إلى أن شخصية «أم حليجة» التي جاءت في الرواية بأنها عاشت وسط الفيوم ولقبت بـ «قاطعة العرب» أي قاتلتهم يبدو أنها كانت «أسطورية» لإظهار مكانة المرأة وكيف أنها توسطت بين حاكم مصر سعيد باشا ابن محمد علي والبدو حين أرادوا المغادرة إلى ليبيا. ويعتبر يوسف أن وصف أبو جليل لها أسطوري تماماً: «كانت تعيش في سرايا مبلطة بريالات الفضة والذهب وبها شخشيخة عجيبة تمتص أشعة الشمس طوال النهار وتبثها طوال الليل». ويضع شعبان يوسف قيام أبو جليل بالربط بين أمه والكاتب سلمان رشدي في صفحة الرواية الأخيرة. فسلمان رشدي ولد يوم تحرر الهند بلده الأصلي، أما أم أبو جليل وإن لم يَعرف تاريخ ولادتها، فقد تزوجت عام 1948 «عام نكستنا الأولى» كما يقول الروائي الراحل وينهي حكايته/ أسطوره عن أمه بقوله: «أمي بعيدة جداً في قلب الصحراء، حيث يمكن زفاف عروستين من عزبة الحوش إلى عزبة أبو طاحون في عربية واحدة، بينما الأمة تنكب نكبتها الأكبر في العصر الحديث».

إبداعات

تشكّلت الهوية الثقافية لليبيا عبر تراكمات وروافد تاريخية جعلتها خلطة متناغمة من الثقافات الامازيغية، الافريقية، العربية والإسلامية. وفي العصر الحديث، كان ظهور الإعلام فيها اول نواة للحركة الثقافية إبّان الحكم العثماني (1865-1911). إذ انتشرت الصحافة المحلية، ولعبت دوراً رئيساً في نشر الوعي السياسي وبلورة هوية ثقافية متنوعة وجامعة في الآن نفسه. اما فترة الاحتلال الإيطالي (1911-1943)، الذي كان من اكثر الاحتلالات توحّشاً، بلغ حدّ الإبادة في مناطق نفوذ حركة عمر المختار، فقد عرفت ركوداً ثقافياً وفكرياً، إذ اجمع الدارسون على انّ إيطاليا لم تكن مهتمة بنشر الثقافة العربية الاصلية في ليبيا ولا بتثقيف الليبيين. وبجعل ليبيا تحت حكم الإدارة العسكرية البريطانية والفرنسية عام 1943، سمحت سلطات الإدارة بحرية الراي والتعبير بجرعات قليلة جداً فانتشرت النوادي الثقافية والاتحادات المهنية والنوادي الرياضية. ومع انتقال الحكم إلى نظام الملكي السنوسي (1951-1969)، وقع انفراج نسبي في الحريات العامة، ما سمح بانتشار جمعيات فكرية وأدبية، ومراكز ونواد ثقافية، بعضها بدعم حكومي. لكن معمر القذافي، الذي حكم البلاد لاثنين واربعين عاماً (1969-2011)، اعاد تشكيل الثقافة الليبية، من منظوره الخاص المستحوذ على كل مفاصل الدولة، مستأثراً بكامل المشهد الثقافي الليبي، عبر مزيج تلفيقي وزائف من الإسلام (والإسلاموية، احياناً) والاشتراكية والنظريات العالمثالثيّة وافكار حركات التحرر الزنجية، وبإغداق الاموال على مجلات وملتقيات افرواسيوية. كرّس بعضها لتلميع صورته قائداً وروائياً ومُنَظّراً سياسياً من طرف جوقة لم تتغير فيها الاسماء كثيراً! ريما كان الفضل الوحيد لحقبة القذافي، ثقافياً، متمثلاً في تمويل فيلم «عمر المختار: اسد الصحراء» (1981)، بطولة انطوني كوين واوليفر ريد. واخراج مصطفى العقاد، بعد تخلّص الغرب بحلفه الاطلسي من القذافي، دخلت ليبيا في جو من التشرذم والاقتتال الداخلي وعدم الاستقرار السياسي حتى اللحظة، مالم يساعد ابداً لا في إحياء الحركة الثقافية الليبية ولا في إعادة بناء اسس هوية ثقافية متجدّدة متنوّعة وجامعة لكل الليبيين. ملفنا اليوم تحيّة شعرية وجدانية إلى ليبيا، وخصوصاً مدن بنغازي والبيضاء والمرج وسوسة، ودرنة التي كانت المتضرر الاكبر من إعصار «دانيال» المتوسطي الذي ضرب ليبيا في 10 أيلول (سبتمبر) الحالي، مخلّفاً الاف القتلى والمفقودين

تقديم واختيار **رشيد وحتي**

درنة... جرح ليبيا الغريق **طوفان تسلّل خفية عن سفينة نوح**

مدينة درنة في اوائل الاربعينيات (1941-1945) من ارشيف «المكتبة الوطنية الاسترالية» (نقلاً عن صفحة «تاريخ ليبيا» على فايسبوك)

1. محيي الدين محجوب: ساغمرك بالحب، أيها الإعصار، لعلّك تهذب سلوكك

ما لا يعرفه السيل
أني سأولد
من رماد.
■■■
يجب أن تشعر بالخجل
أيها الماء
نحن أبناؤك.
■■■
إلى رجال الإنقاذ
في درنة
نفسيتي تحت الأنقاض.
■■■
بعثرتنا العاصفة
لنعرف أن حياتي
هي حياتك.
■■■
إلى روح الشاعر مصطفى الطرابلسي
نحن لم نلتقِ
لكني أعرف
كيف كنت تستعد للشعر
كي ينزف قلبك
في القصيدة.
■■■
مهلاً أيها الطوفان
أمهلني أواسي أمي
في موتي.
■■■
كل قصائدي حزينة
ما دام لا معنى
للنشيد الوطني.
■■■
لهذه الكارثة
كان يخطط الوادي
منذ أن سرقت الأفعى
عشبة الحياة من جلجامش.
■■■
من المرجح
بعد الإعصار
خرجت روحي.
■■■
ما زلت المتّهم الأول
أيها الإعصار
حياتي كلها أعاصير.

سأثأر منك
بقلم الرصاص
ولكل دمعة
أفضح فعلتك المشينة.

أيها الإعصار
ساغمرك بالحب
لعلك تهذب سلوكك.
■■■
ذكريات طافية
الموت بصلابة قلب
وكطفل أبكي أثناء الولادة.
■■■
لماذا انشغل عني جلجامش
بعطشه الشخصي.
■■■
أوجعني كثيراً هذا الوادي
لا أريد أن أسلم على
المطر.
■■■
يا أمي
المطر الذي يبلّلنا الآن
يحاول إقناعي
لا علاقة له بإعصار دانيال.
■■■
هذا طوفان
تسلّل خفية
عن سفينة نوح.
■■■
رأيت في العاصفة
ريحاً عمياء تدحرج الغياب
وأشجاراً تستغيث.
■■■
بعد العاصفة
لم نجد عيوننا لترى
كانت مشغولة بالبكاء.
■■■
أيتها الرياح
كيف يمكن أن أصف
شمعة انطفأت
وأحنّ عود الثقاب
على الكلام.

2. جمعة عبد العليم: مدينة غافية في حنية وادٍ

في ليلة الكارثة
وفي الليالي التي تلت
لم تتركني الكوابيس..
جثث طافية
على هيئة فراشات..
تمتمة قراء
تأتي من مساجد
محمولة على عرش الماء...
هدير قادم
من أقصى الغفلة
ونداءات مفزوعة
تراوح بين الخوف والرجاء...
أسراب حمام
ترميني
بأغصان من وجل...
أطفال يتكلمون
تحت الماء
لم أفرز من كلماتهم
سوى كلمة أمي...
في ليلة الكارثة
وفي الليالي التي تلت
كلما نمت
تدفق الطمي
إلى جوفي..
أيقظني صراخ
متداخل ومبحوح
وأفلتت يدي
من جذع النخلة
الذي كان يحملني...
الليلة فقط
طبطب ولد وسيم،
بعينين خضراوين،
على قلبي
وقرأ لي كلاماً
مطرزاً بالصور والمجازات ..
ولد يحسن
التهدج بالقصائد
ويرسم الحركات
في المكان المناسب
من أواخر اللهفة..
ولد وسيم
بعينين خضراوين
وابتسامة مطمئنة
كان يسألني
عن مدينة أضاعها
وهو يعبر الجسر الأخير...
مدينة غافية
في حنية وَادٍ
عن مواسم
الرمان والعنب
وأطواق الياسمين
المعلقة في رقاب
أطفال المفارق..
عن سرّ الكلمة
حين تُقال
في وجه الليل
وصاحبها سارب
في فلق الفجر..
عن سر النجمة
وهي تكسر وحشة الليل..
وتسامر الغرباء
على تخوم وحدتهم..
ولد وسيم
بعينين خضراوين
دسّ منجلاً في يدي
وأشار إلى الحقول البعيدة..
■■■
تبارك الماء
الذي يزف
الأنفس البريئة..
ينقلها من ثقل الطين
إلى خفة الروح..
تباركت قلوب
الأمهات الثكالى
وهي تدوس
على الجراح الغائرة
وترش عطر الصبر
على المهج المسافرة..
تبارك الظلام
والمطر الذي ساق
طمي السنين
صوب زرقة الموج ..
تبارك السيل
الذي غافل
المدينة النائمة
وسرق قبور الأولياء..
غنى على
رجع مزمارها
تعطر بأرواح الشعراء
ونهب الحكمة
من فيض أشعارهم ..
تبارك هذا الأسى العظيم
الذي شقّ قلوبنا
وأسكن في مطارح الشك
منارة من يقين..
تبارك الحزن
الذي لفنا جميعاً
بردائه الدافئ..
تبارك الموت
الذي أيقظنا
تبارك الألم الذي
الذي ألف بيننا..
تباركت درنة
وهي تطفئ
نار الفتنة
في ظلمة ليلها..

3. سميرة البوزيدي: نجونا على الطرف الآخر من البلاد، لكننا غرقنا في الحزن الجاف

صباح الخير
نظن أننا نجونا نحن الذين على
الطرف الآخر من البلاد
لكننا غرقنا في الحزن الجاف
جُرفنا طوال الليل إلى البحر ولم
نصل
تقلّبنا في الوحل ولم نمت
من يقول إنّنا نجونا
العواصف ما زالت تزار في
أرواحنا
والسدود تتحطم وتعود
والأطفال يعودون إلى الحياة
ويغرقون كل ليلة في خوفنا
لا أحد سينجو
ومن ماتوا تركونا خلفهم نبحث
في الركام
عن خلاص ما.
■■■
كلنا ننتظر
خلف الباب
وفوق الجبل،
وتحت الماء الجثة تنتظر من
يمسك بيدها!
التراب ينزلق إلى البحر
والماء يحمل الحياة إلى الموت
الماء وقد أصبح فجاة قاتلاً
من يقنع الطفل أن يلمس الماء
مرة أخرى!
تركنا بيتنا في المهب
تركنا أحلاماً وقصائد لم يقرأها
أحد
أنا وأخوتي وأبي وأمي
أسرة كاملة أضافها الماء إلى
تاريخه القاسي!
كلّنا شربنا التراب والملح معكم
كلنا جزعنا
كلنا نختنق كل ليلة قبل أن
يأخذنا سيل النوم!

4. سراج الدين الورفلي: بدون عنوان

الذين ماتوا
عادوا للتو
إلى مخيمات الشمس
يرشقون نوافذ اليقظة

بالنعاس الأبدي
من بعيد كخلخال.. دخلتُها
وأنا أحاولُ خلقَ اسمٍ لها من
بعيد لكنّني فشلت.. بينما كان
صديقي بنصف عينٍ يحاول أن
يتبيّنَ ملامح وجهي الممهور
بوجهِ درنة الغانية.. سألني وأنا
أخرجُ رأسي من نافذة السيارة:
هل تحاولُ شم شيء؟ قلتُ: نعم
إنها رائحة تشبه رائحة الذاكرة
النقية!! هل شممتها من قبل؟ لم
يُجب لكنّه بدا كأنّه يشتمّ ذاكرتهُ
أيضاً.
— صباح الخير والجو المطير..
هكذا قال لنا أحد كبار السن
داخل المقهى وهو يمد يدهُ
لتتلمّس قطراتِ مطر خجولة
تبلّل بها السماء وجه المدينة..
ثم جلس قبالتي.. قال: —
لستَ من درنة؟ قلتُ: — نعم..
قال: — على وجهك مسحةٌ من
بلاد رويفع الأنصاري.. تبسّم
صديقي مستغرباً.. لكنّني عرفتُ
أن الرجل يحاولُ خلقَ شجنٍ ما..
أخبرتُه أنني مرسولٌ من رويفع
لصاحبتِه هنا.. تبادلنا الحديثَ
بطول فنجان قهوتنا ثم ودعناه
فودعنا بغمزةٍ شبابية لطيفة.
لم يكن لنا مكان محدّد لوجهتنا
داخل المدينة.. هذه المدينة
الشامية التي سقطت عند حافة
البحر.. لا تدري وأنت تسبُر
أغوارها ما الذي قد يدفعك
لفرد ذراعيك واحتضان كل
ما يصادفك.. الناس.. الطرق..
الأرصفة.. الهواء.. أي شيء..
ثم وأنت تظن نفسك تنفست
الصعداء فيحضنك العتيق
بكامل أبّهته.. لعمري أن هذه
البلاد تكاد يقتطفُ من وجنتيها
الرمان.. حصينةٌ بجبالها المنيفة
وبحرها الذي لطالما تسلّق
الكورنيش محاولاً لمس جبينها
الشاهق.
ما يفعل الماء على وجهك يا درنة
سوى أنه يحاول أن يكون شفافاً
مثلك.. وما يفعلُ الأوغاد الجبناء
سوى أن يتركوا عليه ندبةً..
يريدون مخاطك وسعالك.. لكنك
في كل مرة تركلينهم بالشعر..
بالموسيقى.. بالموشحات..
بعجائزك الموشومات بلون
الحياة.. تقذفينهم ليسحلهُم
الزمن كما أنهم لم يكونوا.
درنة.. هل تُطارد إلا الجميلات؟
عقب كل خناق تسكبين عصارةً
من الورد.. فيفتح دهماء الناس
أفواههم في كل مرة: ما بال هذه
الأرض لا تموت؟! لكن شلالاً
يقبع فوق سرّتك يأبى إلا أن
يروي ظمأك.. فلا نرى من أهل
دارك إلا من يلوّح بإكليل السلام..
عليك السلام يا قرينة الحب..
عليك السلام والشوق الذي لا
ينصرم ما دمنا ودمتِ يا سبيل
الصحابة.
■■■
وحدهم الذين ماتوا على
تخومك وفوق صدرك..
ينظرون إليك من الأعلى
ويلوّحون
لك بالقبل..
بينما يصرخُ الذين أخلفوا
مواعيدك الآن بملء
حناجرهم:
— مرحباً يا غالية
كطلبٍ للعفو..
وشلالك يعفو منذ زمن
ويغسلهم في كل
مرة.
■■■
أعرفُ امرأةً
جرفَ السيل كل أهلها..
إلى الآن.. وهي تمشي في أزقةِ
البلاد وتنادي:
— من يُوقف جريانَ
الماءِ في قلبي؟
■■■
كلما أغمضت عيني
فاض الماء في
ذاكرتي..
من يجفف كل هذا
الصراخ؟

7. عبد الوهاب قرينقو: نالت من روح عصفك الدوامة

الوادي لم يكُ غاضباً
فقط اقترح عليه دانيال
أن يأخذَ المدينة
في نُزهةِ خريفٍ ليلية
نحو البحرِ فاستجاب..
هو فقط
كان غبياً في بلادٍ فاشلة.
■■■
أيُّها العصفورُ
يا ذاكَ العفويُّ المُغرد،
غِب دهراً ثم غَد
وسترى كيف
سرق الأشباهُ أغنياتكَ وكيفَ
سرقتْكَ غوايات العابرينَ
ونالت من روح عصفكَ الدوامة.
■■■
— بضاعتنا ردت إلينا،
قالت العرب.
لا أريدُها، قلتُ.

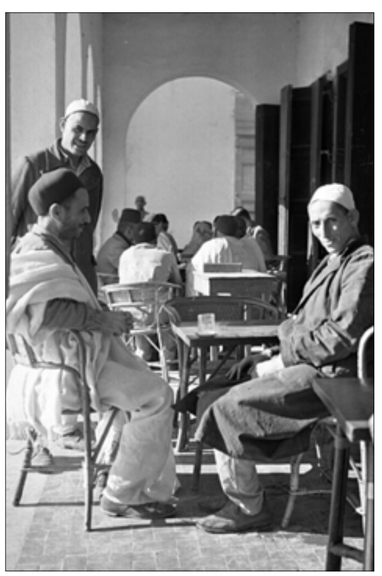

بالليبي:
— خذوا أم كل البضاعة،
انقعوا ماءها واشربوه،
علكم تفلحون.
■■■
سأطرد كل التصاوير
كي لا تُميت الكلماتُ جوعاً
ويجف النهرُ الحميم.

8. محمد المزوغي: يا جرح درنة..

أطلقُ دموعكَ حقاً إنهم رحلوا ■
وخلّفوا حسرةً في القلبِ تشتعلُ
أطلق دموعكَ إنّ الحزنَ مَرّ بنا ■
وقد أقام فقل لي كيف أحتملُ
كم كنت تحبسُها في كل نازلةٍ ■
مخافةَ العذلِ فليعذرك من عذلوا
لم يخلق اللهُ دمعاً كي نخبئهُ ■
وأيُّ نفعٍ لغيمٍ ليس ينهملُ
يا جرحُ درنةَ دع قلبي وخذ بدني
■ فإنّ قلبي لهم حلّوا أم ارتحلوا
يا جرح درنة مَنْ مني سيوقظني
■ حتى أرى كيف أنّي فيكِ أغتسلُ
يا جرح درنة قد أوغلت في كبدي
■ يا جرحَ درنةَ هل يوماً ستندملُ

9. عمر الفيتوري: طفل وشيخ وامرأة

درنة
ما زال في سهولها
طفل وشيخ وامرأة
ومسجد عتيق
■■■
في عشاء ليلة الفيضان
لم يأكل الأطفال حتى
كانوا فرحين بمجرى الوادي
منتظرين غداً مشرقاً
لرؤيتهم عن قرب
ذلك السد
كاهل المدينة القديم
وفي غمرته هدايا
دانيال
■■■
في درنة
جاري البحث عن بائع الياسمين
في الجرف المعطر
بأرواح الشهداء

10. منصور العجالي: عروس زُفّت إلى السماء؟

يا الله
ابنة أخي حياة
كان يومُ زِفافها
لكننا لم نعد ندري
هل نجت
هل حملها الماء
إلى البحر
أعالقة
أم زُفّت إلى السماء
■■■
يسائلني الصحاب
عن الصحاب
وما علموا أن لي
بين الجوانح
خافقاً كليماً
بات يخشى السؤال
خوفا من قسوة
الجواب..

علم نفس

جون باينز ينظر إلى المرأة... من الثقب

فدوى العبود

يستأثر العالم الداخليّ للمرأة باهتمام متزايد. منذ نظر رائد التحليل النفسي سيغموند فرويد للمرأة كرجل ناقص لم يكتمل نموه؛ بدا أنّ تحقيق التوازن لديها لن يكون سهلاً؛ بل إنّ الحلول في حالتها محدودة؛ فالصعوبة تكمن في «البذرة» لا في القشرة، ومن جوهر المرأة ذاتها ينبعُ الاضطراب، فهو جزء من تكوينها الجسميّ ووظائفها البيولوجيّة وتركيبتها الانفعالية وفق هذه النظرية.

لا يبتعد الفيلسوف التشيلي جون باينز (1935) في مؤلّفه «سيكولوجيا المرأة» (دار كنعان- ترجمة علي الأحمد) عن هذا الفهم، فالكتاب المستند إلى دراسات سريرية لعيّنة واسعة من النساء في تشيلي، يدفع بالموجة إلى الأمام رغم وقوعه في فخّ التعميم.

يشرّح الكتاب التكوين البيولوجيّ لكلّ من المرأة والرجل، ويخلُص إلى أن الاختلاف «مرده نقص في بنيتها الجسدية»، ما يتسبّب لها في عقد كثيرة أهمها: الخصاء وما يلزم عنه من حسد وتدنٍّ في احترامها لذاتها أمام تكوين الرجل «المثالي» وهرموناته ومنها التستوستيرون الذي هو منبع العدوانية والدافع للتغيّر والتقدّم الحضاريّ».

يضعها الكاتب في مقارنة جائرة: في مقابل حيوية الرجل الماثلة في «الحيوان المنويّ» تتجسّد سلبيّة المرأة عبر «البويضة». سيقع المؤلف في فخّ المقدمات المغلوطة التي تنتهي إلى نتائج متناقضة. كأمثلة على غياب الموضوعيّة في أحكامه، سنقع على تعميمات من قبيل «لسان المرأة السّام هو أحد أفظع الأسلحة»، أو اتهامها بدونيّة جوهرها ثم مطالبتها بالسموّ عليه.

ويتابع في هذا السياق تعداد سمات المرأة ومنها: السلبية والمازوخيّة والنرجسيّة التي تكاد تكون طبيعة ثانية عندها. لذلك في منحى تعويضيّ، ستتمحور حياتها للحصول على رجل وستتحدّد هويّتها الأنثوية عبره، فهي ابنة شخص ما وزوجة شخص ما. وعلى المستوى الوجودي، نجد «الأنا» عند المرأة فارغة وسطحيّة ومجوّفة. إنها رهينة الخارج تنتهي بأن تعامل نفسها كشيء وتلقي ذاتها في العراء... العراء الذي يجعلها تحاول إغواء الرجل عبر الجمال الجسديّ: «ينشغل الرجال بأنفسهم طوال الوقت، أما النساء فيكون الرجال شغلهن الشاغل؛ لأنهن يفتقرن إلى القيم الخاصّة». بالنسبة إلى المؤلّف، فإنّ قيمها معدومة، هي مجرد حارسة لرغبات الرجل. حتى الأمومة ستتعرض لنقدٍ شديدٍ في هذا السياق، إنها ليست حالة سامية، بل مجرد شعور غير مستقر وجد لخدمة مجتمع ذكوري. والولادة فعل عصابيّ ومحاولة يائسة لإثبات الأنوثة. تصبح المساواة كقيمة ـ تؤرق النصوص التشريعية والحركات النسوية ـ مستحيلةً وفق هذه البنية النفسية؛ حيث المرأة تضطهد ذاتها وتُعيق مساواتها لا الرجل! أما التعليم، فهو لم يؤثر على تطورها الشخصيّ بل زاد من حقوقها فقط. لقد أشار فرويد قبلاً إلى أنّ أمام المرأة، إمّا كبت حياتها الجنسيّة، أو تقليد الرجال. وثمة طريق ثالثة أسماها «الأنوثة المستقرة». لذا سيتلطف مؤلف «أخلاق القرن الحادي والعشرين» هذا الخيط لتشريح «الأنوثة العميقة»، عبر بثّ الدماء في عروق المبدأ السقراطي «اعرف نفسك بنفسك»، ليحدد العشية الضارة في تربة روحها، بمعنى أنّ الانفعالات العاطفية والتهييج العقلي هما السبب في بقائها مجرّد تابع.

أما الطريق نحو «الأنوثة المستقرة»، فيتطلب مراقبة مستمرة لأعماقها. يطلق باينز على هذا تسمية «إتقان الذات»، أي معرفة المعادن الثمينة التي تنتظر اكتشافها والصخور التي يجب التخلص منها. وعبر الاستبطان، يقدم 33 نصيحة على شكل أسئلة توجّهها المرأة لأعماقها عمّا يغضبها أو يجرحها وعما يسعدها في الحب عن المخاوف والرغبات: «فمن يفهم، يملك كلّ شيء»، لتحويل غير الواعي إلى سلطة الوعي، فلا تعود حياتها غنية بالأحداث بل ستعرف كيفية استخدامها، فالمظهر الجنسي الذي يُبرز الأنثى يحجب في الوقت نفسه المرأة الحقيقية التي تطور مركزاً نفسيّاً ثابتاً يتحدى ظروف الحياة المتغيرة. وبهذا الوعي، تتحول إلى أنا بالغة ناضجة تقدّر نفسها، ولا تعود مجرّد رحم بيولوجيّ بل رحم نفسيّ وهي «ستتصور نفسها فيه لتلد نفسها من جديد». إنّ قيمة التجارب المؤلمة على قسوتها، يجعلها ضرورية لنموّ عالمها الداخلي، ولن تشعر بالملل أو الحاجة لأن «مساحتها الداخليّة ضخمة جداً».

تدرك كل امرأة ما يتحدث عنه باينز، الذي يرى أن التطور هو ألا تنتظر شيئاً من الخارج بل من ذاتها. إنّ ما يتحدث عنه يتجاوز المفهوم النفسي، إلى الانبثاق الروحيّ «المرأة التي حققت تطورها الروحيّ الكامل، لن تعتمد على الظروف الحياتيّة، وستكون قادرة على تحديد مصيرها». يحدد المؤلف الشروط اللازمة لمعرفة الذات، لكن تحقيقها يبدو صعباً في ظل تركيبة المرأة الجسمية، والبيو-نفسية التي حدّها بها. واللافت أنه ينظر إلى عدوانيّة الرجل كعامل مؤثر في التغير الحضاري «نظراً إلى نظامها الهرموني وعدوانيتها الأقل، فإنّ ذلك يقلل من فرص نجاتها وقوتها مقابله». لكن العدوانيّة ذاتها تتحول إلى سمة سلبيّة في المرأة «أنا مقتنع أن عقدة الإخصاء هي سبب عدوان المرأة الشديد الذي يؤدي إلى زيادة إفراز هرمون التستوستيرون الذي يحولها إلى امرأة ذكورية». تمتد تعميمات الكاتب وتأثره بالفكر الديني في نظرته إلى المرأة ككائن مخادع ومكار، إضافة إلى استحالة قيام علاقة سوية بينها وبين الرجل، لبُعدها عن الصدق وعقدها. لذلك يطالبها فجأة بضرورة تنقية القلب.

لعل الأهم في هذا هو الاستبطان، بكونه طريقة لتشريح الذات، تساعد على تمييز الرواسب العميقة المعيقة لتطورها والإفادة من الثروات الثمينة؛ التي ستتيح لها تكوين أنا ناضجة مركزها داخليّ. ووفق هذا الفهم للأنوثة العميقة، ولعظمة الذات الداخلية بما تحويه من سمات كالحدس والبصيرة والإلهام؛ ستحرر نفسها من السقوط للخارج، ستتحرر من تبعيّتها لجسدها وللثقافة ولنظرة الرجل إليها؛ ولن تكون العلاقة بين أقل وادنى بل بين مختلفين.

فأيّ ذلّ يتعرض له الإنسان ـ وهذا ينسحب على كل مجالات الحياة ـ ليس ممكناً إذا لم يَخُرّ موافقتنا الداخليّة، «ولا شيء يمكن أن يحرّر الشخص من الإذلال إلا هوَ نفسه».

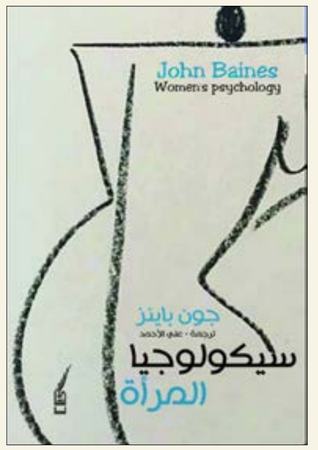

يقع المؤلف في فخ المقدمات المغلوطة التي تنتهي إلى نتائج متناقضة

دفاتر

خالد خليفة... رسالة إلى كاتب مبتدئ

فاطما خضر

«لماذا لا أكتب كلّ ما أراه جديراً بالكتابة فوراً؟ لماذا أتركه يتسرّب إلى الكتابة بعد عام أو عشرة أعوام؟ امتحان الكتابة أم امتحان الحواسّ؟». هذان السطران الواردان في الصفحة 26 من «دفاتر العزلة والكتابة ــ الدفتر الأوّل»، يُلخّصان ربما حكاية النسر الذي أجلسه الروائي والسيناريست السوري خالد خليفة على طاولة مجاورة، ليُقدّم للقارئ من خلال كتابه «نسرٌ على الطاولة المجاورة» (نوفل/ هاشيت أنطوان) وجبةً دسمةً للقراءة، أقرب إلى ورشة عملٍ مجانيةٍ حول الكتابة، هي حتماً مُلهِمةٌ ومُفيدةٌ للكُتّاب، وخصوصاً الهاوين ممّن لديهم تساؤلات حول الكتابة كمهنةٍ احترافيةٍ وكحالةٍ إبداعية. سيجد هؤلاء أنفسهم أمام سلسلةٍ من «الإرشادات» مكوّنةٍ من ستٍّ وسبعين إرشاداً، جاءت في مئةٍ وسبع وعشرين صفحة، يسردها خليفة بأسلوبه الرشيق، الممزوج بالشغف، الغنيّ بالحكمة المتعلّقة بعالم الكتابة، والنابع من التجربة والممارسة اليومية، والخالي من التنظير المُمِل والنصائح المُعلّبة.

كان الوقت فجراً، عندما انتهت سهرة خليفة مع أصدقائه، أو بدقةٍ لم تنتهِ تماماً، لكنّ شيئاً خَفِيّاً كان قد تسرّب إلى ذاكرته ووشوشه للعودة إلى منزله البحريّ الكائن في «منطقة الدراسات» في اللاذقية؛ يومها شعر بأنّ هناك موسيقى تدعوه للرقص منفرداً؛ ليكتشف بعد خروجه أنّ ثمّة عطلاً في سيارته، ما استلزم انتظار حلول الصباح ليتمكّن من الاستعانة «بميكانسيان». وهنا أصبح أمام خيار العودة إلى منزل الأصدقاء أو الرقص؛ وهذا ما اختاره خليفة: الرقص مع الكلمات. سحب دفتراً موجوداً في سيارته، ثمّ ترجّل منها، واشترى القهوة من بائع يتجوّل مصادفةً في مثل هذا الوقت الباكر، ونجحت مصادفةٌ ثانيةٌ بأن يستعير قلماً منه، ثمّ ببساطةٍ كتب عبارته: «دفاتر العزلة والكتابة – الدفتر الأول». هكذا بدأ الأمر ثمّ امتدّ على فتراتٍ متقطّعةٍ، وهو يكرّر كلّ يوم: «الشيء الوحيد الذي أعرفه عن الكتابة، حتّى الآن، هو ضرورة الجلوس إلى الطاولة ساعاتٍ طويلةٍ بشكلٍ يوميّ، كأيّ عامل في المصنع، على حدّ تعبير ارنست همنغواي».

هذه العبارة الذهبية، التي ما زال خليفة يكرّرها أمام نفسه والآخرين المهتمين بالكتابة بعد ثلاثة عقودٍ من عمله في الكتابة واحترافه لها، أوردها كمقدمةٍ للإرشاد التاسع والعشرين من الكتاب.

ولفهم عبارة خالد الشعرية «اخترت الرقص مع الكلمات»، ما عليك إلّا أن تقرأ الإرشاد الثالث عشر حيث ستجد مقاربةً مذهلةً بين كتابة الرواية والرقص: «كتابة الرواية تشبه الرقص. يبدو هذا التشبيه غريباً، إلّا أنّه حقيقيّ بالنسبة إليّ. فالرقص انطلاقٌ من الثبات إلى الحركة، وعودة إلى الثبات مرّة أخرى، ضمن فضاء يحكمه الإيقاع. وكتابة الرواية انطلاقٌ من البياض إلى السواد، والعودة مرّة أخرى إلى البياض، في فضاءٍ أيضاً يحكمه الإيقاع. الهواة غير المحترفين في كلا الفضاءين. الكاتب المحترف كما الراقص المحترف، يستطيع أن يبدأ الرقص فور سماع أيّة موسيقى، لكنّه يحتاج إلى لحظة يُشرق فيها جسده وتطير روحه، عندها يصبح المتفرّجون غير موجودين، يتلاشون وروداً رويداً ويختفون من حوله. وهذا ما أعنيه بالكاتب الهاوي كما الراقص الهاوي، لا يرقص إلّا إذا استبدّت به الرغبة الشديدة، فيبدو مندفعاً، حارّاً، غير مكترث بالإيقاع الذي بلاحقه، ومهما حاول، لا يستطيع خلق إيقاعه الخاص لسرعة مروره على البياض، وتخطيه للحظة الرغبة، يبقى الآخرون بالنسبة إليه موجودين، بحيطون به ولا يستطيع الإفلات من نظرات إعجابهم أو استهجانهم».

يرى خليفة أنّ الكاتب يشبه النّسر كثيراً. بينما يبدو الكاتب أنّه يجلس في يوم رتيب، تفاصيله متكرّرة ومملة، يكون في الحقيقة يقظاً ومترقباً لحدثٍ غريب ينقضّ عليه مفترساً لينقله إلى مائدة الكتابة. وهذا تماماً ما يحدث مع النّسر، الذي يبدو أنّه يُحلّق في السماء ويرى المشهد نفسه، في حين أنّه يترقّب فريسته لينقضّ عليها. وهذا ما أشار إليه في نهاية الإرشاد الثالث والعشرين: «من موقعي مقهى السويس في اللاذقية، والساعة الآن تُشير إلى التاسعة صباحاً، مع فنجان قهوتي الثاني، يتكرّر مشهد تنكس للحديث عن صدمتها حين أُجبرت على إجراء عملية الخِتان؛ ذلك الانصياع المرّ، والذعر المجهول الذي رافقها أمام المشرط، يدفع بشخصية نعمت إلى التشظي، ليكلّل المرض بزوج يبحث عن إرثها، وأخ سمح له العرف بالتعدي عليها. ما يجعلنا أمام وثيقة صاغها الكاتب لجهة نقد العرف، ورفض استمراره. هذا ما نجده في اندفاع المقربين للتلاعب بنعمت تحت غطاء الحب، وبدافع الحرص على ما تمليه مصالحهم.

إلا أن السؤال الأهم يأتي في نهاية الحكاية، حين تكتشف لورا أن شخصية نعمت التي طوّرتها المريضة، هي شخصية ناضجة لخريجة علم نفس عبقرية، ونتاج للشخصيات الثلاث الباقية، وهي كموظفة سابقة في شركات الآب، تفهم كل ما يحدث، وتحلّل الوقائع، وتصنع عالمها الخاص وفقاً لتصوّراتها الخاصة. ذلك السرّ هو ما ينتصر للرواية ويمنحها الفرادة، إذ تبدأ لورا بالاعتقاد بأن المرض لم يكن سوى تمثيلية لفتاة أرادت الانتقام من أسرتها. وقد صنعت انتقامها وفق معرفتها بحيثيات المرض وندرته، وما تعرّضها الصريح للاغتصاب على يد أصدقاء أخيها، سوى دافع لتفعيل الانتقام، هو ما يحدث حين يقع الأخ في أزمة تدفعه إلى الهرب خارج البلاد، ويُزجّ زوجها في السجن، بينما تُترك الأم في حالة من العوز المادي.

تلك الأزدواجية بين الذات وأشكالها، وصعوبة تفكيكها للأحداث من حولها، تصيب لورا وعمر بالحيرة، فعلم النفس لم يجزم بعد بوجود المرض أو عدمه، الأمر الذي يضعهما في حالة من الحرج أمام نفسيهما قبل الجميع. هل كانت نعمت مريضة حقاً؟ أم أنها مثلت أدوارها الأربعة ببراعة؟ هل كانت تلك مسرحية صنعها عقل عبقري؟ أم أنها ضحية تلاعب والصدمات التي كشفتها الجلسات لم تكن سوى سجلّ وثائقي لمرض نادر الحدوث؟ هذا ما يطرحه الكاتب في نهاية الرواية، ليعبّر عن ظلمة النفس البشرية، وتعقيد تكوينها جراء الشعور بالفقد، إلى درجة يصعب بعدها الفصل بين الخيال والواقع: «منذ تشخيص الدكتور عمر لحالتي وأنا في حالة من الممكن وصفها بالحالة، ليست حالة بالتعريف الرومانسي، لكن حالة بمعنى أن الواقع والخيال في حياتي أصبحا غير قابلين للفصل، ربما الوصف الأدق أني ساهمة، تائهة، لا قدرة لي على التركيز. أسرح في الشخصيات التي يحتويها جسدي، وأستعيد مواقف من الماضي».

الحماقة جزءٌ رئيسيٌّ من الكتابة

تضيء على إرادة الفرد العالق ضمن سيطرة الآخرين

رواية

هشام الخشن... عن البراءة المشكوك في أمرها

غنوة فضة

«ناعومي وأخواتها» (الدار المصرية اللبنانية) للكاتب المصري هشام الخشن (1963) روايةٌ عن البراءة المشكوك في أمرها. ذلك أنّها تجعل من إرادة الفرد العالق ضمن سيطرة الآخرين عنواناً، وتأخذ مادتها من المصائر كأدواتٍ لتنفيذ الرغبة. أمر يفرغ وجود الفرد من معناه، ويضعه في صراع بين أن يقبل أو يرفض سيطرة المحيط وسطوة أحكام الأسرة، لتفرغ الحكاية إلى شخصياتٍ منهكة. «لم أكن أعرف كم «سيدا» من الممكن لإحاقه باسمي...». من هنا يبدأ الكاتب بعرض قصة بطلته «نعمت» من فضاء تختلط فيه الحقائق، ذلك أنّ عيشها ضمن أسرة قرية لكن مفككة، يجعلها عرضة لأهواء الجميع. فالطفلة تَنمّي، مع مرور الوقت، أربع شخصياتٍ، يصوغها التشتت، وتثبّ على التبعثر النفسي، إذ تعيش واقع شخصياتها وتصنعها أصواتها التي تتردد عبر الرواية.

تقع «نعمت» ضحية التهافت على ميراث عائلي، وتدخُل المصحّة النفسية على إثر مؤامرة، لتقابل فيها الدكتور عمر وزوجته الأميركية لورا. من هنا ينطلق الكاتب في طرح تساؤلاته عما إذا كان من المسموح كره أولئك الأرستقراطي والبيئة الفلاحية لعائلة الأب، دفعها لتنمي شخصية ناعومي الأرستقراطية إرضاءً لأمّ صعبة المراس، وتستمر في انتقاد ما نشأت عليه ابنتها من عادات قروية.

وعبر جلسات التداعي أمام عمر ولورا، نطلّ على شخصية نوني، الطفلة التي يسمي «اضطراب الهوية التفارقي»، ومنه يكشف الكاتب الأسباب التي أصابتها بالتهتك الداخلي، فسلطة الآباء وسعيهم لغرس شخصياتهم داخل أبنائهم مسألة تجري بصورة تلقائية في المجتمعات الشرقية، ومن دون مراعاة لشخصية المتلقّي في النمو العفوي الطبيعي.

هكذا تتلاعب الظروف بمصير نعمت، ومعها تبرز مشكلة انمحاء الذات واضمحلال الفرد جراء انصهاره القسري في عرف الجماعة، ليأتي تساؤل الروائي في ما إذا كان الاندماج قد حصل بالفعل أم كان مجرد تماشٍ لتحسين الواقع من جهة المسلط عليهم، ثمة نظرة غير راضية منهم، نسمعها من الصوت الداخلي الخفي، ومن استنكار نعمت الخافت حيال حياتها وردود أفعالها. نلمسُ ذلك من خلال حاجتها لتثبت أنها موجودة، وأنها صاحبة حق، وهو ما يُكشف في المشهد الذي تبلغ فيه ذروة صراعها حين تصدّ اعتداءات أخيها وتبادله الضرب؛ في إشارةٍ إلى صحوة امرأةٍ غاضبة لم تقبل الحياة التي عاشتها.

هذا الصراع الناجم عن هشاشة الذات وصلابة الجماعة، له بذوره التي تجلّت في طفلة تخلّت عنها أمها في عمر الثالثة، وهُجرت لتعيش بين يدي جدة وعمّة ريفيّتين. ذلك الشرخ بين عالم الأم وعالم الأب، دفعها لتنمي شخصية ناعومي التي تبدو أفعالها؟ وما هي الاستجابات الملائمة للأزمات التي تجعل المرء عالقاً؟ وبين نعيمة ونعمت وناعومي حتى غوص الطبيبين للوصول إلى شخصية الطفلة نوني، نكتشف إصابة الفتاة بما يسمى «انفصام الشخصية»، وهو ما يُعالجه الكتاب في سياق الرواية، ليأتي الحل بالتكفل بالحالة، وهو ما يبدو أنّه لم يكن ليتم لولا تدخل الأب، الذي يبدو أنّه تعلّم من أخطائه، وأدرك أنّ الحب وحده لا يكفي، وأنّ الأمر يحتاج إلى تدخل متخصص.

لمحات

سالي روني

تحكي الروائية الإيرلندية سالي روني في «أبهى العالم الجميل أين أنت؟» (2021) التي انتقلت أخيراً إلى لغة الضاد (دار الآداب - ترجمة أحمد سعد جمال الدين) قصة كاتبة تدعى أليس كيليهر وصديقتها المفضلة إيلين ليدون، التي تعمل كمُحرّرة في مجلة أدبية في دبلن. تنتمي الرواية إلى أدب المراسلات. نجد في الفصول المتلاحقة سرداً لحياة أليس وإيلين ورسائل البريد الإلكتروني التي تتبادلانها من وقت إلى آخر. تتعرف بطلة الرواية أليس إلى فيليكس برادي، الذي يعمل في أحد المستودعات ونقع في حبّه وتطلب منه أن يسافر برفقتها إلى روما. أما ألين فتَغرم بشاب كانت تعرفه منذ الطفولة يعمل في وكالة لإغاثة اللاجئين. تتعرف من خلال هذه الرواية إلى شباب في مقتبل العمر تُربكهم الحياة بكلّ الطرق الممكنة، يرغبون في بعضهم، ويخادعون بعضهم بعضاً، ويدخلون في علاقاتٍ عاطفية ويتخلون عنها، ثم يقلقون بشأن ما فعلوه ويشعرون بالخوف على صداقاتهم ومن العالم الذي يعيشون فيه. يمكن وصف بُنية الرواية بأنّها قائمة على فكرة «رباعية الحب»، حيث تعالج الكاتبة بإحساس مرهف موضوعات الرومانسية، الصداقة، الهشاشة، والتفاوت الطبقي الاجتماعي.

نادر كاظم

يحاول الكاتب والناقد البحريني نادر كاظم في «ما الأمّة؟: مختارات مرجعيّة عن الأمّة والقوميّة» (منشورات تكوين) الإجابة على سؤال يؤرّق كثيرين: ما الأمة؟ هذا الكتاب المرجعي يدعو القارئ إلى رحلة فكرية ستُغيّر آراءه في العديد من القضايا، وستُقدّم له رؤية جديدة عن مفهوم الأمّة. في النهاية، سيكتشف القارئ أنّ هذا الموضوع أكثر تعقيداً بكثير مما كان يعتقد في البداية. باستثناء المقالة الأولى، التي كتبها يوهان فيخته وتعتبر نصاً مرجعيّاً لكل الكتابات القومية اللاحقة، حيث تُقدّم وجهة نظر تؤكد أن الأمّة ظاهرة طبيعية قائمة بذاتها، توجد بمعزل عن أي تدخل بشري أو ظروف تاريخية، فإن جميع المقالات الأخرى المختارة في هذا الكتاب تُدافع عن منظور مضاد، وتقول إن الأمّة هي منتج بشري، ونتيجة لعمليات الإنشاء والتشكيل وحتى الاختراع والتلفيق التي قام بها البشر في سياقات تاريخية محدّدة. يُظهر هذا الكتاب أطروحات متنوعة لمفكرين ذوي توجهات ومشارب مختلفة، انطلاقاً من محاضرة «ما الأمّة؟» الشهيرة لإرنست رينان وصولاً إلى كتاب «جماعات متخيّلة» لبندكت أندرسون، بالإضافة إلى آراء مفكرين وزعماء، ومنظّرين مشهورين مثل ستالين، وطاغور، وهتنغتون وغيرهم.

لوران بيني

تندرج رواية الكاتب الفرنسي لوران بيني «حضارات» (2019) الصادرة عن «دار كلمات» بترجمة إكرام الصغيري ضمن أدب «البوكرونيا» أو التاريخ البديل، وهي محاولة لإعادة صياغة أحداث التاريخ، انطلاقاً من سؤال «ماذا لو؟». البوكرونيا (Uchronia) مصطلح جديد، يعود إلى القرن التاسع عشر، على وزن «يوتوبيا». تعني الكلمة اصطلاحاً وقتاً غير محدد، أو زمناً غير موجود. أمّا في الأدب، فتشير إلى نوع أدبي يعتمد مبدأ إعادة كتابة التاريخ انطلاقاً من تعديل حدث ما في الماضي. الرواية أقرب إلى الخيال العلمي، إذ يحاول الكاتب، انطلاقاً من تغيير وضع تاريخي ما، تخيّل العواقب المحتملة المترتبة عن ذلك. من خلال هذا الحدث المُعدّل، يخلق المؤلف ما يشبه تأثير الدومينو، الذي يؤثر في مسار التاريخ. يؤثث لوران هنا عالماً يفشل فيه كريستوف كولومبوس في اكتشاف أميركا، بينما ينجح هنود «الإنكا» في احتلال أوروبا والسيطرة على بلدانها. وينتصر قائدهم أتاوالبا على شارلكان ملك إسبانيا وأعظم شخصية في التاريخ الأوروبي، ما يؤدي إلى تغيير وجه العالم الذي نعرفه. الرواية غنيّة بالأحداث والشخصيّات التاريخية، وقد حازت «جائزة الأكاديمية الفرنسية» المرموقة.

شهاب عبد الله

تتميّز رواية الكاتب التونسي شهاب عبد الله «مشروع النوم» (هاشيت/نوفل) بالكثير من العمق والجودة سواء على مستوى بنيتها السرديّة، أو على مستوى لغتها المتوافقة مع إيقاع الأحداث ونمط الشخصيّات. تحكي الرواية قصة مروان العابد الذي يكتشف، أثناء مأدبة عشاء، سراً خطيراً كانت تخفيه زوجته، فيخرج من منزله ويهيم على وجهه بلا هدف في شوارع برلين الباردة المكسوة بالثلوج. هناك، يعثر على قطّ رمادي غريب، فتنشأ بينهما علاقة مميّزة لا تشبه علاقات الحيوانات الأليفة بأسيادها. يترك مروان زوجته وعائلته ويعود إلى تونس مصطحباً معه فقط القط الرماديّ. في بلده، يقرر أن يستكمل مشروع عائلة والدته العجائبي، فيفتح شقته المُطلة على شارع الحبيب بو رقيبة لسكان مدينته الذين يشعرون بالأرق ولا يستطيعون النوم، فمروان قد ورث عينين موشومتين على صدره تحدّثان بوجه الأرق بثبات وتهزمانه، فتغفو أمامه الأجساد وتنعم بنوم عميق. لكن أثناء النوم، تطفو مخاوف الناس وأسرارهم القاتمة على السطح. من حين إلى آخر، تظهر كائنات غرائبيّة لتخفّف من وحدة أبطال الرواية، أو ربّما لتنطق بلسان جنونهم مثل السيّد رمادي، وبورا، وريفن... اللافت أنّ جميع أبطال الرواية يتشابهون رغم كلّ اختلافاتهم، فهم صنّاعة ماضيهم، والحيرة هي الثابت الوحيد لديهم بينما يحاولون شقّ طريق خلاصهم.

رشا عدلي

تتناول الروائية والباحثة المصرية في تاريخ الفن رشا عدلي في «مِلْءُ العَيْن: المرأة في الفن التشكيلي عبر العصور» (الدار العربية للعلوم ناشرون) نشأة الفن التشكيلي وتطوره على مرّ العصور وفي مختلف الحضارات. تسعى الكاتبة لتسليط الضوء على تاريخ المرأة من خلال الفن التشكيلي العربي والعالمي. لذلك تستعرض اللوحات التشكيلية التي توضّح تاريخ المرأة عبر حقبات زمنية مختلفة. ترى المؤلفة أن دراسة تاريخ الفن تتطلب البحث عن كل ما يخصُّ العمل الفني في فترة زمنية معيّنة من أحداث اجتماعية وسياسية وثقافية. لذلك يتفرّع الكتاب ويتشعّب إلى نواح مختلفة من أوجه الحياة، ليصبح بمثابة سجلّ توثيقي مهمّ يمتد من العام الأول الميلادي حتى عصر ما بعد الحداثة. تؤكد الباحثة أنّ مسيرة الفن تسير جنباً إلى جنب مع تطوّر دور المرأة عبر العصور. على مدى قرون طويلة يمكن أن نكتشف، ما بين لوحة وأخرى وزمن وآخر، مدى التقدّم الذي أحرزته المرأة في المجتمع من خلال أعمال فنية يمكن اعتبارها سجلاً وثائقياً دُوِّنت فيه أحداث هامة، فهذه اللوحات لا يتوقف دورها على كونها أعمالاً إبداعية فقط، بل لقد كشفت للمؤرخين والكتّاب والنُّقّاد الكثير من الأسرار التاريخية والاجتماعية التي قد لا ينتبه إليها المُشاهد من النظرة الأولى.

حسن المودن

يُعالج كتاب الباحث المغربي حسن المودن «الإخوة الأعداء في السَّرد العربيّ والغربيّ: مقاربة نفسيَّة جديدة» (كنوز المعرفة ـ الأردن) موضوع علاقة الإخوة الأعداء في الأدب العربي والأدب الغربي من منظور نفسي. يقترح الكتاب استخدام النصوص الأدبية والدينية والأساطير لاستخلاص مفاهيم نفسية جديدة تتناول علاقة الإنسان بأخيه وتفسير الصراعات بينهما. يتألف الكتاب من ثلاثة فصول. يتناول الأول الإخوة الأعداء في الأدب الديني، ويستعرض قصصاً شهيرة مثل قصة النبي يوسف وإخوته، وقصة قابيل وهابيل والصراع بين إسماعيل وإسحاق حول من يرث النبي إبراهيم، وكيف يمكن تفسير هذه القصص من منظور نفسي ويطرح أيضاً أسئلة حول العقدة النفسية الجذرية في هذه القصص. يستكشف الفصل الثاني قصص الإخوة الأعداء في الأدب الغربي الحديث، بدءاً من تحليل كتاب رولان بارت عن «راسين» ومسرحية «هاملت» لشكسبير وصولاً إلى الأدب البوليسي كروايات أغاثا كريستي. يُركّز الفصل الثالث على الإخوة الأعداء في الأدب العربي، فيحلّل رواية «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ بالإضافة إلى روايات معاصرة أخرى، كما يُناقش مسألة الأخ المنبوذ في الرواية العربية، من خلال رواية الروائيّ السعوديّ عبد الله زايد «المنبوذ»، ويتناول سؤال الأخوّة في الرواية النسائية العربية، من خلال رواية «غرف متهاوية» للكويتية فاطمة يوسف العلي.

أوراق

«دروس المقاومة المقدسية» [1]

السؤال الموجود

عبد الرحيم الشيخ *

في كتابه «في معنى المكان: وحي من دروس المقاومة المقدسية» (مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت . 2023)، يواصل بلال سلامة، المقدسي اللاجئ من أرض القدس في أرض بيت لحم، مسيرته الباحثة عن معاني الأرض والإنسان والحكاية، ولكنه يضيف إليها هذه المرة درساً جديداً: في نقد الذات «الوسيطة». فهذه الذات، التي كانت مكوّناً مركزياً في التاريخ الوطني لفلسطين الحديثة، لم تعد تُميِّز موقعها في «حرب الأمكنة»، أي الحرب بين الإكراه الصهيوني الاستعماري لتشكيل اللامكان الفلسطيني، وعدم الامتثال الفلسطيني المقاوِم لغرض استعادة المكان. لم تعد الذات الوسيطة تُميِّز موقعها في حرب الأمكنة بعدما فقدت موقعها في «حروب الموقع» و«حروب الحركة». وعند هذه اللحظة، اكتشف الفلسطيني، الذي لا ينتمي إلى هذه «الطبقة الوسيطة»، ذاته الفردية والجماعية في ظل تراجع الرسمية الفلسطينية وضعف منظمة التحرير الفلسطينية وغرقها في مستنقع السلطة الفلسطينية. عند هذه اللحظة، عمل المقدسيون ــ ومن جاؤوا لنجدتهم في 10 أيار (مايو) 2021 يوم «الفزعة» الكبرى على مشارف سطاف والقسطل في باب الواد ـ على استعادة المكان، وإن لحظياً، ونجحوا في «افتكاكه».

في مدخله المنهجي، يسمِّي سلامة هبة القدس: «الانتفاضة الشاملة التي عمَّت جميع الأمكنة في فلسطين في أيار 2021»، ويُهدي عمله لـ«سَدَنةِ المكان من الشبان الذين وقفوا على عتبات الأمكنة الثلاثة، في: الشيخ جراح، وباب العامود، والمسجد الأقصى. يعرِّف سلامة الاستعمار الصهيوني الذي حاول السيطرة على المكان بسماته الكبرى، إذ إنه: استعمار إحلاليٌّ، هجينٌ بين الاستعمار الكلاسيكي والاستعمار الحديث، يمارسُ الفصل العنصري، ويدجّج حضوره العسكري المتوحش بادعاءات دينية تدعم مزاعم أحقيَّته بالوجود عبر ثلاثية الهوية: الدين والقومية والمكان. وفي المقابل يعرِّف حركة التحرر الوطني الفلسطيني التي قاومت حركة الاستعمار الصهيوني في أوديسة متواصلة من الانتفاضات والهبَّات التي شكَّلت الثورة الفلسطينية الحديثة منذ عام 1905 وحتى اللحظة، ونجحت في البقاء في المكان، وجاهدت في إبقاء محاولة استرداده حية. وهذا الصراع، الذي بين حركة التحرر الوطني وحركة الاستعمار الاستيطاني، هو ما يطلق عليه سلامة «حرب الأمكنة» رغم عمليات السلب الدائمة بحقه وبحق أصحابه الأصليين التي تجيء في إطار واحدة من أطول وأشرس عمليات التطهير العرقي في التاريخ.

خلال قتالهم في «حرب الأمكنة»، خاض الفلسطينيون في القدس على امتداد أربع حقب معارك: تثبيت الوجود، وتعزيز الصمود، والكفاح الوطني لبناء المؤسسات الوطنية، وتدشين وجود وطني رسمي وإن غابت السيادة. وقد زاملت هذه الحقب هبَّات وانتفاضات لم تنقطع، كان المكان المقدسي فيها «المِلاط الوطني» الذي يجمع شتات الجغرافيات الفلسطينية داخل فلسطين التاريخية وفي الشتات. وكانت القدس بيت الفلسطينيين الأول. كيف لا، وفيها «بيت إلههم»، ودرب آلامهم، وجلجلة صلبهم، ومحطة إسرائهم، ونقطة معراجهم، ووعد قيامتهم؟

في فصل «معنى المكان (القدس . كبلدة الله والفلسطيني. العتيقة)»، وبعيداً عن متلازمة القدس البغيضة، يصف سلامة القدس بأنها «بلدة-الله والفلسطيني-العتيقة». وهذا الوصف هو ما يصنع «المبدأ الدلالي» للمسلكيات التي يمارسها الفلسطينيون تجاه القدس بوصفها مكانهم، وبوصفها، كذلك، لا-مكان أعدائهم. فـ«القدس بوابة الأرض إلى السماء، وبوابة السماء إلى الأرض« والقدس سُرَّة فلسطين، «والحرب تندلع من فلسطين، والسلام يبدأ من فلسطين» كما جاء في خطاب «البندقية وغصن الزيتون» في الأمم المتحدة قبل خمسين عاماً، وقد ثبت بالوجه التاريخي أن الحرب تندلع من القدس، وإن لم يبدأ فيها سلام أهلها في ظل وجود عدوهم. يرصد سلامة حدث «هبة الكرامة» من: الشيخ جراح إلى باب العامود إلى المسجد الأقصى... ومن القدس إلى غزة إلى عموم فلسطين وحدودها الشتاتية مع «دول الطوق»، وقد صار «طوق الحمامة». كما يرصد سياسات عدوهم الصهيوني في استهداف القدس، بوصفها «بيت الله» و«بيت عبد الله الفلسطيني»...

ولا عجب أن يستهدف الصهاينة «البيت» ويحوّلوه من «مكان للألفة» إلى «ساحة للقهر»: فالله، في بعض اللغات هو «البيت». ولأن الصهاينة احتكروا مرويَّة الله عن بيته، فقد منحوا أنفسهم حق وصفه، وتطهيره عرقياً، وإعادة تدشينه على مقاسهم بعد تحويله إلى «لامكان» بالنسبة إلى أصحابه الفلسطينيين. لقد استهدفوا «بيت الله» و«بيت عبد الله» في القدس وعموم فلسطين، لأنهم باستهدافهم «البيت» إنما يستهدفون ذاكرة البيت: يستهدفون الوعي وأشياء الوعي بجرافةٍ واحدة حريصة على جعل حياة الفلسطينيين «نكبة مستمرة».

وفي فصل «المشهد المكاني وسياقات الفعل في القدس»، يرصد سلامة الفعل الثوري الفلسطيني في مواجهة العدو. فقد مارس الفلسطينيون «البطولة السائلة» ابتداءً من الشيخ جراح، ومروراً بباب العامود، وانتهاء بالمسجد الأقصى. وهي بطولة سائلة في الحركة، والمناورة، وتعدد الفواعل المقاومة، وماهيَّتها. لقد مارسوا ذلك على الرغم من حالة «السُّبات الاستعماري» التي سادت في حقبة ما بعد أوسلو وكادت أن تكرِّس «التطبيع المجتمعي» للشرط الاستعماري وتجعل منه «قابلية للاستعمار» يغدو معها من العسير على الفلسطينيين فهم مقولة: «هيهات منا الذلة». لقد نجح زئيف جابوتنسكي وسلالته في تدشين «الجدار الحديدي» من خلال الترسانة العسكرية لدولة المستوطنين «إسرائيل»، لكنهم لم ينجحوا في جعل الفلسطينيين يقبلون بالدونية الحضارية، والهزيمة، واليأس من الانتصار على الاستعمار. كان الفلسطينيون «طروادين» في قتالهم، رغم أنهم لم يغزوا إسبارطة، ولم يخطفوا هيلانة الخائنة. لكنهم دافعوا عن مكانهم الذي عمل العدو ولا يزال على تحويله إلى لامكان، أو إلى «حيز للخوف» يكون فيه الفلسطيني «إنساناً عارياً» يعيش «حياة عارية»: ميِّت مع وقف التنفيذ. واجه الفلسطينيون سياسات الهندسة الاجتماعية، مكانية-زمانية واقتصادية وبيو-سياسية، وواجهوا أجهزة أمن العدو الصهيوني، ومليشيات المستوطنين الذين أعلنوا أنه «بالنار والدم سقطت يهودا، وبالنار والدم سوف تقوم»... وكان كل منهم «بيرُش ع الموت سُكَّر» عبر أفعال الجسارة والجكارة في المواجهة التي كان عنوانها: «لن نرحل».

لقد تزاملت «البطولة السائلة» التي مارست «مقاومة سائلة» مع تحويل الأماكن إلى «أماكن سائلة» خلال «حرب الأمكنة» التي أعادت إلى الأذهان تكتيكات «حرب الغوار» أو «حرب الشوارع»... على مستوى حيز الاشتباك على الأقل. كان «الدوديم» يدافعون عن فكرة النصر، وليس عن النصر الفعلي بالضرورة. لم يدافعوا عن جغرافيا المكان والسيادة عليه، بقدر ما كانوا يدافعون عن إمكانية استعادته، وإن لحظياً ومرحلياً. كان هدفهم طرد مستوطن عن درج باب العامود، أو تجريده من علم قبيح برسم الزوال. كان المقدسيون، ومن لبُّوا نداء «الفزعة» من عموم فلسطين، في المثلث والجليل والنقب وغزة يكتبون بالدم، مقولة: «نستطيع بحرب الأمكنة أن ننتصر». وتراوحت أسلحتهم بين: تدمير وسائل المواصلات وقطع الطرق على المستوطنين، وإيقاع التخريب اقتصادي، واستمرار التدفق إلى الشوارع وتوظيفها كمساكن شعبية، وتوظيف أكبر لوسائل التواصل الاجتماعي والإعلام الجديد، وتشكيل وحدات الإرباك الليلي ومسيرات حق العودة، وتجديد مسيرات العودة في الداخل والخارج، وإقامة السلاسل البشرية لحماية الأبراج، والتكامل الوظيفي للأدوات النضالية بحسب الأماكن، وإعادة إحياء اللجان الشعبية، والجكارة والسخرية المقدسية، والمناشط التي تختلط بالمقاومة، وإسكات ثرثرة العقل، وتمتين الصلات الفلسطينية-الفلسطينية بين القدس وغزة، وفلسطين 48، والضفة، والشتات، والسجون الصهيونية.

للجكارة فنونها، ومن فنونها طرفة حول مقدسي آخر، هو ياسر عرفات أثناء لقاء جمعه مع الملك حسين-ملك الأردن ورئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إسحق رابين في برنامج Larry King Live على شبكة CNN الأميركية بُعيد توقيع «اتفاقية السلام الأردنية-الإسرائيلية» في وادي عربة عام 1994. دار النقاش حول المسائل الإشكالية في الصراع العربي مع «إسرائيل»، حول قضايا الدولة والعودة وتقرير المصير. أدلى كل من الرؤساء الثلاثة بدلوه، لكن حين سألهم مضيف البرنامج «السؤال الصعب» عن القدس: أجاب الملك حسين، بديبلوماسيته المعهودة، مشيراً إلى أنّ القدس هي موئل الديانات الإبراهيمية الثلاث، وأنها ينبغي أن تكون، حسب مقررات الشرعية الدولية، وبخاصة قرار التقسيم 181 في 29 تشرين الثاني (نوفمبر) 1947 كياناً مستقلاً مُداراً دولياً (Corpus Separatum). أما رابين، فأعاد الأسطوانة المشروخة التي استأجرت الأبدية من الله، مؤكداً أن القدس ستبقى عاصمة أبدية موحَّدة لدولة «إسرائيل»، مشيراً إلى أنه مولود في القدس لعائلة يهودية. وأما الراحل ياسر عرافات، وقد استفزته إجابة رابين، فأكد أن القدس ينبغي أن تكون عاصمة للدولة الفلسطينية، وسأل رابين: «وماذا يعني أنك ولدت في القدس يا سيد رابين؟ فقد ولدتُ، ومئات الآلاف من أبناء شعبي، في القدس. وحتى وإن ولدتَ في القدس، فقد ولدت قبل قيام دولة «إسرائيل» في عام 1948، ولذا فأنت فلسطيني!» عند هذه النقطة، كان البرنامج قد شارف على الانتهاء، فداعب مقدِّمُه، يهودي الديانة، لاري كينغ رابين بالقول: «سيد رابين: أنت فلسطيني!» يعود سلامة في فصل «الطبقة الوسيطة: وثرثرة نوستالجيا الانتفاضة الشعبية»، إلى ممارسة دور نادر للباحث الذي يتأمل في حالة الضمير الجمعي العام وهو ينجز مقولته البحثية: المنهجية والنظرية والميدانية. ولكن سلامة لا يتأمل ويصمت وهو يؤدلج الهزيمة، بل يمارس مهمة المثقف النبيل الذي يحتاز المثقفيَّة ويمارس الفاعلية الثقافية بشقيها: ترسيم جينيالوجيا الشر السلطوي، والمشاركة في صوغ أخلاقيات المقاومة وممارستها، حيث تغدو ممارسة الثقافة فعلاً سياسياً، ويغدو نقد السياسة تكثيفاً للفعل الثقافي المقاوم.

* القدس، فلسطين المحتلّة

يرصد بلال سلامة «هبّة الكرامة» من القدس إلى غزة إلى عموم فلسطين

Samedi 23 Septembre 2023 no80
السبت 23 أيلول 2023 العدد 80

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

انتخابات نقابة المحامين

المرشحون والآلية والاشتراكات [4]

معتقل غوانتانامو لم/لن يغلق أبوابه [2]

الجريمة المنظّمة لتصفية الفلسطينيين

[7]

(من الويب)

قضية

«إغلاق معتقل غوانتانامو»، كان احد ابرز الوعود الانتخابية للرئيس الاميركي الاسبق باراك اوباما قبل وصوله إلى البيت الابيض عام 2009. ولكنه لم يفعل. تكرر الوعد عام 2021 مع الرئيس الحالي جو بايدن. لكنه، ايضاً، لم يغلق المعتقل. وتستمرّ السلطات الاميركية في نزع صفة الإنسانية عن أشخاص مشتبه فيهم بالضلوع بالإرهاب، من دون ان يحاكموا او يمنحوا ابسط الحقوق القانونية.

عجز رئيس الولايات المتحدة الاميركية (القائد الاعلى Commander-in-chief) عن إغلاق معتقل عسكري يدل إلى انه يكذب، او ان إنشاء وتشغيل المعتقل يستند إلى صلاحيات تتفوق على صلاحيات الرئيس. فهل اعتماد ممارسات تعذيب ونزع صفة الإنسانية عن أشخاص معتقلين في غوانتانامو بات يشكل ركناً من اركان الدولة الاميركية بعد هجمات 11 أيلول 2001؟. لا يزال في معتقل غوانتانامو، حتى اليوم، 30 شخصاً. ويستمرّ الجيش الاميركي باستخدام شتّى انواع التعذيب الجسدي والنفسي بشكل يومي بحق هؤلاء، بينما تتغنى بعض الوكالات الحكومية الاميركية في العديد من الدول، بما فيها لبنان، بنشر ثقافة «حقوق الإنسان» والعدالة وتموّل برامج «إصلاح» و«منع الإفلات من العقاب»

أميركا تنزع صفة الإنسانية عن أشخاص معتقلين

معتقل غوانتانامو لم/لن يغلق أبوابه

عمر نشابة

قال الرئيس الأميركي جو بايدن بعد انسحاب القوات الأميركية بشكل مستعجل وفوضوي من أفغانستان في تموز 2021 إنّه أنهى «أطول حروب الولايات المتحدة». لكن ذلك لم يكن صحيحاً. إذ إن تلك الحرب لا تزال مستمرة في معتقل غوانتانامو حيث يتابع الجيش الأميركي اعتداءاته بحق أشخاص لا يعدّهم بشراً بحجة «الحرب على الإرهاب».

ضم معتقل غوانتانامو سابقاً نحو 800 محتجز، وتقلّص العدد حالياً إلى 30، جميعهم مسلمون لم يُتّهم معظمهم بارتكاب أي جريمة. وقد أنكرت حكومة الولايات المتحدة، التي تتباهى بـ«الديمقراطية الليبرالية»، إنسانية المعتقلين بحجة الحفاظ على مصالح الأمن القومي الأميركي، وذلك خلافاً للقانون الدولي ولمعاهدات جنيف تحديداً، وخلافاً للقانون الأميركي المطبّق على جميع الأشخاص الموجودين في الولايات المتحدة.

وكانت محكمة الاستئناف الفيدرالية الأميركية لدائرة مقاطعة كولومبيا قد أصدرت حكمًا للمرة الأولى، في أيلول 2020، يقضي بأنه لا يحقّ للمعتقلين في غوانتانامو بالإجراءات القانونية المتّبعة، متبنّية بذلك موقف الرئيس الأميركي السابق جورج بوش بشأن حرمان هؤلاء من أبسط حقوقهم القانونية. وقررت المحكمة الإبقاء على اعتقال المواطن اليمني عبد السلام الحيلة إلى أجل غير محدد. علماً أن الأخير أكّد أن الأدلة ضده استندت إلى إشاعات مجهولة المصدر، وأنه لم ينضم أو يدعم تنظيم «القاعدة» أو أي جماعة إرهابية أخرى. كما وجدت محكمة البداية في وقت سابق أن الحيلة «شارك في الجهود المدعومة من الولايات المتّحدة ضد الجيش السوفياتي في أفغانستان في الثمانينيات».

لكن قضاة محكمة الاستئناف انقسموا حول ما إذا كان يحق للحيلة الحصول على إجراءات الحماية القانونية نفسها التي يتمتع بها أي شخص في الولايات المتحدة. فبموجب تلك الإجراءات كان يمكن لفريق الدفاع عن الحيلة دحض المزاعم الموجهة ضده. لكن القاضي ناومي راو حسم الأمر: «لا يجوز للأجنبي الذي لا يملك ملكية أو وجودًا في الأراضي السيادية للولايات المتحدة أن يتذرع بشرط الإجراءات القانونية الواجبة»، وهو الموقف الذي اتخذه أيضًا القاضي ريموند راندولف.

وكانت المحكمة العليا الأميركية قررت عام 2008 أنه يمكن للمعتقلين في غوانتانامو الطعن فقط في شرعية احتجازهم أمام المحكمة الفيدرالية، لكن من دون أن تشير إلى حقوقهم في تسلسل الإجراءات القضائية.

ولا بد من التذكير هنا إلى أن الكونغرس كان قد وضع بعض التدابير الشكلية لحماية المعتقلين في المحكمة العسكرية الخاصة بهجمات 11 أيلول 2001. فعلى سبيل المثال، يحظر القانون استخدام الاعترافات التي تدين الذات والتي يحصل عليها من خلال التعذيب والمعاملة القاسية واللا إنسانية، لكن تكمن المفارقة العجيبة في أن القانون نفسه يسمح للمدّعين العامين باستخدام أقوال معتقل آخر ضد المدّعى عليه حتى لو حصل عليها المحققون بواسطة الإكراه. وقد اعترض بعض محامو الدفاع على ذلك باعتباره انتهاكًا للحق الدستوري في الإجراءات القانونية الواجبة. وجادل محامو الدفاع لسنوات بأن على القضاة العسكريين أيضًا تطبيق تدابير حماية دستورية أخرى، مثل الوصول إلى المحامين قبل توجيه الاتهام إلى السجناء. ولكن القضاة ليسوا ملزمين احترام الحقوق القانونية البديهية للمعتقلين في غوانتانامو بموجب قرار محكمة الاستئناف الفيدرالية.

منع الإنفاق على نقل المعتقلين

الرئيس الأميركي الأسبق باراك اوباما كان قد وعد بإغلاق معتقل غوانتانامو، لكن ذلك لم يحدث. أما الرئيس السابق دونالد ترامب فقرر إبقاء المعتقل مفتوحاً، لكنه دعا إلى وقف فوري لعمليات نقل المعتقلين إليه. وفي الأسابيع الأولى من توليه منصبه، كان الرئيس الأميركي الحالي جو بايدن قد كشف عن نيّته إغلاق معسكر الاعتقال، لكن دون جدوى. وبعد توقيع بايدن في كانون الأول 2022 قانون موازنة الدفاع الجديد، بات إغلاق المعتقل شبه مستحيل إذ يتضمّن القانون أحكامًا قد تحظر استخدام الأموال لنقل المعتقلين إلى عهدة دول أجنبية. وبالتالي، حتى لو صدر قرار إغلاق المعتقل لا يمكن نقل من تبقى داخله إلى دولهم أو إلى دول ثالثة.

> يرسل معتقلو غوانتانامو الذين لا يمكن إعادتهم إلى وطنهم إلى دول ثالثة حيث يتعرضون لمزيد من الاعتقال التعسفي

وقال كلايف ستافورد سميث، محامي حقوق الإنسان الدولي الذي يمثل أربعة من معتقلي غوانتانامو بعد تأمين إطلاق سراح 83 سجيناً على مر سنوات، إنه جرت تبرئة 20 من أصل 35 شخصاً متبقين في المعتقل ويتوقع «إخراج المزيد من الأشخاص قريبًا». وأضاف: «ننفق حالياً أكثر من 14 مليون دولار سنوياً لكل معتقل، وهي أموال يمكن إنفاقها بشكل أفضل بكثير على الرعاية الصحية للفقراء».

تقرير الأمم المتحدة: فشل حقوق الإنسان

وقد زارت المقررة الخاصة للأمم المتحدة المعنية بمكافحة الإرهاب وحقوق الإنسان، فيونوالا ني أولاين، معتقل غوانتانامو أخيراً، والتقت عدداً من المعتقلين ونشرت تحقيقاً شاملاً في حزيران المنصرم حول انتهاكات حقوق الإنسان.

وأشار التقرير بوضوح إلى أنه في أعقاب هجمات 11 أيلول 2001، رُحّل مئات الآلاف من الرجال المسلمين بشكل غير قانوني عبر الحدود، واختفى بعضهم قسراً، واحتجز البعض الآخر في معتقلات سرّية، و/او تعرضوا لانتهاكات صارخة لحقوق الإنسان. واشارت ني أولاين إلى أن السلطات الأميركية أخضعت المعتقلين للتعذيب من خلال الإغراق (waterboarding) والحرمان من الطعام والماء، والحرمان من النوم، والوضوء المستمرة أثناء الاحتجاز. وقيل للسجناء إن أفراد أسرهم سيتعرضون للأذى، كما تعرض المعتقلون لعمليات إعدام وهمية وللعنف الجنسي، بما في ذلك الاغتصاب وغيره من الأعمال الشنيعة. وأكد التقرير على «النتائج السابقة للإجراءات الخاصة للأمم المتحدة بشأن الاعتقال السرّي والتعذيب وسوء المعاملة في مواقع متعددة (بما في ذلك المواقع السوداء) وفي خليج غوانتانامو». وقد سمحت حكومة الولايات المتحدة بالتعذيب وقام موظفون أميركيون بجملة تعذيب ممنهجة.

وذكرت مقررة الأمم المتحدة أن «الخطاب الاستثنائي والتمييزي وحجج مكافحة الإرهاب كانت من بين دوافع ومبررات استمرار وجود معتقل غوانتانامو» لأكثر من مليارَي مسلم في جميع أنحاء العالم.

ويشير التقرير إلى «إن التعسّف يسود البنية التحتية للاحتجاز في غوانتانامو بأكملها، ما يجعل المعتقلين عرضة لانتهاكات حقوق الإنسان والاحتجاز التعسّفي». وأضاف أن الحياة خارج غوانتانامو، بالنسبة لبعض المعتقلين، هي مجرد غوانتانامو آخر. ووجدت ني أولاين أن أولئك الذين لا يمكن إعادتهم إلى بلدانهم يجري إرسالهم بدلاً من ذلك إلى دول ثالثة مثل كازاخستان، حيث يتعرضون لمزيد من الاعتقال التعسّفي من قبل السلطات المحلية.

وسلّطت المقررة الخاصة الأممية الضوء على كازاخستان والإمارات العربية المتحدة باعتبارهما دولتين تثيران قلقاً. وجاء في تقريرها: «في كازاخستان، يظل المعتقلون السابقون قيد الإقامة الجبرية فعليًا وغير قادرين على عيش حياة طبيعية وكريمة بسبب الإجراءات الأمنية الثانوية التي اتُخذت بحقهم». أما في الإمارات العربية المتحدة، فـ«العديد من المعتقلين السابقين تعرضوا للاعتقال التعسّفي والتعذيب، ولا يزال أحدهم محتجزًا ومعزولاً عن العالم الخارجي».

وخلص تحقيق الأمم المتحدة إلى أن الأشخاص المفرج عنهم من غوانتانامو في صفقات إعادة التوطين لم يحصلوا على الوضع القانوني المناسب من قبل البلدان المضيفة لهم في 30% من الحالات المؤتّقة. وعدم حصولهم على اللجوء يهدد «بمنعهم وعائلاتهم من الحصول على الرعاية الصحية، والتعليم، وكذلك السفر إلى الخارج، وكلها استحقاقات أساسية بموجب القانون الدولي لحقوق الإنسان».

واختتم التقرير بأن الولايات المتحدة فشلت في تعزيز وحماية حقوق الإنسان الأساسية، ودعا الحكومة الأميركية إلى تطوير نهج لتقليل عدد المحتجزين بشكل مسؤول وتحديد الظروف لإغلاق مرفق السجن مرة واحدة وإلى الأبد.

كان عمره 18

«ما زالوا يبقون الرجال في السجن لمدة 21 عاماً من دون حقوق، ودون تهم، ومن دون محاكمة، وحتى من دون إنسانية» قال الأسير السابق من عمره عندما اعتقلته المخابرات الأميركية في أفغانستان في 9 شباط 2002 واتّهمته بأنه أحد كبار المجنّدين لتنظيم القاعدة. نُقل إلى معتقل غوانتانامو حيث احتجز لنحو 14 سنة، تعرّض خلالها للتعذيب والإذلال وسوء المعاملة. وبعد إخلاء سبيله في 11 تموز 2016، قال الضيفي إن إرث مركز الاحتجاز يزداد سوءًا مع مرور كل عام، مضيفًا إن المعتقل «يرمز إلى القمع والظلم والخروج على القانون وإساءة استخدام السلطة والاعتقال إلى أجل غير مسمى».

تحطيم حياة الناس

«يشكل معتقل غوانتانامو رمزاً للظلم العنصري والديني، والانتهاكات، والاستهتار بسيادة القانون. إن تبنّي حكومتنا للتعذيب المنهجي أدى إلى تحطيم حياة الناس وتمزيق سمعة هذا البلد في العالم، وعرّض الأمن القومي للخطر. وحتى يومنا هذا، رفضت الحكومة الأميركية الكشف عن التفاصيل الكاملة لبرنامج التعذيب أو توفير العدالة والإنصاف لجميع الضحايا».

اتحاد الحريات المدنية الأميركي (ACLU)، 11 كانون الثاني 2022.

(أ ف ب)

أساليب الاستجواب المعززة

في غرفة شديدة البرودة في معتقل غوانتانامو، مات أحد المحتجزين، نصف عارٍ، بعد 48 ساعة من حرمانه من النوم. سمح برنامج الاعتقال والاستجواب التابع لوكالة المخابرات المركزية باستخدام ما يسمى «أساليب الاستجواب المعزز» مع المعتقلين الذين ألقي القبض عليهم بعد هجمات 11 أيلول. بتفويض من المسؤولين في البيت الأبيض في إدارة بوش ووزارة العدل، تعرّض 39 معتقلاً على الأقل لهذه الأساليب التي تشكل انتهاكاً صارخاً للقانون الدولي واتفاقية مناهضة التعذيب، فتعرض عدد من المعتقلين للإغراق بالمياه، وكثيراً ما استخدمت وكالة المخابرات المركزية مجموعة من التكتيكات كالحرمان من النوم للمحتجزين في أوضاع مجهدة، أو الحرمان الحسّي للمعتقلين المقيّدين بالأغلال في الحبس الانفرادي.

(راجع «القوس» 1 تشرين الأول 2022، «أساليب الاستجواب المعزز: تعذيب ممنهج في دولة حقوق الإنسان»)

متابعة

من أين تأتي أموال نقابتَي المحامين؟

صادق علوية

تشكّل الرسوم التي يسدّدها اللبنانيون عموماً والمتقاضون خصوصاً مورداً اساسياً لتمويل صندوق نقابتَي المحامين في بيروت وطرابلس. تتنوّع أشكال هذه الرسوم، فإما تكون على شكل طوابع أو رسوم تُستوفى بموجب إيصالات، أو ما يجري استيفاؤه من قبل الكتّاب العدل لموقّعي العقود والاتفاقيات أو من قبل النقابة نفسها، ومنها ما يسدّده المحامي نفسه ويستوفيه من موكّله. وفي ما يلي أبرز هذه الرسوم:

أ) وفق نصّ القانون الرقم 1988/62 المتعلق بصندوق تقاعد محامي بيروت وطرابلس:

- طابع المحاماة بقيمة 5 آلاف ليرة حيث يقتضي على المحامين إلصاق هذا الطابع على الأوراق الآتية:

- الاستحضار ولائحة المدّعى عليه الأولى وطلبات التدخل ولائحة المطلوب إدخاله الأولى لدى جميع المحاكم المدنية والشرعية والمذهبية والإدارية والعسكرية ولدى مجالس العمل التحكيمية واللجان القضائية والإدارية التي لها الصفة القضائية بداية واعتراضاً واستئنافاً وتمييزاً وإعادة محاكمة واعتراض الغير ومداعاة الدولة بشأن المسؤولية الناجمة عن أعمال القاضي.

- طلب التنفيذ واستدعاء الحجز على أنواعه.

- الوكالات لدى جميع المحاكم المذكورة أعلاه ولدى جميع دوائر التنفيذ وفي كل درجة من درجات المحاكمة.

- اتخاذ صفة المدّعي الشخصي أو استدعاء الشكوى الجزائية وجواب المدّعى عليه بداية واستئنافاً وتمييزاً ولدى قضاة التحقيق والهيئات الاتهامية.

ويكون إلصاق هذه الطوابع إلزامياً لدى تقديم الأوراق المبيّنة أعلاه إلى المحاكم، سواء قدّمها المحامي أو مثل المدّعي الشخصي بعد تقديمها. إن الوكالات العامة تخضع لطابع المرافعة في كل قضية على حدة وفي كل درجة من درجات المحاكمة.

- الطابع التقاعدي المنصوص عنه في المادة 15 من قانون 1978/12/18 ويبلغ 15 ألف ليرة نصفها للصندوق التعاوني، يُلصق على كل لائحة أو مذكّرة أو استدعاء يقدّمها المحامي إلى أي سلطة قضائية، باستثناء استدعاء الدعاوى واللائحة الجوابية الأولى الخاضعيْن لطابع المحاماة.

- رسم محاماة قدره نصف في المئة من قيمة الأحكام التي تصدر في الدعاوى الخاضعة للرسم النسبي بموجب قانون الرسوم القضائية، أما الأحكام الخاضعة للرسم القضائي المقطوع فيُستوفى عنها رسم محاماة مقطوع:

- 25 ألف ليرة عن كل حكم بدائي.
- 50 ألف ليرة عن كل قرار استئنافي.
- 100 ألف ليرة عن كل قرار يصدر عن محكمة التمييز أو مجلس الشورى.

ويتوجّب رسم المحاماة عن جميع الأحكام الصادرة عن المحاكم المدنية والجزائية والشرعية والمذهبية ولجان الاستملاك ومجالس العمل التحكيمية وسائر اللجان القضائية والإدارية التي لها الصفة القضائية. تُستثنى من هذه التعرفة الأحكام الصادرة في المخالفات الجزائية وفي الدعاوى التي لا تتجاوز قيمتها مليوناً ونصف مليون ليرة لبنانية.

ب) وفق نصّ القانون الرقم 42 تاريخ 1991/2/12 المتعلق بتنظيم مهنة المحاماة وتعديلاته:

- رسم نقابة المحامين النسبي البالغ 1 بالألف ويطبّق على العقود المتبادلة التي تتجاوز قيمتها مليوني ليرة لبنانية.

وتُسجّل في السجل العقاري أو السجل التجاري أو لدى الكاتب العدل وفي عقود التحكيم ويُستوفى بموجب إيصال هذا الرسم النسبي المقدّر بواحد بالألف من قيمة هذه العقود لمصلحة الصندوق التعاوني وصندوق تقاعد النقابة التي جرى العقد في نطاقها، على ألا يُستوفى هذا الرسم عن العقد الواحد إلا مرة واحدة أمام هذه المراجع.

ويكون كلّ من أمين السجل العقاري وأمين السجل التجاري والكاتب العدل ومنظّمو عقود التحكيم مسؤولين شخصياً عن عدم استيفاء هذا الرسم.

وفي حال كانت هذه الأسناد بالدولار الأميركي فيُعتمد من أجل تحديد القيمة بالليرة اللبنانية للمبالغ المذكورة في الأسناد والعروض الفعلية بالدولار الأميركي، سعر الصرف على منصة «صيرفة» في اليوم السابق لتاريخ المصادقة على السند أو العرض الفعلي وفقاً لقرار وزير المالية الرقم 724 تاريخ: 2022/12/12.

(مروان بو حيدر)

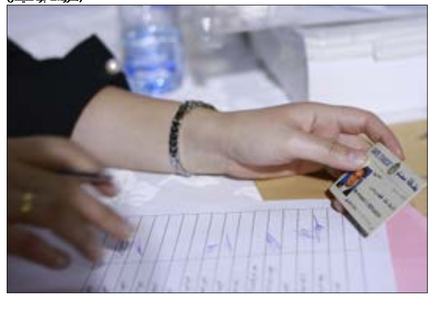

متابعة

انتخابات نقابة المحامين
المرشحون والآلية والاشتراكات

اكثر من 7400 محام ومحامية يستعدون لممارسة حقهم في انتخاب نقيب جديد لنقابة المحامين في بيروت و5 اعضاء لمجلس النقابة، في 19 تشرين الثاني 2023. تجري انتخابات النقابة منذ عام 1920 في تواريخ ثابتة، وهي لم تتوقف حتى في اوقات الحروب والاضطرابات الامنية التي مرّ بها لبنان، باستثناء فترة تفشي جائحة كورونا

فاطمة خشاب درويش

يتنافس 16 مرشحاً على عضوية مجلس نقابة المحامين، من بينهم 12 قدّموا ترشيحهم للعضوية ومنصب نقيب، يتنافسون جميعاً على 6 مقاعد لعضوية. المرشحون لعضوية مجلس النقابة، هم: لبيب حرفوش، ووسام عيد، وإيلي اقليموس، وشوقي شريم. أما المرشحون لمركز عضو ونقيب، فهم: اسكندر الياس، وعبده لحود، وفريد خوري، ووجيه مسعد، وفادي المصري، وسميح بشراوي، وإبراهيم مسلم، ويوسف الخطيب، والكسندر نجّار، واديب زخور، وفادي حداد. ووفق مصدر متابع، الأرجح أن تنحصر معركة النقيب بين ثلاثة مرشّحين.

نقيب و5 اعضاء جدد

وأوضح أمين سر نقابة المحامين في بيروت المحامي سعد الدين الخطيب إن «انتخابات نقابة المحامين تجرى على دورتين، الأولى وفق العرف في الأحد الثالث من الشهر العاشر، أي في 19 تشرين الثاني 2023، ينتخب خلالها المحامون ستة أعضاء جدد لمجلس النقابة، تليها دورة ثانية لانتخاب نقيب من الأعضاء المرشحين لهذا المنصب الفائزين في الدورة الأولى». وأضاف أن «أعضاء مجلس النقابة يُنتخبون لولاية من ثلاث سنوات، فيما ينتخب النقيب لولاية من سنتين، يجلس بعدها كنقيب سابق في مجلس النقابة، ويقوم بمهامه كعضو في المجلس لمدة عام حتى انتهاء ولايته. وتتركز مهمته على مساعدة النقيب المنتخب للتعرف على المعاهدات والاتفاقيات وحتى الإشكاليات التي بدأ فيها مع القضاء والأجهزة الأمنية وحتى مع دوائر الدولة والمحامين».

وقد قدّم المحامي عبده لحود استقالته من عضوية المجلس، فيما يتوقع، وفق ما يجري تداوله، أن يقدّم كل من العضوين وجيه مسعد والكسندر نجّار استقالتهما أيضاً (ليستفيدوا من ولاية جديدة في المجلس). وتسلّمت المحامية مايا شهاب مكتب لحود بعدما حلّت عضواً رديفاً في انتخابات السنة الماضية، وتستمر ولايتها حتى تشرين الثاني 2024.

«في الانتخابات المقبلة، سيجري انتخاب ستة أعضاء، اثنان لملء الشواغر بفعل الاستقالة، وأربعة محلّ الذين انتهت ولايتهم، وجرت العادة أن المرشح الذي ينال أصواتاً أقل من الخامس والسادس هو الذي يملأ الشاغر. ولكن لا يوجد قرار من مجلس النقابة حتى الآن، حول ما إذا كان هذا الأمر سيطبّق أم سيعتمد مبدأ القرعة لتحديد من سيدخل إلى المجلس لملء الشواغر لمدة عام».

تنظيم الترشّح والانتخاب

ينصّ قانون «تنظيم مهنة المحاماة» الرقم 8/1970 على أن:

- يقدّم الترشيح لمنصب النقيب وعضوية النقابة إلى مجلس النقابة من المرشح نفسه أو من خمسين محامياً على الأقل ممن يحق لهم الاشتراك في الجمعية العامة. ويرفض الترشيح المقدّم بعد أول تشرين الأول من السنة التي يجري فيها الانتخاب (المادة 47).

- لمجلس النقابة أن يتحقق من استيفاء الترشيح الشروط القانونية وأن يصدر قراره بقبوله أو رفضه قبل العاشر من تشرين الأول وإلا اعتبر مقبولاً. ويبلّغ هذا القرار إلى المرشح بكتاب مضمون تنشر صورته على باب مركز النقابة (المادة 48).

- يقبل هذا القرار الاستئناف من كل ذي مصلحة بمهلة ثلاثة أيام من تاريخ إيداعه ديوان النقابة. وتبت به محكمة الاستئناف خلال ثلاثة أيام (مادة 49).

ويلفت الخطيب إلى أن «الانتخابات يُفترض أن تجري في الأحد الأول من تشرين الثاني، ويُشترط أن تكون نسبة الناخبين 51%، وقد جرت العادة ألا يكتمل النصاب في الدورة الاولى، فتُرجا الانتخابات إلى الدورة الثانية التي تجري عادة في الأحد الثالث من الشهر نفسه».

وعن شروط الترشّح لعضوية مجلس النقابة ومركز النقيب، أشار إلى أنه «يحق للمحامي المنتسب لنقابة المحامين الترشح لعضوية مجلس النقابة في حال كان مقيّداً في الجدول العام وتجاوز مدة 10 سنوات في الاستئناف، أما المحامي الذي يرغب بالترشّح لمنصب النقيب فيجب أن يكون قد مرّ على قيده في الجدول العام 20 عاماً».

(الاخبار)

آلية الانتخاب

تجري الانتخابات في نقابة المحامين وفق نظام إلكتروني مغلق بدأ اعتماده خلال ولاية النقيب أنطونيو الهاشم، ويؤكد الخطيب أنه «منذ اعتماد هذا النظام لم تحصل أي مشكلات في العملية الانتخابية التي تجري باعتماد الأقلام. يوجد صندوق إلكتروني على كل قلم، يختار الناخب من خلال الشاشة أسماء المرشحين الذي يرغب بانتخابهم، وهذا النظام لا يسمح بمعرفة من هو المرشح الذي صوّت له المحامي، ويجري الفرز النهائي للأصوات إلكترونياً بشكل دقيق وواضح».

> **نقابة المحامين لا تحتاج قائداً حزبياً يقودها بل نقيباً لديه القدرة والزخم للحفاظ على العمل النقابي**

ويدفع كل مرشّح للعضوية 200 دولار، ولمنصب نقيب المحامين 500 دولار.

تسديد الاشتراكات.. شرط

يراوح عدد الهيئة الناخبة التي ستشارك في الاقتراع في الانتخابات المقبلة بين 7400 و7500 محام ومحامية، مسجلين في الجدول العام، شرط أن يكونوا قد سدّدوا اشتراكاتهم في مهلة أقصاها 30 نيسان، مع الإشارة إلى أن المحامي المتقاعد لا ينتخب كالمحامي المتدرج.

ويلفت الخطيب إلى أن «المحامين الذين انتقلوا إلى الجدول العام بعد انتهاء تاريخ تسديد الإشتراكات نهاية نيسان، تُفتح أمامهم مهلة تسديد رسوم الانتقال إلى الجدول العام حتى 30 أيلول، وبالتالي يصبحون جزءاً من الهيئة الناخبة».

أجواء المحامين

في العادة، تتجاوز نسبة الاقتراع في انتخابات نقابة المحامين الـ50%، وترتفع النسبة في الدورة الثانية لانتخاب نقيب وتراوح بين 55% و60% بحسب حماوة المعركة الانتخابية.

«القوس» سألت عدداً من المحامين والمحاميات عن رأيهم بالانتخابات، فجاءت الردود متفاوتة بين من يعدّها «معركة تغييرية تحسينية لواقع النقابة»، أو «لا تخرج عن كونها فولكلوراً يعيد الأشخاص ذاتهم إلى عضوية النقابة»، وحرصاً على عدم ملاحقة هؤلاء المحامين، تتحفظ «القوس» عن ذكر الأسماء لعرض مختلف وجهات النظر بحرية.

«دخلت السياسة إلى نقابة المحامين في بيروت أسوة بكل النقابات، ولكن أرى أن تأثيرها محدود، يغلب الطابع الشخصي فيها والعلاقات التي يستطيع المرشّح أن ينسجها على مدى سنوات عمله الطويلة، فالمرشحون للانتخابات مستقلون ولكن تدعمهم الأحزاب بصورة خفيّة» تقول إحدى المحاميات التي تشدد على دور النقابة الإصلاحي رغم ملاحظاتها على «تكميم الأفواه» في الفترة الأخيرة.

«معركة منصب النقيب معركة قوية، هناك مرشحون غير حزبيين يفترض أن يصلوا إلى المجلس، وفي سجلهم سنوات طويلة في العمل النقابي، سنخوض الانتخابات لصالح من يعمل لمصلحة المحامي الذي يعاني الكثير من المشكلات بسبب الأوضاع الاقتصادية الصعبة، فنحن نحتاج نقيباً يحارب من أجلنا، وسننتخب من يستحق أن يكون في موقع النقيب حتى ولو اختلفنا معه في السياسة» يقول أحد المحامين.

ويصف محام آخر المعركة الانتخابية بأنها «معركة حزبية أكثر منها نقابية، رغم محاولة بعض الأحزاب التلطّي خلف مرشحين يدّعون أنهم مستقلون. نقابة المحامين لا تحتاج قائداً حزبياً، بل نقيباً لديه القدرة والزخم للحفاظ على النقابة والمحامين والعمل النقابي».

يعرب أحد المحامين عن رغبته برؤية التنوّع الطائفي في مجلس النقابة الجديد «ليش بدّو يكون المجلس حكراً فقط على طائفة محددة؟ ما الذي يمنع دخول محامين أكفّاء من طوائف أخرى، يُفترض أن يتحلى المجلس الجديد بالمثاليّة»، ويلفت زميل له إلى «انعدام الحماسة عند عدد من المحامين، وهذا ما ترجمه البعض من خلال امتناعه عن تسديد اشتراكاته السنوية، إمّا لعدم إيمانه بإمكانية التغيير من خلال الانتخابات أو بسبب الأزمة الاقتصادية التي لم تسمح له بذلك».

رافعة وطن في زمن الانهيار

ملحم خلف *

تبقى نقابة المحامين، التي تأسست قبل تأسيس لبنان الكبير، هي الحلّ ووحدها خشبة الخلاص والإنقاذ.

وعلى أبواب انتخابات نقابية، كلنا، كمحامين ومحاميات، وكلنا، كلبنانيين، مدعوون اليوم إلى مواكبتها، بثلاثة مواقف:

1- موقف الشرف والصدق مع الذات ومع الضمير، أمام صندوق الاقتراع، وتلقين الآخرين -وما أكثرهم- أمثولة في كيفية الاختيار، فيكون الانتخاب انتخاباً للأفضل، لا تصويتاً للأقرب والأعزّ.

2- موقف الانتماء، إلى رسالة المحاماة، قبل الانتماء، إلى أي منطقة أو طائفة أو مذهب. ننتخب نقيباً وأعضاء، من بين عشرات ينتمون جميعهم إلى طائفة واحدة هي لبنان. ننتخب نقيباً وأعضاء، ولا ننتخب رئيس حزب أو تيار أو فريق. حذار من الالتباس الذي يوقعنا في الضياع والخطأ.

3- موقف ممارسة الديمقراطية في أبهى مظاهرها، وإعطاء أمثولة في شرف المنافسة وأخلاقية المعركة وكرامة من يعرف أن ينتصر بمجدٍ أو أن يخسر بمحبّةٍ وفرح.

حذار، حذار، حذار..

إنّ نقابة المحامين ليست صندوق اقتراع.

إنها رمز للفعل في زمن ردود الفعل. بل نقابة الفعل والريادة واستباق الأحداث واستشراف المستقبل وصوغ القرارات الجريئة!

إنها نقابة للحقّ، كل حقّ... إنها النقابة -الرسالة- التي لا تلهيها مباهج المناصب والأمجاد والسياسة عن دورها الأصيل في الدفاع عن الديمقراطية والحريات العامة وحقوق الإنسان ضد كلّ أنواع الظلم والقمع والتسلّط.

إنّ نقابة المحامين رافعة وطن في زمن انهيار الوطن.

* نائب ونقيب المحامين الأسبق في بيروت

(امين سر نقابة المحامين في بيروت المحامي سعد الدين الخطيب)

تحت القوس

افتتان بالقتل
التغطية الإعلامية للجريمة ليست «للترفيه»

جنان الخطيب

#ملوخية من بين «الهاشتاغات» الأكثر تداولاً على منصّة X في لبنان بعد جريمة القتل التي شهدتها منطقة البساتين في قضاء عاليه. «إذا كل واحد تخانق هو مرته ورجع لقاها طابخة ملوخية ما ياكل» هي واحدة من التغريدات التي جاءت تحت هذا الوسم، وترافقت مع تغريدات أخرى عديدة لصور «صحن ملوخية» مع تعليقات ساخرة. كما انتشر وسم «#طرد_النازحين_السوريين» مع ازدياد الشحن العنصري في لبنان وتحميل النازحين السوريين وزر زيادة الجرائم.

تتحمل وسائل الإعلام مسؤولية الإبلاغ عن الجريمة بطريقة دقيقة وهادفة تحمي حقوق الضحايا والمشتبه فيهم، من دون إثارة المشاعر أو الاستخفاف بها. إذ يمكن لـ«الإثارة الإعلامية» لقصص الجرائم أن تجعلها تبدو مسليّة باستخدام عناوين جذابة وcatchy لحصد مزيد من المشاهدات والتفاعل. يشمل ذلك أيضًا المبالغة في سرد تفاصيل الجريمة عبر التركيز على جوانبها المروعة وأكثرها بشاعة، التي قد تكون غير صحيحة في بعض الأحيان.

وفي مثال على ذلك، تداول بعض الوسائل الإعلامية خبرًا مفاده «قامت زوجة الضحية بمساعدة رجلين من التابعية السورية بنقل الجثة إلى منطقة حرجية في رأس الجبل في عاليه حيث ألقت كمية من الأسيد عليها بهدف تحللها قبل رميها». بغضّ النظر عن الخطأ الشائع حول إمكانية حرق الجثة بهذه «البساطة». وكانت قد تداولت وسائل إعلامية أخرى أخباراً عن تقطيع الجثة، فبدت الجريمة كأنها فيلم رعب أو حلقة من مسلسل «دامر - الوحش» الذي يعرض على منصّة Netflix. كما استخدمت لغة مثيرة أو محرّضة في وصف الجريمة أثناء التغطية الإعلامية مع «نبرة» تسهّل على الناس رؤية السوري كمجرم أكثر من اللبناني.

مثال آخر على «التشويق» خلال نقل وسائل الإعلام للجريمة، هو تداول خبر العثور على جثة «مربوطة بحبل تحت الجسر» التي أثارت فضول العديد من الذين بدت لهم الجريمة وكأنها لعبة أو لغز ينبغي حلّه. كذلك يمكن لوسائل الإعلام أيضًا جعل الجريمة مادة ترفيهية من خلال التقليل من شأنها عبر الاستخفاف بالجرائم الخطيرة واستخدام الفكاهة أو السخرية، تمامًا كما حدث في جريمة عاليه وطبق «الملوخية». إضافة إلى التسرّع في الإدانات الإعلامية للمشتبه فيهم قبل صدور الأحكام من المحكمة المستقلة، أثّرت التغطية التلفزيونية والصحافية بشكل مباشر وكبير على سمعة المشتبه فيه هيثم مزاحم من خلال خلق تصوّر واسع النطاق بجرم التواصل مع جهاز الموساد «الإسرائيلي» قبل صدور أي حكم. «عميل إسرائيلي بدأ في المستقبل»، «المثقف العميل منذ خمسة أعوام»، «عميل برتبة صحافي» وغيرها من العناوين التي تصدّرت صفحات الصحف والوسائل الإعلامية الأخرى في قضية مزاحم الذي برّأته المحكمة العسكرية في حكمها الصادر أخيرًا.

لأن الاعتراف ليس سيد الأدلة، ولأنه لا يحق لأي إعلامي تولّي دور المحقق القضائي، ولأن الوصول إلى الحقيقة العلمية يتطلب الكثير من الوقت والجهد والكفاءة والدقة. ولأن التحقيقات الجنائية ليست «نتفليكس»، من الضروري التذكير بخطورة تسريب التحقيقات القضائية ونشر المعلومات المضللة والإشاعات التي تشكّل انتهاكاً للإجراءات القانونية الواجبة وتسيء إلى مسار العدالة الصحيح وتزيد من تبعات الجريمة على الأمن والاستقرار.

أخطاء شائعة

حتى «التذويب» يترك أثراً

«قتلت زوجها بالسم وحرقت الجثة بالأسيد»، خبر جرى تداوله عبر العديد من الوسائل الإعلامية ومواقع التواصل الاجتماعي بعد جريمة قتل فادي العالية. ومع الاعتقاد السائد بإمكانية «إذابة» الجثة في غضون دقائق عن طريق غمرها بالأسيد.

من الضروري الإشارة إلى أن هذه المحاولة لإخفاء الجريمة وتدمير الأدلة تُعدّ خطيرة وغير فعّالة. ففي حين أنه يمكن للحمض، في ظروف معيّنة، أن يذيب اللحم، إلّا أنه غير قادر على إذابة العظام أو الأسنان. وقد تكون الأنسجة الأخرى، مثل الشعر والأظافر، في بعض الأحيان، مقاومة للأسيد. كما أن احتواء الجسم على كمية كبيرة من الماء، يخفّف تركيز الحمض ويجعله أقلّ فعالية. ويعتمد مقدار الوقت الذي يستغرقه الحمض في إذابة اللحم على عوامل عدة، بما في ذلك نوع وتركيز ودرجة حرارة الحمض المستخدم، وحجم الجسم ووزنه. على سبيل المثال، القاتل المتسلسل جيفري دامر، قتل 17 رجلاً وصبيًا بين عامي 1978 و1991 وكان معروفًا بأساليبه الإجرامية، التي تضمّنت تقطيع أوصال الجثث ومحاولة تذويبها بالأسيد، الذي كان فعّالًا لجهة تدمير الحمض النووي (DNA) والأدلة الأخرى التي يمكن استخدامها للتعرف على الضحايا. لكن الحمض المُستخدم لم ينجح في إذابة عظام وأسنان ضحاياه، إذ تمكّن المحققون من إيجادها في شقة دامر وكانت دليلًا أساسيًا لربطه بجرائم القتل. من جهة أخرى، فإنه حتى لو أذاب الحمض الجثة جزئيًا، سيترك مع بقايا الجثة أثرًا من الأدلة التي يمكن للخبراء الجنائيين استخدامها للتعرف على الضحية، وأيضًا لتحديد المكان الذي أُذيبت فيه الجثة. قد تساعد المعلومات المستخلصة من هذه العناصر على ربط المشتبه فيه بمسرح الجريمة. علمًا أن التحقيق الجنائي العلمي للجثث المذابة بالأحماض هو عملية معقّدة وصعبة، إلّا أنه يعدّ أداة قيّمة للمحققين لحلّ الجرائم والتعرّف على الضحية ومنع الإفلات من العقاب. تشمل بعض أنواع الأدلة الأثر، المذابة بالأحماض، الأجزاء المتبقية من الحمض النووي والبروتينات والمعادن الموجودة في العظام والأسنان كالكالسيوم والفوسفور. قد يكون هناك، إلى جانب هذه العناصر المادية، دليل كيميائي يفرزه الجسم أثناء ذوبانه في الحمض. على سبيل المثال، يمكن أن يشير وجود مواد كيميائية معيّنة في التربة أو الماء إلى أن الجسم قد أُذيب في الأسيد. كذلك، قد ينبعث من الجثث المذابة بالأحماض غازات يمكن للمحققين اكتشافها باستخدام معدّات متخصصة. ويعتمد الوقت الذي تبقى فيه هذه العناصر والغازات في البيئة على عوامل عدة، بما في ذلك درجة حرارة البيئة، ونوع التربة إضافة إلى نوع الحمض المستخدم وتركيزه، وغيرها.

4

غازات على الأقل تنبعث من الجثة التي تُذوّب بالاسيد. وقد تطلق غازات اخرى بناء على التفاعلات الكيميائية المحددة التي تحدث. يمكن لهذه الغازات ان تكون خطيرة، فبعضها قابل للاشتعال والانفجار. والبعض الآخر سام وقد يسبب مشاكل صحية خطيرة إذا استُنشق.

جنان...

صوت المخيم

على الغلاف

الشباب الفلسطيني في لبنان... عن العيش في لجوئين

ثنائية اللجوء والعودة

ملاك سلوم

(مخيم عين الحلوة ـ هيلم الموسوي)

شهدت «عاصمة الشتات» الفلسطيني، مخيّم عين الحلوة، اشتباكات مسلّحة في الآونة الأخيرة أسفرت عن عشرات الضحايا والجرحى ونزوح أكثر من 65% من سكّانه، وخسائر مادية كبيرة طاولت مدارس «الأونروا» داخل المخيّم ما قد يؤخر التحاق نحو 6 الاف طفل فلسطيني بالعام الدراسي الجديد. ليست المخيّمات الأخرى بحال أفضل، إذ غرق 33 لاجئاً فلسطينياً غالبيتهم من سكّان مخيّم نهر البارد على متن مركب للهجرة غير الشرعية في أيلول الماضي. هذه المأساة مجتمعةً تُذكّر بالمعاناة التي يعيشها الشباب الفلسطيني في لبنان، الذي نشأ وترعرع في ظلّ عدم استقرار وحرمان من حقوقه الاجتماعية والمدنية والسياسية والاقتصادية والثقافية الأساسية، إلى جانب التمييز وخطاب العنصريّة التي تشتدّ وتيرتها بشكل دوري. فلا يزال الشبّان (19-35 سنة) الذين يشكّلون 63% من اللاجئين في لبنان اليوم، يعانون قيوداً منهجية تحول دون تحقيق آمالهم وتطلّعاتهم. في موازاة ذلك، يقدّم الشباب الفدائي في فلسطين المحتلّة نموذجاً ناصعاً في مقاومة الاحتلال يقابله انخراط تام لدول المهيمنة العالمية بدعم «إسرائيل» وتواطؤ العديد من الدول العربية في التطبيع مع الكيان «الإسرائيلي». فأين الشباب الفلسطيني في ظل كل هذا، يجيبنا بعض منهم في ما يأتي.

شذى عبدالعال، الغابسية، قضاء عكا - مخيم برج البراجنة

«أنا من وين؟ ليش عايشة هون؟ وكيف يعني فلسطيني بس موجود في لبنان؟ كانت هذه تساؤلاتي منذ ولادتي في مخيّم نهر البارد»، تقول شذى عبدالعال (27 عاماً) التي تزعرعت في مخيّم نهر البارد الأبعد جغرافياً بين المخيّمات عن الحدود الفلسطينية - اللبنانية، الذي تميّز عن باقي المخيّمات الفلسطيني، قبل تدميره عام 2007، بازدهاره الاقتصادي وحفاظه على تقاليده الفلسطينية في جوانبه كافة. «عقب الحرب في 2007 أو الهجرة الثانية كما نطلق عليها، تدمّر هذا الوطن المؤقت وشعرنا أنه لجوء ثان» حيث أحدث دمار مخيّم نهر البارد متغيّرات نفسية واجتماعية وأمنية عميقة عند الأهالي، كما تراجع ازدهاره الاقتصادي. تضيف عبدالعال: «منذ انتهاء الحرب وإطلاق إعادة الإعمار شعرت أن العديد من المفاهيم تغيّرت، نحن لا نريد أن تتغيّر الأولويات حتى تصبح فلسطين ثانوية، لا نريد أن تصبح الأولوية أن يعاد إعمار منزل اللاجئ، وتقدّم له المساعدات والتمويل» (راجع «القوس»، 18 آذار 2023). «الجمعيات غير الحكومية في مخيّمات اللاجئين الفلسطينيين فوضى المساعدات)». ما تزال نحو 1,200 عائلة من مخيّم نهر البارد تعيش خارج منازلها في بيوت مستأجرة بسبب تأخر عملية الإعمار، والتي كانت من المفترض أن تنتهي بنهاية عام 2013، بالإضافة إلى مشكلة نقص المياه.

«كان عمري 11 عاماً عندما دخلت مخيّم نهر البارد بعد انتهاء الحرب، وكنت الطفلة الوحيدة التي استطاعت الدخول حينها، وسط الألغام ورائحة الجثث بدأت أشرح للصحافيين عن مخيّمنا، أدركت في تلك اللحظة أن لدى كثير من الأهالي صوتاً لكنه ليس عالياً بما يكفي، لذلك قررت أن أدرس الصحافة». تنقّلت شذى بين مخيّمات عدة، ترك ذلك أثره على شعورها بعدم الاستقرار، وتلفت إلى أنه «رغم ذلك، تبقى أولويتي أن أوظّف قدراتي في خدمة القضية الفلسطينية أولاً، فبالنسبة لي لا أرى أننا نعيش لهدف آخر، حتى الرفاهية لم تعد شيئاً أساسياً بقدر عودتنا إلى فلسطين».

علي أبو جبارة، قلقيلية، الضفة الغربية - الضاحية الجنوبية لبيروت

أنا علي أبو جبارة (26 عاماً)، من أب فلسطيني وأمّ لبنانية، والحاصل على شهادتَيْن جامعيّتَين في الجغرافيا والإعلام، فقد كانت نشأته مختلفة عن بقية اللاجئين الفلسطينيين في لبنان. يستذكر طفولته ويقول: «لم نسكن المخيّم، ونادراً ما كان لدينا أي تواصل مع أشخاص فلسطينيين، عاش أبي طفولة كهذه لذلك لم يحاول أن ينقل لنا أي أخبار عن فلسطين أو يعمّق صلتنا بالقرابة». يصف علي حالته: «بالنسبة لنا كنا لبنانيّين نحمل وثيقة فلسطينية».

قرر علي بعد بلوغه سن الرشد أن يبحث من جديد عن جذوره وهويّته، ويعيد ارتباطه بوطنه المحتلّ، «أصبحت أتابع الأحداث اليومية في فلسطين، وأتعرّف على أبناء شعبي وأخوض بأدق التفاصيل، أصبح مثلي الأعلى الشباب المقاوم الذي ينفّذ عمليات نضالية». على صعيد آخر، حُرم علي كما غيره من الشبّان الفلسطينيين، من فرص مهنية «لمرّات عديدة كنت أقبل في وظيفة أو عمل معيّن لكن حين نصل إلى مرحلة التوقيع وتقديم الأوراق، كنت أُرفض ويُقدّم لي الاعتذار».

وصلت نسبة الفقر بين اللاجئين الفلسطينيين في لبنان في السنوات الأخيرة إلى ما يقارب 93% وفق إحصائيات وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا)، وارتفعت نسبة البطالة إلى ما يقارب الـ80%. وكان وزير العمل مصطفى بيرم قد أصدر قراراً في تشرين الأول 2021، تضمّن في المادة الثانية منه استثناء للفلسطينيين المولودين على الأراضي اللبنانية والمسجلين بشكل سجلات وزارة الداخلية والبلديات اللبنانية بالعمل في المهن المخصصة للبنانيين (لحظها القرار بمادته الأولى)، باستثناء المهن المنظمة بقانون، ما أحدث انقساماً حاداً بين الأطراف اللبنانية بين مؤيّد ومعارض وفتح الباب أمام تبادل الاتّهامات والتخويف. يتحدّث أبو جبارة مراراً عن معاناة التنقّل خاصة عندما كان يقصد قرية أمّه حولا، «كان يجري إرجاعي مرّات عدة ومعاملتي بشكل قاسٍ أحياناً لأنني لم أحمل تصريحاً والذي يستلزم الحصول عليه قطع مسافات جغرافية بعيدة عن سكني، لكن على الأقل كان لديّ وثيقة سفر وبطاقة لاجئ».

> يكمن المشروع الصهيوني بتبنيس اللاجئين والشباب الفلسطيني وباستهداف أمن المخيّمات

سالم شحادة (اسم مستعار)، حيفا - مخيم البداوي

واحدٌ من 4750 لاجئاً فلسطينياً محروماً من الشخصية القانونية»، «نحن كالموجودين في لبنان خلسة، غير معترف بنا بسبب فقداننا للأوراق الثبوتية».

وإن كان «الحظّ» قد حالف علي لحصوله على بطاقة لاجئ، فإنه لم يحالف اللاجئين الفلسطينيين الذين يحملون هويّات إثبات جنسية فقط من السفارة الفلسطينية والمتزوجين من لاجئات فلسطينيات في لبنان مسجلات في المديرية، إذ لا يستطيعون إثبات وقوعات الزواج الخاصة بهم، وبالتالي تسجيل مواليدهم لاحقاً.

يوضح سالم: «عندما كنا صغاراً لم يكن الأمر ذا تأثير، لكن عندما تزوجت وأنجبت أطفالاً دخلت في حلقة لا تنتهي من المأساة التي ورثها أولادي أيضاً، كيف يمكن لهم أن يتزوجوا وينجبوا أطفالاً دون أي وثائق رسمية فعلية؟».

لا يقتصر الأمر على ذلك، إذ يُحرم اللاجئون الفلسطينيون في هذه الحالة، من سهولة التنقل والسفر، والاستفادة من خدمات الاستشفاء والتعليم لدى الأونروا والمؤسسات الرسمية اللبنانية، بالإضافة إلى عدم استطاعتهم تحصيل أي مساعدات أو تحويلات مالية. ويشير سالم إلى أنهم توجهوا «إلى جهات عدة ومؤسسات فلسطينية ولبنانية وأجنبية لكن دون جدوى، كلّ محاولاتنا لتحصيل وثائق تبوء بالفشل».

خالد ابو النعاج (اسم مستعار)، صفورية، قضاء الناصرة - مخيّم عين الحلوة

«من أزقة مخيّم عين الحلوة، كنّا ننظر إلى الخارج اللبناني ونلعب الطابة، دون أن نفهم ماذا تعني كلمة حقوق»، لكن خالد (21 عاماً) يشهد اليوم هجرة معظم أصدقائه إلى الخارج «بسبب الحالة اليائسة للشباب الفلسطيني». يشرح خالد موقفه المتفهّم لهجرة الشباب من لبنان «بصراحة، أنا كلاجئ لا أستطيع أن أبني مستقبلي في لبنان لأن الدولة اللبنانية لا تستطيع أن توفر لي حاجاتي كالطبابة والضمان وحقي في العمل والتملّك (راجع «القوس»، 5 شباط 2022، «يوبيل الذل: ترميم المخيّم جريمة»)، لذلك لولا دراستي الجامعية لما كان هناك أي شيء يربطني بلبنان».

ما يقوله خالد تؤكّد عليه تقارير عدة للأونروا واليونيسف ومؤسسات حقوقية، فتوضح المؤسسة الفلسطينية لحقوق الإنسان «شاهد» أنه «مع اشتداد الأزمة الاقتصادية ارتفع متوسّط كلفة السلة الغذائية عشرات الأضعاف، إلى جانب الارتفاع بتكلفة المياه والوقود والكهرباء والغاز والنقل والرعاية الصحية وحليب الأطفال، في ظل وجود نقص متزايد في الأدوية خاصة الأمراض المزمنة والمستعصية، وفي هذا الإطار لم يعد عدد كبير جداً من عائلات لاجئي فلسطين قادراً على دفع تكلفة الرعاية الصحية الثانوية»».

من جهة أخرى يشدد خالد على التزامه بهوّيته الفلسطينية، «عندما كبرنا أدركنا أن هناك شريحة واسعة من اللبنانيين تجهل مطلقاً كل ما يتعلّق بنا، أردنا أن نري للعالم والمجتمع اللبناني أننا شعب، رغم كل المأساة التي يعيشها، متعلّم ومكافح ويحب الحياة ويقاوم لاسترجاع أرضه، وليس كما يصوّره الإعلام».

يرفض خالد الاتّهامات التي يكيلها البعض ويعمّمها على جميع الشباب الفلسطيني المهاجر، «فإذا سافرت علي أميركا أو أوروبا للعمل أو التعلّم لا يعني أنني أخدم المشروع الصهيوني أو أنني أتخلى عن حق العودة، المشروع الصهيوني يكمن بتبنيس اللاجئين والشباب الفلسطيني وباستهداف أمن المخيّمات وتقاعس الجهات المسؤولة عن القيام بواجباتها وبانخراط العديد من الدول العربية بمشاريع التطبيع المخزية»، مؤكداً أنه «مؤمن بالكفاح المسلّح كطريق وحيد لتحرير فلسطين، ومتمسك بهويّتي الفلسطينية ولو بعد 75 عاماً. وبعيداً عن خلاصنا الفردي، أؤمن أننا كشبان قادرون على صنع حالة ثورية أينما كنا حول العالم، غير متمسكين بتحرير فلسطين فقط، بل بتحرير بلادنا العربية كافة من الاستعمار».

«استندت المعلومات والأرقام الواردة حول أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان إلى التقرير السنوي للمؤسسة الفلسطينية لحقوق الإنسان «شاهد»، حول أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في لبنان 2022.

جرائم الاحتلال

عصابات تقتل المئات في الداخل الفلسطيني

العدو يرعى الجريمة المنظّمة

مئات القتلى سنوياً، بيوت تُحرق او تسلبها عصابات الإجرام من اهلها، تُضاف إلى عيش آلاف العائلات الفلسطينية تحت مطرقة ديون السوق السوداء والربا المترتّب عليها، وهجرة سلبية بدأت معالمها تتوضّح لفلسطينيي الداخل المحتلّ إلى دول اخرى لانعدام الامان. وهيمنة «الخاوة» على حياة أصحاب المصالح، اي ما يسمّى بضريبة الحماية. فإذا كان توالي عصابة إجرام او ان تكون ضحية لعصابة اخرى، «الشعوب المقهورة تسوء اخلاقها» عبارة لابن خلدون قد تنطبق على الجانب المجتمعي لتطوّر مفهوم الجريمة المنظّمة في الداخل الفلسطيني وتحوّلها التدريجي إلى حالة عامة تشكل المشهد الاجتماعي الكامل. في ظل نداء وحيد للحراك السياسي والقيادة المحلية وهو «جمع السلاح غير المرخّص». فما دور الاحتلال الإسرائيلي في كل هذا واين ذهب المجتمع الفلسطيني في الاراضي المحتلة 1948 والى أين يتّجه؟

رافت ابو عايش *

حاول العدو الإسرائيلي منذ عام 2000 وبعد انتهاء انتفاضة الأقصى إيجاد مخرج له من تطور الحراك السياسي الوطني الفلسطيني الذي أثبت خطره الجدّي على حياة «الإسرائيليين» ورفاهيتهم. مراكز بحثية وقبضة شرطية وعسكرية، ومؤسسات ضخمة تروّج لـ«الأسرلة» بميزانيات فلكية لم تنجح في دفع الفلسطينيين في الداخل للانسلاخ عن هويتهم الفلسطينية وعلاقتهم بالأرض والمقدسات والهوية، ما ظهر جلياً في أحداث النضال ضد مخطط «برافر» الاقتلاعي عام 2013 واتضح للواقع وليس فقط في معالجته، فالنداء الذي اطلقته قيادات الداخل الفلسطيني السياسية كان «جمع السلاح غير المرخّص، ومحاسبة الشرطة الإسرائيلية على تخاذلها، ومنهم من طالب الشرطة بتعزيز عملها في البلدات العربية». في ظل ذلك ارتفع عدد الضحايا عن السنوات السابقة ليبلغ 167 بينهم 11 امرأة حتى الثامن عشر من الشهر الجاري، وفق ما يشير موقع «عرب 48». (راجع الصفحة 8، «مجرمون مدعومون؟»).

هل حفّا الشرطة الإسرائيلية متخاذلة في عملها؟

يجادل كثيرون بأن من فرط العمى وصف دور الشرطة «الإسرائيلية» بالتخاذل، فشرطة الاحتلال وأدوات فرض السيادة الاستعمارية في الكيان شركاء مباشرون في القتل. إذ صرّح «وزير الأمن الداخلي الإسرائيلي السابق» أمير اوحانا عام 2022، بأن الشرطة «الإسرائيلية» على تواصل مباشر مع معظم رؤوس الإجرام في الداخل الفلسطيني، كما أدلى سياسيون «إسرائيليون» كثيرون بتصريحات مشابهة. ففي النقب مثلاً، جنوب فلسطين، حيث لا توجد جريمة منظّمة ولا تستطيع عصابات الإجرام الكبرى في الداخل الفلسطيني ممارسة نشاطها بسبب قوة العشائر البدوية وهرميتها، وسطوة القضاء العشائري الذي يحتكم إليه الناس لا للقانون «الإسرائيلي»، تنخفض نسب جرائم القتل لأقل من 10% سنويًا عن باقي مناطق الداخل الفلسطيني، وتكون معظمها حالات ثأر تنتهي بمقتل القاتل. ولكن، شهدت السنوات الأخيرة تزايد حالات القتل بسبب تحريض الشرطة «الإسرائيلية» لمجرمين، فالقاتل قد يخرج من السجن بعد عام واحد من الأسر فقط، أو قد لا يسجن لعدم كفاية الأدلة، كذلك برزت منهجية صناعة الفتنة من طرف دائرة أراضي «إسرائيل» بين العائلات البدوية عبر الإلتزام لأكثر من عائلة على قطعة الأرض نفسها بهدف صناعة النزاع بين العائلات التي تعاني ضائقة سكنية شديدة بسبب سياسات مصادرة الأراضي.

> يحاول الاحتلال دعم وتصدير شيوخ «متأسرلين» لإضعاف وتدمير القضاء العشائري

من المعروف في الشارع النقباوي أن «إسرائيل» تحاول بشكل مستمر دعم وتصدير شيوخ «متأسرلين» لإضعاف وتدمير القضاء العشائري، وإضعاف سطوة الشيوخ الوطنيين. كذلك وقعت عشرات الجرائم باستخدام أسلحة كانت شرطة العدو قد صادرتها مسبقًا أو «مسروقة» منه، وهذا دليل على أنها طرف واضح في الصراع الاجتماعي ومروّج وداعم مباشر للجريمة المنظّمة. تعلم سلطات الاحتلال بكل قطع السلاح التي لم تصادر من أصحابها، وتتعقّبها في حال جرى استخدامها لدوافع وطنية.

لقصص أهالي المثلث الفلسطيني، نجد أنه كان سهلًا جدًا تحصيل قرض لأي غاية كانت، للضروريات أو حتى لتجديد المنزل أو لشراء سيارة أو أي شيء من الكماليّات. لكن، لم يعلم المُقترِض أن ثمن سداد هذا القرض قد يكون حياته، أو حياة إخوته وأقربائه، حتى بدأ القتل، فإذا تأخر في الدفع تتضاعف الدفعة أو يتضاعف المبلغ، وليس هو وحده المهدد بالقتل، فالمدين ليس مفيدًا وهو ميت لأنه لن يستطيع سداد الدين، لذلك يُقتل أخوه أو ابن عمه أو صديقه وفي بعض الحالات قُتلت أمّهات وأخوات.

ربما فشلت القيادة السياسية الفلسطينية في القياس الحقيقي للواقع وليس فقط في معالجته، فالنداء الذي أطلقته قيادات الداخل الفلسطيني السياسية كان «جمع السلاح غير المرخّص، ومحاسبة الشرطة الإسرائيلية على تخاذلها، ومنهم من طالب الشرطة بتعزيز عملها في البلدات العربية». في ظل ذلك ارتفع عدد الضحايا عن السنوات السابقة ليبلغ 167 بينهم 11 امرأة حتى الثامن عشر من الشهر الجاري، وفق ما يشير موقع «عرب 48». (راجع الصفحة 8، «مجرمون مدعومون؟»).

هل حفّا الشرطة الإسرائيلية متخاذلة في عملها؟

يجادل كثيرون بأن من فرط العمى وصف دور الشرطة «الإسرائيلية» بالتخاذل، فشرطة الاحتلال وأدوات فرض السيادة الاستعمارية في الكيان شركاء مباشرون في القتل. إذ صرّح «وزير الأمن الداخلي الإسرائيلي السابق» أمير اوحانا عام 2022، بأن الشرطة «الإسرائيلية» على تواصل مباشر مع معظم رؤوس الإجرام في الداخل الفلسطيني، كما أدلى سياسيون «إسرائيليون» كثيرون بتصريحات مشابهة. ففي النقب مثلاً، جنوب فلسطين، حيث لا توجد جريمة منظّمة ولا تستطيع عصابات الإجرام الكبرى في الداخل الفلسطيني ممارسة نشاطها بسبب قوة العشائر البدوية وهرميتها، وسطوة القضاء العشائري الذي يحتكم إليه الناس لا للقانون «الإسرائيلي»، تنخفض نسب جرائم القتل لأقل من 10% سنويًا عن باقي مناطق الداخل الفلسطيني، وتكون معظمها حالات ثأر تنتهي بمقتل القاتل. ولكن، شهدت السنوات الأخيرة تزايد حالات القتل بسبب تحريض الشرطة «الإسرائيلية» لمجرمين، فالقاتل قد يخرج من السجن بعد عام واحد من الأسر فقط، أو قد لا يسجن لعدم كفاية الأدلة، كذلك برزت منهجية صناعة الفتنة من طرف دائرة أراضي «إسرائيل» بين العائلات البدوية عبر الإلتزام لأكثر من عائلة على قطعة الأرض نفسها بهدف صناعة النزاع بين العائلات التي تعاني ضائقة سكنية شديدة بسبب سياسات مصادرة الأراضي.

من المعروف في الشارع النقباوي أن «إسرائيل» تحاول بشكل مستمر دعم وتصدير شيوخ «متأسرلين» لإضعاف وتدمير القضاء العشائري، وإضعاف سطوة الشيوخ الوطنيين. كذلك وقعت عشرات الجرائم باستخدام أسلحة كانت شرطة العدو قد صادرتها مسبقًا أو «مسروقة» منه، وهذا دليل على أنها طرف واضح في الصراع الاجتماعي ومروّج وداعم مباشر للجريمة المنظّمة. تعلم سلطات الاحتلال بكل قطع السلاح التي لم تصادر من أصحابها، وتتعقّبها في حال جرى استخدامها لدوافع وطنية.

(أ ف ب)

«برافر - بيغن»

مشروع أقره كنيست الاحتلال يوم 24 يونيو/حزيران 2013 بناء على توصية من «وزير التخطيط الإسرائيلي» إيهود برافر عام 2011 للاستيلاء على مزيد من الأراضي العربية الفلسطينية في النقب.

يقضي المشروع بتهجير نحو 40 ألف شخص من عرب النقب، أي سكان 22 من أصل 39 قرية عربية غير معترف بها في النقب داخل مناطق التخطيط اليهودي.

فرّق.. تسُد؟

نجح الاحتلال الإسرائيلي في إيجاد افضل أدوات العزل والتفريق والهيمنة على الفلسطينيين في الداخل الفلسطيني وهي التفكيك من الداخل، ليس بالأموال أو الامتيازات لكن بقتل شعور الأمان الشخصي وتفكيك الروابط الاجتماعية وتدمير مفهوم العائلة والعشيرة. الإفقار والتضييق في البيوت أولًا، ثم ضخّ الأموال من السوق السوداء، وجمع السلاح من الناس العاديين وتركه في يد المجرمين، كذلك دعم عصابات الإجرام بالسلاح والامتيازات وغضّ الطرف عنها بالعقوبات. إذ بتنا نشاهد اليوم بثًا مباشرًا على منصة «تيكتوك» لرئيس عصابة إجرام من داخل سجنه «الإسرائيلي»، وقد نجد شبابًا متعلّمين يحبّون هذا الرئيس فهو بالنسبة لهم «روبن هوود» الداخل الفلسطيني، بعد تصريحه بأنه يريد إنهاء الخوة. ولكن أسوأ النتائج للفلسطينيين وأفضلها لـ«إسرائيل» هي تحرّك المجتمع في الـ48 خارج فكرة المجتمع الواحد وباتجاه العزلة الكاملة للأفراد، فالكل يريد أن يسلم من ابن عمه أو قريبه. حيث جرى اقتحام لإحدى البيوت وقتل كل من فيه من قبل عصابة إجرام دون أن يخرج لنصرتهم جارهم المسلّح. قد لا تتبقى جماعة فلسطينية واحدة متماسكة مع مرور الزمن، إذ بدأ كثيرون بالهجرة فعلًا.

معذّبو الارض

في كتابه «معذّبو الأرض» يتطرق فرانز فانون إلى انتشار الجريمة بشكل جارف في المجتمع الجزائري خلال الاستعمار الفرنسي للجزائر، حتى ارتبطت النظرة الاستعلائية للمستعمر الفرنسي بتغيير مصطلح مجرم في الوعي الفرنسي إلى تسمية جزائري، وفي المقابل يربط فرانز فانون أن اللحظة التي انتهت فيها الجريمة من المجتمع الجزائري كانت اللحظة التي انتهى فيها الاستعمار الفرنسي للجزائر. ومن دون الخوض في تأجيج فرنسا للجريمة في الجزائر أو رعاية «إسرائيل» للجريمة في الداخل الفلسطيني، يتوافق فانون مع ابن خلدون في أن القهر ينتج نفسية مهزومة سيّئة لا أخلاقية للإنسان، فانعدام السيادة على حياة المرء المتمثلة في السيادة على الأرض والشعور بالكرامة الوطنية والإنسانية والاستقلال الشعبي، والفكري، والنفسي تجعله يبحث عن دائرة قوة يمارس فيها هيمنته للتغطية على ضعفه في إطار الحيّز الضيّق الذي صنعه له المستعمر وفي حالتنا الجريمة.

*بكالوريوس في الحقوق وطالب في الدراسات الإسلامية وناشط سياسي من قرية اللقية في النقب المحتلّ جنوب فلسطين.

كوبا

نحتاج إلى عقد عالمي جديد أكثر عدالة

نطالب بتغييرات

لم يعد من الممكن تاجيلها في النظام الاقتصادي الدولي غير العادل وغير العقلاني والمسيء للبشرية قاطبة

800≈

مليون شخص يعانون من الجوع على كوكب ينتج ما يكفي لإطعام الجميع

التنمية المستدامة في الجنوب

بينما تفشل اغنى البلدان في الوفاء بالتزامها بتخصيص ما لا يقل عن 0.7% من ناتجها القومي الإجمالي للمساعدة الإنمائية الرسمية، يتعيّن على دول الجنوب ان تنفق ما يصل إلى 14% من دخلها لدفع الفوائد المرتبطة بالديون الخارجية. وتضطر معظم هذه الدول إلى تخصيص المزيد من الموارد لخدمة الديون مقارنة بالاستثمارات في الصحة أو التعليم. ما هي التنمية المستدامة التي يمكن تحقيقها في ظل هذه المشنقة التي تلفّ أعناقنا؟

760<

مليون شخص لا يعرفون القراءة او الكتابة، ثلثهم من النساء

لا نستجدي الصدقات

بل نطالب بالحقوق، وسنستمر في المطالبة بإحداث تحوّل عميق في البنية المالية الدولية الحالية، لأنها غير عادلة إلى حدّ كبير، وتعاني مفارقة تاريخية، واختلالاً وظيفيًا، فقد جرى تصميمها للاستفادة من موارد الجنوب، وإدامة نظام الهيمنة الذي يزيد من التخلف التنموي ويعيد إنتاج نموذج الاستعمار.

جهود غير كافية

تبذلها البلدان النامية لتنفيذ خطة عام 2030. ويجب دعمها بإجراءات ملموسة بشأن الوصول إلى الأسواق، والتمويل بشروط عادلة وتفضيلية، ونقل التكنولوجيا، والتعاون بين الشمال والجنوب.

النظام

الدولي الحالي:
غير مستدام وغير قابل للحياة

خطة الامم المتحدة

بعد 7 سنوات فقط تنتهي مهلة تحقيق خطة منظمة الأمم المتحدة 2030 المفعمة بالأمل، لكن التوقعات غير مشجعة. وقد أدركت هذه المنظمة ذلك بالفعل: بالوتيرة الحالية، لن يتحقق أي من أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر، ولن يتحقق أكثر من نصف الأهداف الـ169 المتفق عليها.

سلاح العقوبات لخنق الشعوب

أصبحت «العقوبات» ممارسة الدول القوية التي تسعى إلى انتحال صفة «القاضي العالمي» لإضعاف وتدمير الاقتصادات وعزل وإخضاع دول ذات سيادة. وتؤثر هذه الضغوط اليوم ايضا على فنزويلا ونيكاراغوا، وما قبلها وما بعدها، كانت مقدمة للغزوات والإطاحة بحكومات «غير مريحة» في الشرق الأوسط.

ستستمر كوبا في تعزيز ديمقراطيتها ونموذجها الاشتراكي، الذي أظهر، حتى في ظل الحصار، قدرة دولة نامية صغيرة الحجم تتمتع بثروة طبيعية قليلة على فعل الكثير. سنواصل جهودنا التحويلية، في البحث عن طرق للخروج من الحصار الذي تفرضه علينا الإمبريالية الأميركية، وعن طرائق لتحقيق الرخاء والعدالة الاجتماعية التي يستحقها شعبنا. ولن نتخلى ابدًا عن حقنا في الدفاع عن أنفسنا.

إن حكومة الولايات المتحدة تكذب وتلحق ضرراً جسيماً بالجهود الدولية لمكافحة الإرهاب، عندما تتّهم كوبا، من دون اي أساس، بأنها دولة راعية لهذه الآفة. واستناداً إلى هذا الاتهام التعسّفي والاحتيالي يبتزّون مئات الكيانات المصرفية والمالية في جميع أنحاء العالم ويجبرونها على الاختيار بين مواصلة علاقاتهم مع الولايات المتحدة أو الحفاظ على علاقاتهم مع كوبا. تعاني بلادنا حصاراً حقيقياً، وحرباً اقتصادية قاسية وصامتة تتجاوز الحدود الإقليمية.

إننا نرفض التدابير القسرية الانفرادية المفروضة على بلدان مثل زيمبابوي وسوريا وإيران وجمهورية كوريا الشعبية الديمقراطية، من بين بلدان كثيرة أخرى تعاني شعوبها الأثر السلبي لهذه التدابير الظالمة.

يمكنكم أن تعتمدوا دائمًا على كوبا للدفاع عن التعددية والعمل بشكل مشترك لتعزيز السلام والتنمية المستدامة للجميع. سيكون من دواعي الشرف لنا دائمًا النضال من أجل العدالة.

من خطاب مدغيل دياز - كانيل برموديز، رئيس جمهورية كوبا في الدورة 78 للجمعية العامة للامم المتحدة، نيويورك، 19 ايلول 2023

نؤكد مجدداً تضامننا مع قضية الشعب الفلسطيني

القوس

■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، الف باء القانون، بشرى زهوة**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**

alqaous al_qaous alqaous22 alqaous 01/34 99 54
info@alqaous.com www.alqaous.com